وزارة الحربية والبحرية

وزارة الحربية والبحرية

الجيش المصرى

الحملات الحربيّة بفلسطين

القاهرة
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٨

عرب بترخيص من الناشرين

THE PALESTINE CAMPAIGNS

BY

COL. A. P. WAVELL, C.M., G.M.C.

3rd. Edition, 5th. Impression, 1936

Constable & Co. Ltd. London

Price 12/6

مركز رياسة الجيش المصرى

إدارة أركان حرب العمليات الحربية

القاهرة فى أوّل يونيه سنة ١٩٣٨

بأمر حضرة صاحب السعادة رئيس أركان حرب الجيش المصرى ما

أحمد محمد رجب

(لواء)

أركان حرب العمليات الحربية

محتويات الكتاب

افتتاحية

الباب الأول — جوهر الحملات :

المرحلة الأولى — سيناء

الباب الثانى — الدفاع عن قناة السويس :

صفحة

البـاب الثالث — اختراق صحـــراء سيناء والحركات التعرضية الأولى بفلسطين :

المرحلة الثانية — فلسطين

البـاب الرابع — موقعة غزه الثالثة :

صفحة

البـاب الثامن — المطاردة إلى دمشق وحلب :

الختـام

البـاب التاسع — الدروس المستفادة من الحملات :

الخرائط

جدول زمنى لحملات التجربدة المصرية وللحوادث

مصر وفلسطين	أوروبا
	سنة
٥ نوفمبر — اعلان الحرب على تركيا	—
١٨ ديسمبر — اعلان الحماية على مصر	—
	سنة
٣ فبراير — الهجوم التركى الأولى على قناة السويس	—
—	—
—	—
—	٢٤ مايو — انضمت ايطاليا للحلفاء
—	—
—	—
—	—
٦ نوفمبر — ابدأ السنوسى الحركات العدائية ...	—
—	—

التى وقعت بميادين أخرى وأثرت عليها

القوقاز	العراق	غليبولى • سالونيكا • بلاد العرب
١٩١٤		
—	٢٢ نوفمبر — احتل الانجليز البصرة	—
٢٨ ديسمبر — ٣ يناير — انهزام الهجوم التركى على القوقاز	—	—
١٩١٥		
—	—	—
—	—	١٨ مارس — محاولة البحرية المرور فى الدردنيل عنوة
—	—	٢٥ أبريل — النزول براعند هيلز والانزاك
—	—	—
—	—	٥ أغسطس — النزول براعند سوفلا
سبتمبر — تولى الغراندوق نقولا القيادة	—	—
—	—	٥ أكتوبر — ابتداء حملة سالونيكا
—	٢٢ نوفمبر — موقعة سيفون	—
—	—	٢٠ ديسمبر — الجلاء عن الانزاك وسوفلا

(تابع) جدول زمنى لحملات التجريدة المصرية وللحوادث

مصر وفلسطين	أوروبا
سنة	
—	—
٢٦ فبراير — عملية عجاجيا	—
١٩ مارس — تكوين التجريدة المصرية	—
٢٤ أبريل — عملية القطيه	—
—	٤ يونيه — ابتداء هجوم بروسيلوف العام
—	١ يوليه — ابتداء الهجوم العام عند السوم
٤ أغسطس — موقعة رمانه	٢٧ أغسطس — دخول رومانيا الحرب
أكتوبر — نوفمبر — استعادة الواحات الغربية...	—
٢٣ ديسمبر — عملية المغضبة	٦ ديسمبر — سقوط بوخارست
—	٧ ديسمبر — تولى المستر لويد جورج رئاسة الوزارة بعد المستر اسكويث
سنة	
١١ يناير — عملية رفح	—
٤ فبراير — احتلال واحة سيوه (نهاية الحملة على السنوسى)	١ فبراير — ابتداء حملة الغواصات العظيمة
٢٦ مارس — موقعة غزة الأولى	٩ مارس — ابتداء الثورة الروسية
١٩ أبريل — موقعة غزة الثانية	٦ أبريل — دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب
—	١٦ أبريل — هجوم نيفل العام
٢٨ يونيه — تولى اللنبي القيادة	—
—	—
٣١ أكتوبر — الاستيلاء على بير السبع	٢٤ أكتوبر — انهزام الايطاليين عند كابوريتو
٧ نوفمبر — سقوط غزة	—
١٤ نوفمبر — عملية محطة المراصلة...	—
٩ ديسمبر — الاستيلاء على القدس	٩ ديسمبر — الهدنة فى الجبهة الروسية
٢٠ ديسمبر — عبور نهر العوجة عنوة	—
٢٧ ديسمبر — الهجوم التركى المضاد على القدس ...	—

التي وقعت بميادين أخرى وأثرت عليها

القوقاز	العراق	غليبولي · سالونيكا · بلاد العرب
١٩١٦		
—	—	٨ يناير — الجلاء عن هيلز
١٦ فبراير — الاستيلاء على أرضروم	—	—
—	—	—
١٨ أبريل — الاستيلاء على طرابزون	٢٩ أبريل — سلم تاونزند عند كوت	—
—	—	٦ يونيه — ابتدأت ثورة العرب ضد الأتراك بالحجاز
٢٥ يوليه — الاستيلاء على أزربيجان	—	—
—	—	—
—	—	—
—	—	—
—	—	—
١٩١٧		
—	—	٢٢ يناير — دخول فيصل الوجه
—	٢٤ فبراير — استولى مود على كوت	—
	١١ مارس — الاستيلاء على بغداد	—
	—	—
	—	—
فترة عطل واضمحلال تدريجي بالجيوش الروسية في جبهة القوقاز	—	—
	—	٦ يوليه — استولى لورنس على العقبه
	—	
	—	غارات على المواصلات التركية على طول سكة حديد الحجاز بين عمان والمدينة المنورة
	—	
	—	
—	—	
—	—	

(تابع) جدول زمنى لحملات التجريدة المصرية وللحوادث

سنة

مصر وفلسطين	أوروبا
٢١ فبراير — الاستيلاء على أريحه...	—
٨–١١ مارس — التقدم الى خط الوادى	٣ مارس — معاهدة برست ليتوفسك
٢١ مارس — ٢ أبريل — الغارة الأولى شرق الأردن	٢١ مارس — ابتداء الهجوم الألمانى العام بفرنسا
٣٠ أبريل — ٤ مايو — الغارة الثانية شرق الأردن	—
—	—
١٤ يوليه — الهجوم التركى الألمانى على أبو التلول...	—
—	—
١٩ سبتمبر — هجوم الفيلق ٢١ الحاسم واختراق الخط التركى	—
٢٣ سبتمبر — الاستيلاء على حيفا	٢٩ سبتمبر — انكسار خط هندبرج انكسارا نهائيا
٣٠ سبتمبر — الاستيلاء على دمشق	—
٨ أكتوبر — الاستيلاء على بيروت	—
٢٦ أكتوبر — الاستيلاء على حلب	—
٣١ أكتوبر — الهدنة مع تركيا...	—
—	١١ نوفمبر — الهدنة

التي وقعت بميادين أخرى وأثرت عليها

القوقاز	العراق	غاليبولي . سالونيكا . بلاد العرب
١٩١٨		
—	—	
—	—	
—	—	
١٤ أبريل — احتل الأتراك باطوم	—	غارات على المواصـلات التركية على طول سكة حديد الحجاز بين عمان والمدينة المنورة
٢٦ أبريل — احتل الأتراك قارص	—	
—	—	
أغسطس — أخلت قــوات دنسترفيل باكو	—	
—	—	
—	—	١ سبتمبر — ١٨ سبتمبر — قطع العرب المواصلات حول درعا
—	—	٢٨ سبتمبر — طلبت بلغاريا الهدنة
—	—	—
—	—	—
—	٣٠ أكتوبر — سلم الجيش التركي السادس	—
—	—	—

الفرسان في المطاردة : موقف مجيد. الالتفاف حول جناح الجيش التركي الأيمن

التعاون : تعاون الأسلحة المركبة مع القيادة

عمل المهندسين في مرحلة التقدم : مد مواسير المياه عبر الصحراء حتى غزة وإعطاء ٦٠٠٠٠٠ جالون يوميا أي ٥٠٠٠ طن
مد السكة الحديد - الطرق تعوق الجمال

المراحل Marches : المسافات الطويلة التي قطعها الفرسان في آخر انهزام الأتراك بالرغم من قلة الماء ٦٠ - ٩٠ ساعة بدون شرب

خفة الحركة Mobility : الانفصال عن الجيش التركي

العمليات الليلية Night operations : عبور نهر العوجا

مركز الرئاسة (القواد) : موقعتي غزة الأولى والثانية كانت الرئاسة في الشاطئ
يجب أن تكون الرئاسة بجانب الموقع. لاحظ مركز رئاسة اللنبي بعيد [illegible]

المطاردة Pursuit : موقف مجيد

تنظيم الإمدادات : مد السكة الحديد مع تقدم الجيش

المفاجأة Surprise : موقعة بئر السبع

الحملات – والدروس المستفادة منها

الحملات الحربية بفلسطين

افتتاحيـــة

الباب الأول

جوهر الحملات

١ – طبوغرافية مسرح الحرب : ارتباطات تاريخية – شبه جزيرة سينا الهيئات الطبيعية فى فلسطين وسوريا – الموانى والسكك الحديدية والطرق بمسرح الحرب – المواصلات التركية – ميل الأهالى والاعتبارات السياسية .

٢ – علاقة الحملات بالحرب كلها – أغراض الحمـلات – تأثير القوى البحرية – ألمـانيا وتركيا .

٣ – الجيش التركى – صفات الجندى التركى – تنظيم الجيش وقوته .

(انظر الخريطة رقم ١)

١ – طبوغرافية مسرح الحرب

دارت الحملات فى سينا وفلسطين وسوريا على طريق من أقدم الطرق العالمية وأعظمها ، وهو الطريق الرئيسى بين مهدى أقدم المدنيات المعروفة وهما وادى النيل ووادى الدجلة والفرات ، وهو يبتدئ من مصر و يمتد قرب البحر فوق صحراء سينا الجرداء ثم يمر بسهول " فلستيا " و " الشعرون " غرب قلاع يهوذا الصخرية ،

ثم يقطع جبل الكرمل مارا فوق ممر واطئ الى سهل "ازدرائلون" أو المجيد ، ثم يمر ببحر الجليل صاعدا الهضبة التى تقع شرق نهر الأردن ، ثم يستمر الى دمشق فحلب حيث يتيسر السير مع وادى الفرات الى بغداد . وقد توالى على هذا الطريق سريان الحروب والتجارة والافكار ما بين أفريقيا وأسيا والعكس منذ بفجر التاريخ . وقد أحسن العرب فى تسميته "الدرب السلطانى" . ويذكرنا كل اسم على ذلك الطريق بذكريات عن بعض أشهر الزعماء أو أهم الأعمال ، فتقع عليه غزة وجات مدينتا الفلسطينيين ، القوم الذين اختفوا من التاريخ بطريقة خفية كما دخلوه ، وشهدت "رمانة" (البلوسيوم القديمة) وقائع عظمى بين الفرس والمصريين منذ ٢٥٠٠ سنة ، "وارسوف" تذكرنا بالقتال العنيف الذى وقع بعد الظهر بين ريكاردوس قلب الأسد وخصمه العظيم صلاح الدين ، وقيصريه سماها الحاكم العظيم هيرود باسم رئيسه أوغسطوس ، وعند عكا انسحب نابليون لأول مرة فى حياته مخذولا ، ومدينتا دمشق وحلب كانتا من قديم الزمان مركزا لتجارة الشرق وقد خلدت مهارة صناع دمشق فى النسيج وصنع الأسلحة والصباغة بأسماء بقيت للآن مستعملة كصفة ملازمة لهذه الصناعات[١]

يقع سهل ازدرائلون العظيم — محل ارماجدون التاريخية — فى منتصف المسافة بين مصر وحلب ، وقد شهد الكثير من الحروب والمحاربين . ومن جبل طابور انقض الجبليون على الجموع المنهوكة القوى التابعين للقائد سيسرا الضاربين بالوادى ذى المستنقعات فأبادوهم كما ينقض المحاربون الحديثون من قبائل الباتان على أى قول يعانى وسائل نقله . ومنذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة هربت جماعة من القبائل غير النظاميين المعسكرين بالوادى وقد تملكهم الرعب الفجائى من رجال جديون الثلاثمائة التامى النظام والتدريب الذين هاجموهم ليلا ، وهذه أول عملية حربية ليلية لدينا تفاصيل وافية عنها[٢]. وشمال ذلك الوادى بقليل شهد أحد أيام يوليو الشديد الحرارة موت المملكة الصليبية القصيرة الأجل عند ما هاجمت فرسان صلاح الدين تحت ستار من الدخان الذى أحدثته بحرق

(١) الدمنس والصلب الدمشق ، اشتقت كلمتها الإنجليزية من كلمة دمشق .

(٢) المبادئ الأساسية التى بنيت عليها — هى انتخابه رجال منظمين ، واستطلاع وتحضير دقيقان ، واستخدام التأثير المعنوى — مهمة لأى عملية ليلية فى الوقت الحالى كما كانت وقتئذ

الحشائش المواجهة للصليبيين ، وبه أيضا طردت فرسان نابليون الأتراك حينما كان قوادهم يتطاحنون فى عكا . وقد سار على هذا الطريق جميع عظماء الفاتحين من أشوريين ومصريين وفرس ومقدونيين ورومان وعرب ولذا فليس من المستغرب أن تشهد تلك الأرض أمهر الضربات فى أعظم الانتصارات التى حصلت أثناء أعظم حروب التاريخ التى اشتركت فيها كل شعوب الامبراطورية البريطانيـة تقريبا . ولا معنى للاعتذار عن ذكر الحوادث القديمة السابق ذكرها باختصار عند تقديم مسرح الحرب هذا المسمى بحق محل تطاحن الأمم . ولولا أن مبادئ الحرب ليست ثابتة ، ومعنى ذلك أنه لدراستها لا بد من الرجوع إلى التجارب السابقة ، لما كانت هناك حاجة ملحة إلى كتب التـاريخ . فجغرافية الأرض تقرر سير الحروب عليها والعلم بالحملات السابقة يساعد على تفسير أثر هيئات الأرض الطبوغرافية الرئيسية فى الاستراتيجى ولا شك فى أن "اللنبى" فاق غيره فى دراسة جغرافية مسرح عملياته وتاريخها دراسة وافية . فقد كان يرجع يوميا إلى الانجيل وكتاب جورج آدم أسميث " الجغرافية التاريخية للارض المقدسة " ولم يكن الدافع له لمداومة التفكير فى ماضى هذه البلاد مجرد رغبة طبيعية لاشباع عقلية واسعة الاطلاع وقاده القريحة إذ أنه كان يستنتج من هذه التأملات الكثير مما كان له عظيم القيمة عند وضع خطط عملياته .

وقوات التجريدة المصرية باتباعها ذلك الطريق من قناة السويس الى حلب — مسافة تزيد عن ٥٠٠ ميل — تكون قد سارت فى أراض ومناظر متنوعة ، فمن صحراء سيناء الجرداء إلى سهول فلسطين الخصبة وتلال يهوذا الصخرية ومنخفض وادى الأردن الخانق الحرارة وأخيرا مرتفعات سوريا الزراعية . وستوصف أهم الهيئات الطبيعية للمسرح وما لها من تأثير عسكرى وصفا مختصرا فى ثلاث أقسام : سيناء وفلسطين وسوريا . وسيأتى الوصف الشامل للمناطق التى وقعت بها العمليات الرئيسية فى مناسبتها ، ومع ذلك فمن المهم أن تعلق بالذهن من الآن الاعتبارات الجغرافية التى حدّدت الخطوط التى سارت عليها الحملة تحديدا عاما .

شبه جزيرة سيناء المثلثة الشكل طولها من الشمال للجنوب ٢٤٠ ميلا وقاعدتها من الشرق للغرب ١٢٠ ميلا هى إحدى أجزاء العالم القاحلة غير المأهولة ، ويمكن تقسيمها إلى مناطق ثلاث :

الشمالية — وتشمل السهل الساحلي عرضه ما بين ٥ أميال و ١٥ ميلا وتحدده الكثبان الرملية غير الصالحة لسير العجلات والتي يصعب السير عليها للمشاة والقوات الراكبة معا .

المنطقة الوسطى — هضبة حجرية جدباء يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم خالية من الطرق المرصوفة خصيصا للعجلات ولكن السير عليها أثبت وأسهل منه فى المنطقة الشمالية .

المنطقة الجنوبية — كتلة صخرية ذات جبال شديدة الإنحدار يبلغ ارتفاع بعضها ١٠٠٠٠ قدم ويندر وجود المياه فيها على الدوام إلا عقب أمطار الشتاء عندما تمتلىء الخزانات القديمة . وهذه الخزانات من مخلفات المدنية السابقة . ولا يوجد فى شبه الجزيرة هذه أى مجرى تجرى فيه المياه دواما ولكن الوديان مثل وادى العريش — سمى فى الانجيل نهر مصر — ووادى أم خشيب (فى المنطقة الوسطى) تصبح مجارى واسعة تجرى فيها السيول زمنا قصيرا عقب الأمطار ، والمياه أقل وجودا فى المنطقة الجنوبية ، وهى متوفرة نسبيا ولو أنها مالحة قرب الشاطئ[1] حيث توجد الكثير من الواحات ذات النخيل ، وأهم الاماكن الآهلة بالسكان فى سيناء هى العريش التى تقع على مصب وادى العريش ونخل فى الجنوب . ويوجد فيما عداهما قليل من العرب الرحل ، وصيفها شديد الحرارة بينما تكثر التيارات الهوائية الشديدة البرودة شتاء وكذلك العواصف الرملية .

كان كثير من العسكريين ، مراعين قاعدة نابليون المعروفة الخاصة بحدود الممالك[2]، يعتبرون صحراء سيناء وقاية كافية لمصر ضد أى غارة من فلسطين ، ومع ذلك فقد اجتازتها جيوش جرارة مرات لا حصر لها كما يظهر من التاريخ العسكرى ، وقد جعلها حفر قناة السويس أصغر مما كانت بنحو ٥٠ ميلا . أعادت هيئة أركان الحرب بوزارة الحربية النظر فى موضوع حدود مصر الشرقية عقب

(١) يعثر على المياه بالحفر إلى عمق يتراوح مابين ١٢ و ١٨ بوصة .

(٢) "حدود المملكة اما أنهار عظيمة أو سلاسل جبال أوصحارى . والأخيرة أشدالمواقع التى تعرقل سير الجيوش وتليها الجبال وأخيرا الأنهار العظيمة" (قواعد نابليون العسكرية) .

"وصحراء كهذه هى بلا نزاع أعظم الموانع التى تحمى حدود الأمبراطورية" (حملات مصر وسوريا من مذكرات نابليون التى أمليت على الجنرال برتران) .

حادثة العقبة سنة ١٩٠٦ وقد انتهت إلى أن الصحراء لم تصبح مانعا يصعب على الجيوش الحديثة التغلب عليه وقدرت أن المياه لا تسمح إلا لقوة لا تزيد عن ٥٠٠٠ رجل و٢٠٠٠ جمل بالسير إلى القناة ، وقد ظهر أن هذا التقدير أقل من الحقيقة ومع ذلك فقد ظهر بوضوح أن اجتياز سيناء كان مشروعا لا يمكن تحقيقه إلا بعد تحضيرات مطولة وتنظيم جدى .

اختلف امتداد الأراضى المسماة فلسطين باختلاف العصور ، وقد أطلق هذا الاسم هنا على الأراضى مابين دان وبير السبع وبين البحر الأبيض المتوسط وسكة حديد الحجاز أى نفس المساحة التى تشغلها الآن أمارة شرق الأردن . وفلسطين الحالية المشمولة بالانتداب البريطانى مساحتها بسيطة . والمسافة بين دان "بانياس" وبئر السبع ١٥٠ ميلا وبين يافا على البحر ومعان على سكة حديد الحجاز ٧٥ ميلا ومع ذلك فهيئاتها الطبيعية الشهيرة تقسمها لأقسام تختلف عن بعضها اختلافا بينا فى التربة والطقس لدرجة جعلتها متفرقة وليست متحدة تحت حكم واحد إلا كولاية تابعة للمستعمرين كالرومان أو الأتراك . وأهم هيئاتها الطبيعية البارزة سلسلتان من الجبال يفصلهما أغرب شق على سطح الكرة الأرضية ثم الوادى الخصيب الممتد من غرب الجبال للبحر . يتدرج انحدار جبل معاب (وهو السلسلة الشرقية ويبلغ ارتفاعها نحو ٣٠٠٠ — ٣٥٠٠ قدم) للصحراء الشرقية أما سفحه الغربى المجاور لوادى الأردن فشديد الانحدار . وتعتبر جبال يهوذا (وهى السلسلة الغربية) السلسلة الفقرية للبلاد . وهى شديدة الانحدار غربا عند الأردن بينما تنحدر تدريجيا للشرق حتى السهل الساحلى ويقع بين السلسلتين وادى الأردن وهو أوطأ من مستوى سطح الماء عند بحيرة هوله بسبعة أقدام بينما يبلغ ذلك الانخفاض ٦٨٠ قدما عند بحيرة طبرية التى تقع جنوب بحيرة هوله بعشرة أميال فقط ويزيد ذلك الانخفاض إلى ١٣٠٠ قدم عند البحر الميت وهو قبلى بحيرة طبرية بخمسة وستين ميلا فقط [1] وتقسم الأرض مرة أخرى بمنخفضين يجريان شرقا وغربا وأحد هذين المنخفضين كبير واضح والثانى أقل وضوحا ولو أنه يفصل بين أرضين تختلف طبيعة أرضهما اختلافا بينا . فالمنخفض الأول هو سهل ازدرائيلون الممتد شرقا مع وادى اليرموق . والثانى هو الواقع بين السامرة ويهوذا ويمكن تحديده

(١) ويستمر هذا الانخفاض جنوبا حتى العقبة على البحر الأحمر ولكن هناك خط تقسم مياه بين العقبة والبحر الميت .

بخط يجرى من البحر للاردن متبعا نهـــر العوجه (بحرى يافا) ووديان دير بالوط والنمر والسامية ونهر آخر يسمى العوجه و يصب فىالأردن شمال أريحه بثمـانية أميال (أنظر خريطة ٨) وســيرى فيما بعد أنه كان الخط الذى رمى اليه الجنرال اللنبي وامتلكه بعد استيلائه على القدس واحتفظ به طيلة صيف ســنة ١٩١٨ حتى التقدم النهائى .

وبعد ما ســبق يمكن لاعتبارات عسكرية أن تقسم فلســطين لأقسام أخرى صغيرة كالآتى :

(ا) السهل الساحلى وسهل ازدرائيلون .
(ب) تلال يهوذا .
(ج) وادى الاردن .
(د) شرق الاردن .

(ا) السهول : فيليستيا ، والشعرون ، وازدرائيلون ـــ هذه السهول كما سبق القول هى الطريق الطبيعى والتاريخى للجيوش الجرارة، ويوجد بها عند الشاطئ كثبان رملية عرضها يتراوح ما بين بضع مئات الياردات ونصف ميل وارتفاعها قد يبلغ ١٥٠ قدما فوق مستوى سطح البحر . وتلى هذه الكثبان أرض سهلة ممتدة لنحو ١٠ أميال أو ١٥ ميلا الى سفح تلال يهوذا بهـا تعاريج خفيفة و يقطعها كثير من الوديان الصغيرة ويوجد بها المزروعات من أبريل الى يونيه ، ولا يوجد بهذا الوادى فى فصل الجفاف ما يعيق التحركات العسكرية ما بين غزه والجليل سوى مجرى صــغير هو العوجة الذى يجرى شمال غزة وسوى لسان التل الخارج عن السلسلة الأصلية الذى يفصل بين سهلى الشعرون وازدرائيلون وينتهى هذا اللسان عند جبل الكرمل قرب حيفا .

نهر العوجة السابق ذكره ونهير كيشون فى سهـل ازدرائيلون هما تقريبـا مجريا المياه الوحيدان اللذان تجرى فيهما المياه طول السنة . وتكفى مياه الآبار العميقة حاجة الأهالى العادية لكنها لاتسد حاجة الجيش دون إصلاح وآلات خاصة .

سهول فلسطين بوجه عام صحية ولو أن الاحتياطات الخاصة للوقاية من الملاريا يجب مراعاتها . وصيفها حار ولكن يمكن تحمله ومع ذلك فرياح الخماسين تضايق كثيرا وتسبب ظمأ لا يطاق .

أهم ظواهر الطقس انقسامه الى فصلين فصل الجفاف وفصل الأمطار. ويستمر فصل الأمطار بانتظام من نوفمبر الى مايو وتسقط أمطار قليلة فى نهاية أكتوبر ومارس وأبريل . أما المدة من أبريل الى أكتوبر ففصل جفاف تام . وتنقلب مساحات متسعة من السهول فى فصل المطر الى بحر من الطين وتصبح الطرق غير صالحة للسير فى الغالب.

(ب) تلال يهوذا : وتشمل هضبة ضيقة متوسط ارتفاعها ٢٤٠٠ قدم (ارتفاع قممها ٣٥٠٠ قدم تقريبا) ويخرج منها كثير من السنة التلال عمودية عليها ومتجهة شرقا وغربا ولذا يمكن تشبيهها بالسلسلة الشوكية للسمكة . ويجعل اتجاه السنة التل هذه التى تقع بينها وديان عميقة تقدم القوات بجوار الهضبة نحو الشمال أو الجنوب من أشق العمليات وخاصة اذا صادف التقدم أية مقاومة. والقسم الشمالى لسلسلة الجبال هذه المسمى السامرة مكشوف وأخصب من غيره . والجو شتاء قد يستمر قارسا عدة أيام ورغم ذلك فقليل جدا من الأجواء ما هو أصح وأفضل من جو يهوذا، وتسقط على القدس أمطار غزيرة فى شهور فصل الأمطار الخمسة وتتسرب مياه الأمطار للخارج لقلة محلات تخزين المياه ولذا فامداد القوات الكبيرة بالمياه صيفا اذا كانت فى الجبال من أعقد المسائل . ولم يكن فى الجبال من الطرق الصالحة للعربات سنة ١٩١٤ الا طريقان أحدهما يسير من الشمال للجنوب مارا بالناصرة ونابلس والقدس والخليل ثم بير السبع . والثانى من الشرق للغرب مارا باريحه والقدس ويافا. وبالنسبة لأن طرق المواصلات محدودة ولأن طبيعة الأرض تساعد المدافع كثيرا فان عمليات الجيش المهاجم فى تلال يهوذا لابد وأن تكون بطيئة وهذا ما يسبب حصول الوقائع المهمة بالسهول .

(ج) وادى الأردن — بين التاريخ أن وادى الأردن والبحر الميت كانا عقبة كؤود فى التحرك بين جبال يهوذا وجبال معاب وبالنهر عدة مخاضات

رغم سرعة تياره ووجود المستنقعات على شاطئيه ولا يزيد عرضه عن ٧٠ قدما أو ٨٠ ولذلك لا يعـــد النهر لذاته مانعا عظيما . ولكن شدة انحدار الجبلين عند الوادى وانعـدام المواصلات ومظهره الخارجى الكرية وحرارته الشديدة كل ذلك حدد من اختلاط سكان هذين الجبلين وكذا القوات العسـكرية . ومنذ دخول سـيدنا موسى أرض الميعاد لم يذكر إلا القليل عن تحركات الجيوش ضـد (قلاع) يهوذا السـابق وصفها . ومع ذلك فان قوات الجـنرال اللنبي جعلت الأتراك يعتقدون فى سـنة ١٩١٨ أن مجهودهم الأساسى سيكون عبر الأردن (أى فى الجنب الشرقى منه) وذلك بقيامهم بغارتين الى الشرق وببقائهم بالوادى طول الصيف الطويل متحملين الحرارة الاستوائية.

(د) شرق الأردن — تسير فوق الهضبة الواقعـة شرق نهر الأردن السكة الحديدية من دمشق للحجاز التى يتفرع منها عند مواصلة الدرعا الخط الحديدى التركى الموصل لفلسطين ، وهـذا ما اكسب شرق الأردن أهمية عسكرية عظمى مدة الحمـلات . وكانت السكة الحديدية وكل شرق الأردن أيضا معرضا للغارات من الصحراء وهذه الغارات كما فهم الأتراك فيما بعد كانت نوعا من الهجوم ليس من السهل القيام بضده .

أما الارض المسماة سوريا هنـا فهى الواقعة بين البحـر الأبيض المتوسط والصحراء وما بين حلب فى الشمال والخليل فى الجنوب[1] وتمتد سلسلتا الجبـال السابق وصفهما الى سوريا أيضا . وعلى ذلك تمتد جبال يهوذا مع زيادة فى الارتفاع بحذاء الشاطئ حتى جبال طوروس ويسمى قسمها الجنوبى جبال لبنان . والسهل بين الجبال والبحر فى سوريا ضيق جدا ، أما امتدادا جبال معاب فى سوريا فيسمى جبال هرمون ولبنان الصغير ، وبين لبنان ولبنان الصغير يقع السهل الخصب المسمى البقاع الذى يعتبر من الوجهة الجيولوجية مبدأ الشق الذى به نهر الأردن . وينحدر جبل هرمون من الجهة الجنوبية الى هضبة حوران التى تنتج محصولا كبيرا من القمح ، ويقع شرقها جبل الدروز موطن شعب غريب دائم الاضطراب ، وحول حمص شمال لبنان الصغير تحـدر الجبال الشرقية لهضبة متسعة ممتدة شمـالا بشرق حتى

(١) تشمل سوريا فى الحقيقة فلسطين أيضا .

الفرات ، والأرض بين حمص وحلب مسطحة مستوية ، وسوريا أكثر خصبا من فلسطين وترويها جملة مجارى مياه متسعة ولذلك تقل كثيرا صعوبة تزويد قوة كبيرة بالمياه ، وجوها مشابه لجو فلسطين .

ما سبق هو وصف جغرافى مختصر لمسرح الحـرب وأكثر ما يستلفت نظر قائد الجيش الغـازى الذى درس طبيعة الأرض التى سيسير فيهـا هو الاختلاف البين فى طبيعة الأراضى والجو والصعوبات الجدية من جهة المياه وما يحتمل أن تسببه الأمطار من التأثير فى العمليات الحربية وأخيرا فى سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٦ الافتقار إلى الخرائط الجيدة [١] أضف الى ذلك الاعتبار الحيوى لأى قائد جيش عظيم وهو كفاية وسائل المواصلات البحرية والبريه والحديدية أو عدم كفايتها لتحمل التحركات التى سيقوم بها وسياتى ذكر ذلك الموضوع فى الصفحات التالية .

(ا) المواصلات البحرية — بخلت الطبيعة بالموانىء على سوريا وفلسطين ، ففى الأولى الاسكندرونة وبيروت وكلتاهما غير وافية ، ورغم أن مرسى حيفا متوسط إلا أنه عديم التسهيلات ، ويمتد الشاطئ من جنوب حيفا لمصر على خط مستقيم خال من التعاريج التى توجد أجوانا تصلح ملاجئ للسفن الحربية . ويافا — وهى الوحيدة التى يجوز أن تسمى ميناء — لا تزيد عن كونها مرسى مكشوف من الخطر النزول به برا . وقد حصلت محاولات كثيرة لبناء موانى بفلسطين ولكنها باءت بالفشل كلها ، ولذا فالشاطئ كما قال أدام سميث مملوء بحطام الموانى .

وتبعا لذلك لم تنجح للآن مهاجمة فلسطين من البحر . وتيار البحر الشديد وأمواجه التى تيكسر دواما على الشاطئ . تجعل نزول الجنود أو المؤن للبر مسألة صعبة وعرضة للتعطيل عدة مرات قد تطول الواحدة منها الى بضعة أيام ، وقد عرقل ذلك تموين الجيش فى هذه الحملات لدرجة عظيمة .

(ب) السكك الحديدية التى كانت بفلسطين وسوريا عند نشوب الحرب مبينة بالجدول التالى من الشمال للجنوب .

(١) أحسن الخرائط الموجودة وقتئذ كانت خريطة رسمها اللورد كتشنر سنة ١٨٧٨ وهو ملازم بالمهندسين وكانت جيدة لحد ما ولكن التفاصيل لم تكن دواما مضبوطة ضبطا كافيا للاغراض التكتيكية .

ويلاحظ أنها ذات ثلاث اتساعات مختلفة ، ومع ذلك فتمد كان الخط مستمرا من حلب الى العفولة مع تغيير فى الاتساع عند الرياق .

(ج) الطرق — كانت الطرق المدكوكة بفلسطين وسوريا قليلة ولكن الدروب كانت تصلح فى فصل الجفاف لسير العربات ومنها عربات الحملة الميكانيكية الثقيلة أما فصل الأمطار فكان يعرقل التحركات وخاصة تحركات الحملة الميكانيكية ، ومن المناسب هنا أن نذكر المواصلات التركية لجبهة فلسطين اذ كان يتوقف عليها مستقبل الحملات لدرجة كبيرة وكانت هذه المواصلات معقدة كل التعقيد ومن الصعب جدا تنظيمها ولم تكن إلا موطن ضعف فى الأتراك .

السكة الحديدية	الاتساع	الطول بالميل
١ — المسلمية (شمال حلب مباشرة — مواصلة سكة حديد بغداد —) حلب ، حمص ، الرياق	العادى	٢٠٠
٢ — حمص — طرابلس	»	٤٠
٣ — بيروت — الرياق — دمشق — مزريب ...	١,٠٥ مترا	١٥٠
٤ — دمشق — درعا — عمان — معان — المدينة (سكة حديد الحجاز)	(٣,٥ قدم)	٨٥٠
٥ — درعا — مزريب — وادى اليرموق — عفولة (فرع من سكة حديد الحجاز)	»	١٠٠
٦ — عفوله — سيله (فرع من سكة حديد الحجاز جارى إنشاؤه الى نابلس	»	٢٥
٧ — يافا — القدس	١,٠٠	٤٥

تبتدئ سكة حديد بغداد من حيدر باشا (تجاه الآستانة على الشاطئ الاسيوى للبسفور) وكانت القاعدة الأصلية للقوات التركية بفلسطين والعراق . وكان الخط الحديدى المفرد بالاتساع العادى من حيدر باشا لمواصلة المسلمية — شمال حلب — يغذى مسرحى القتال . وكان الخط سنة ١٩١٤ غير تام عند موضعين . ولم تكن

النفق قد تمت فى جبال طورس (عند بوظانتى خان شمال أطنه) ولا فى جبال عمانوس (شمال غرب حلب) ولذا استلزم الأمر نقل كل شيء — رجال ومهمات — بالبر عبر تلك الجبال ، وكانت حالة الطرق فى الشتاء وخاصة فوق جبال أمانوس تسبب تعطيلا مستمرا . وأخير حفرت النفق باتساع يسمح بسير سكة حديد ضيقة ولكن نفق طورس لم يتم استعماله للسكة بالاتساع العادى إلا قبل الهدنة بوقت قصير فى نوفمبر سنة ١٩١٨ (١) من ذلك يرى أن الشحنة كانت تشحن وتفرغ أربع مرات ما بين حيدر باشا وحلب وحجزت حملات حيوانية وميكانيكية كبيرة وقيمة للنقل عبر الجبلين .

أما الجزء الثانى من حلب للرياق فكان مستقيما بلا متاعب سوى النقص المستديم فى الوقود والعربات . وعند الرياق يستلزم اختلاف اتساع السكة الحديدية أن تفرغ الشحنة مرة خامسة ، وكان بين الرياق والقدس ودرعا (الى هنا كانت تحمل مؤنة القوات التركية فى الحجاز على نفس الخط) الخط المفرد الضيق (اتساعه متر) الذى كان موجودا قبل الحرب والذى كان يسير الى قرب نابلس. كانت السكة الحديدية بين درعا وعفولة تسير فوق عدة كبارى ونفق مهمة بوادى اليرموق وهذا ماجعلها معرضة لخطر الغارات أو النسف . وعند اعلان الحرب خطا الأتراك خطوات سريعة لمدها الى حدود فلسطين مستخدمين مسنر باشا مهندس سكة حديد الحجاز ، مارة بطلكرم وامتداد السهل الساحلى الى اللد بعيدة عن البحر قدر الإمكان لتجنب أى غارات تقوم بها جماعات تنزل بالبر . ومن اللد استخدم الطريق الحديدى ما بين يافا والقدس (مع تغيير بسيط فى اتساعه) إلى محطة المواصلة ومن هذه إلى بير السبع ، وقد وصلتها السكة الحديدية فى أكتوبر سنة ١٩١٥ ، وقد استغنى عن الخط الحديدى بين يافا واللد لأخذ فلنكاته والأدوات الأخرى لمد هذا الخط الحديدى . كما استغنى عن سكة حديد بيروت بين دمشق ومزريب . وفى سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ عند ما حاول الأتراك الوصول للقناة مدوا الخط من بير السبع إلى العوجه على حدود سيناء . وفى سنة ١٩١٧ مدّوا فرعا من محطة المواصلة جنوبا إلى غزة .

---

(١) اشتغل بعض الانجليز الذين أسروا فى كوت فى هذه النفق و يقال أنهم كانوا يتلفون بكل وسيلة ممكنة الطائرات الألمانية التى كانت تمر بهم فى طريقها لفلسطين .

علاوة على طول خط المواصلات هذا (١٧٥ ميلا من حيدر باشا إلى غزة وبير السبع) ورغم الشحنات الخمسة كانت قلة الوقود والعربات مصدر متاعب مستمرة . ولم تكن هنـاك ورش بالمعنى المفهوم ، ولذ لم تمش حركة إصلاح القطارات والعربات مع الحاجة إليها ، وقد منع الحصار البحرى الذى وضع بعد بدء الحرب بزمن قصير استيراد الفحم منعا باتا ، ولذا اضطر الأتراك لإستعمال الخشب بدله مع ما بينهما من فرق فى القوة وحتى الخشب كان يصعب الحصول عليه أحيانا . ومما ضاعف ارتباك المواصلات التركية عدم كفاءة الأتراك والفساد الذى كان متفشيا والذى عجزت عن إصلاحه هيئة أركان الحرب الألمـانية . وترتب على ذلك أن الإمدادات التى ترسل من الاستانة كانت لا تصل الميدان إلا بعد شهر على الأقل وستة أسابيع ، وعند ما كانت السكة الحديدية مزدحمة كانت تسير برا من الرياق إلى جنوب فلسطين أى مسافة ٢٥٠ ميلا .

بقيت مسألتان كان لها بعض التأثير على العمليات لا بد من ذكرهما هنا ولو أنهما لا يمتان بصلة للجغرافيا .

الأولى — شعور أهالى مصر وسيناء وفلسطين وسوريا نحو القوتين المتحاربتين أما عن مصر فيكفى أن نقول إن الأتراك بالغوا فى اعتقادهم إحتمال قيام المصريين على الإنجليز للعودة إلى سيادة تركيا ، وبوجه عام كان المصريون عامة لا يبالون بالحرب بقدر ما فى استطاعتهم . أما البـدو من سكان سيناء فكان لا يهمهم إلا اكتساب المنفعـة بالخدمة كأدلاء أو جواسيس لأقرب فرد يستخدمهم أو لمن يدفع أجرا أعلى أو بالسلب متى سمحت لهم الفرصة . أما سكان سوريا وفلسطين فرغم بقائهم تحت الحكم التركى زمنا طويلا إلا أنهم ما كانوا يميلون للأتراك إلا إذا استثنينا البعض مثل الجاليات الألمـانية بفلسطين . ولا شك أن شعور الأهـالى كان فى أواخر الحرب فى جانب الإنجليز الفاتحين . أما أهالى الحجاز وكثير من قبائل صحراء العرب فقد أعلنوا صراحة انضمامهم للحلفاء كما سيأتى بعد .

والثانية — الأهمية التى قدرتها حكومات الحلفاء لبعض الاعتبارات السياسية المحضة . وليس هنـا محل مناقشة المواثيق المختلفـة — التى تكاد تتعارض مع بعضها — والتى ارتبطت بها الحكومة الانجليزية مع العرب (المعاهدة مع الملك حسين) ومع الفرنسين (اتفاق سيكس — بيكو) ثم مع العـالم اليهودى (وعد

بالفور) فوجود هذه المواثيق الثلاثة ومطالب فرنسا التقليدية بامتيازها فى سوريا وأهمية القدس كبلد مقدس عند الأديان الثلاثة كان لكل ذلك قيمته ، الشىء الذى زاد من قلق القائد العام وهمومه .

٢ – علاقة الحملات بالحرب بوجه عام

غالبا ماتوصف حملات التجريدة المصرية بأنها عرض ثانوى . فاذا قصد من ذلك التعبير ان الحملات كانت خططها توضع وتنفذ مستقلة عن سير الحوادث فى الميدان الرئيسى بأوروبا أو فى الميادين الأخرى فان ذلك الوصف مخالف للواقع وللبرهنة على ذلك بطريقة تصورية نعتبر خطوط قتال القوات البريطانية والحلفاء خطا واحدا ممتدا فى بلجيكا وفرنسا وايطاليا والبلقان والبحر الأبيض المتوسط وحدود مصر الشرقية وبلاد العرب والعراق إلى حدود الهند أيضا . وتعتبر الحرب كلها موقعة واحدة مستمرة سارت طبقا للمبادئ المذكورة بقوانين خدمة الميدان التى كان معمولا بها قبل الحرب . فاذا اعتبرنا أن الموقعة دامت سنوات بدلا من أيام وانها وقعت على مئات الأميال لا على آلاف الياردات فموقعة كبيرة كهذه كما جاء بقوانين خدمة الميدان تتركب عادة من ثلاثة مراحل : الأولى وبها تتصادم القوات الأمامية وتحت وقايتها يضع القواد خططهم وينفذونها بينما تظهر جيوشهم كل بأسها . وهنا يصبح اعتبار الجيش البريطانى العامل – انجليزيا كان أو هنديا – المقدمة التى حمت الأمة البريطانية حتى أظهرت للعالم قوتها الحربية ، وقد استغرقت هذه العملية السنتين الأوليتين من الحرب تقريبا . أما المرحلة الثانية وهى التى دخلت فيها القوات الرئيسية الموقعة فكانت تشمل الكفاح لاكتساب التفوق فى النيران ولارغام العدو على استنفاذ احتياطيه تحضيرا للهجوم النهائى ويمكن القول أن هذه المرحلة استمرت فى النصف الأخير من سنة ١٩١٦ وكل سنة ١٩١٧ ، أما المرحلة الثالثة فكانت تشمل الهجوم النهائى الحاسم أو الهجوم المضاد واستغلال النجاح بمجرد أن تنكسر خطوط العدو وهذه المرحلة استغرقت طوال سنة ١٩١٨ .

ومن الجائز أن المراحل السابقة لم تكن مقصودة إلا أن نظرة إلى الحرب تجعلنا نظن أن ماسبق هو ماكان يدور فى خلد المسئولين عن الأستراتجى بوجه عام فى الامبراطورية البريطانية ، وقد تساعدنا هذه الصورة على فهم الآراء الاستراتيجية

التى كانت تبنى عليها أوامر مجلس الحرب فى لندن والتى كانت أساس حملات التجريدة المصرية . وقد تمت الحملات فعلا فى ثلاثة مراحل — سيناء وفلسطين وسوريا — مماثلة بوجه عام لمراحل الموقعة الثلاثة التى سبق الكلام عنها .

وقد كان المقصد الأساسى من احتفاظ بريطانيا بقوات بمصر يسيطا محدودا وهو إيجاد قوة تحرس خط المواصلات الرئيسى العظيم الأهمية . وسيظهر فيما بعد مادعاها إلى اتباع سياسة هجومية . ومع ذلك يصح ذكر اجمالى العوامل الثلاثة التى دعت إلى ذلك . فالعامل الأول هو أن مشروع الدفاع عن قناة السويس بوضع قوات على طول امتدادها البالغ مائة ميل كان بلا شك اسراف فى القوات وقد وجد أن التقدم لحدود فلسطين الجنوبية أفضل وسائل الدفاع وأكثرها اقتصادا ، وثانيها أن الحوادث التى وقعت فى الميادين الأخرى كان لها تأثير على الاستراتيجى فى ميدان فلسطين واستوجبت اتباع سياسة هجومية ، وثالثها ان لبعض الاعتبارات التى كانت سياسية أكثر منها استراتيجية — تأثير عظيم فى بعض الأوقات .

قد يقال أنه إذا أصبح القيام بعمل هجومى ضد الجيوش التركية فى سوريا وفلسطين ضروريا فان القوة البحرية كانت وسيلة أكثر قوة وسرعة عن الحملة البرية الطويلة التى أرسلت . ومن النظرة الأولى قد يكون من المستغرب أن أقوى دولة بحرية فى التاريخ ترسل قواتها من مصر إلى حلب سائرة ٥٠٠ ميلا بينما غرضها لايبعد عن البحر إلا ٧٥ ميلا . ولكن الأسباب لاتخفى ، لحلب لم تصبح غرضا إلا أخيرا أعنى فى المراحل الأخيرة من الحرب . فعند ما سارت القوات لأول مرة من قناة السويس كان غرضها الاحتفاظ بالسيطرة على صحراء سيناء .

أما تطور واجبها وتكاليفها بتوجيه ضربه حاسمة ضد الامبراطورية العثمانية فكان عملية تدريجية . أضف إلى ذلك أن توجيه القوة البحرية والعسكرية فى مسرح الحرب كان يحدده عدة عوامل . فقلة الموانى وانعدام السلامة فى إنزال قوات لشواطىء فلسطين وسوريا قد سبق الكلام عنهما . وعلى كل فان نمو الجيوش الحديثة وضخامة بعض مهماتها الضرورية التى لا غنى عنها كالمدافع الثقيلة واللوريات يحددان من مدى صلاحية عمليات إنزال الجنود للبر إلا كتمهيد لامتلاك ميناء تامة التجهيز والصلاحية لتستعمل كقاعدة . أضف إلى ذلك أن الغواصات كانت وقتئذ خطرا عظيما حقيقيا فى البحر الأبيض المتوسط

وكان التغلب عليها فى ذلك البحر أصعب منه فى بحار بريطانيا. ويعلم الجمع أن بريطانيا عند بدء الحرب حاولت استعمال قوتها البحرية ضد تركيا فقد أرادت أن تضربها ضربة قاضية فى أوائل الحرب باختراق الدردنيل عنوة ولم يشجع فشلها فى ذلك على القيام بعمليات إنزال جنود للبر فى جهات أخرى، ومع ذلك فقد كانت سيطرتها على البحار عاملا مهما فى حملات فلسطين. فعلاوة على المساعدة المادية التى قدمتها السفن الحربية فى الوقائع التى وقعت قرب الشواطىء داخل مرمى مدافعها، وعلى الكميات الهائلة من التعيينات الضخمة التى أنزلتها سفن المخازن للبر أثناء مراحل التقدم المختلفة، فإن التأثير المعنوى للقوة البحرية كان عظيم القيمة. فقد اضطرت تركيا للاحتفاظ بعدد عظيم من وحداتها ومدافعها البعيدة المرمى للدفاع عن شواطئها، وأرغمتها على مد السكة الحديدية فى جنوب فلسطين فوق أرض أصعب وأبعد عن البحر. وساعدت الجنرال اللنبي فى واقعة غزة الثالثة على خديعة الأتراك فى اتجاه الهجوم الانجليزى. ولا ينسى أن البحرية الانجليزية هى التى كثيرا ما قدمت المساعدات المناسبة وبثت الطمأنينة فى عرب الحجاز الثائرين. وأخيرا يلاحظ أن المواصلات البحرية بين انجلترا والهند رغما عن طولها كانت أفضل من وجهة الاقتصاد فى الوقت من الخطوط الضيقة لمواصلات تركيا الحديدية بين الاستانة والجبهة.

لنتكلم الآن عن تركيا. ارتبطت تركيا فعلا مع ألمانيا بمعاهدة قبل أن تطلق طلقة واحدة بأوربا وكانت انجلترا تجهل ذلك. وأمضت تركيا الأشهر الثلاثة التى كانت فيها محايدة اسميا — من أغسطس سنة ١٩١٤ إلى نوفمبر — فى الاستعداد انتظارا لاشارة من ألمانيا (١) ولم تعلن للآن بنود الميثاق ولكن لا شك أن تركيا وعدت بتوسيع ممتلكاتها بضم بعض ولايات القوقاز التابعة لروسيا وربما أزربيجان أيضا التابعة لايران المملكة الضعيفة السيئة الحظ. ومن الجائز أنها شجعت على أن تأمل فى استعادة سيادتها على مصر ولو أنه ليس من المعقول أن ترضى ألمانيا بأفلات الرقابة الفعلية عليها من يدها. ولاشك فى أن ألمانيا كانت تؤكد للمغامرين الذين كان بيدهم السلطة فى تركيا — أنور وطلعت وجمال — أنهم قادمون على شيء لاشك فى نجاحه وإلا فلا جدال فى أن السياسة التركية كانت خرقاء، فأن مكسبها

(١) أنظر الباب ١٧ من الطبعة المنقحة لكتاب الأزمة العالمية تأليف ونستون تشرشل.

ضئيل وخسارتها عظيمة[1] . وكانت ماليتها ومخازنها العسكرية واحتياطها في الرجال قد نضب معينه بسبب الحروب العديدة المتعاقبة وكذا كانت تعتمد كل الاعتماد على ألمانيا في المال والمؤونة وكان الثمن الذى دفعته هو خضوعها لما تمليه عليها الاستراتجي الألمانية وخضوعها لحد عظيم للرقابة الألمانية على ادارة جيوشها وتوجيهها ، ولذا فلم تكن الشركة بينهما شركة مرضية وقد تألم الأتراك من التدخل الألماني الذى كثيرا ما كان خاليا من الذوق وبسبب مقاومتهم السلبية ضاعت عبثا مجهودات الألمان لاحلال النظام محل الارتباك ، وكان غضب الألمان عظيما لقلة كفاءة حلفائهم وعدم ميلهم للتغيير . وقد كانت أغراض الاثنين الا ستراتيجية متباينة من أول الأمر . فاذا استثنينا القتال في غليبولى القصير الأجل فان الأتراك كانوا يقاتلون دواما في ميادين ثلاثة ، في القوقاز ضد روسيا وفى فلسطين والعراق ضد الانجليز . وكان القوقاز في نظرهم أهم الثلاثة لقربه من الأناضول قلب أمبراطوريتهم النابض وكانت تركيا تميل الى التوسع الاستعمارى في القوقاز عن غيره . أما ألمانيا فلم يكن يهمها مجهود تركيا ضد الروسيا لقلة الفائدة التي تعود منه على دول الوسط في قتالهم الأساسى . وحاول الألمان كثيرا تحويل ضغط القوات التركية الأساسى إلى أغراض أخرى ، ففى أواخر سنة ١٩١٦ كانت نخبة الجيش التركى تقاتل من أجل ألمانيا في أوربا ضد الروسيا ورومانيا بينما أهملت ميادين أسيا ، ومن ذلك يرى أن الاحتكاك بينهما كان دائما . وكان أمل الألمان أن يستفيدوا من حلفائهم الأتراك في شيئين مهمين قد يكونان قفل الدردنيل لفصل الروسيا عن حلفائها وإرباك بريطانيا التي تحكم الكثير من المسلمين باعلان الرئيس الدينى للاسلام العداء لها . ولكن الجهاد الذى أعلن في نوفمبر سنة ١٩١٤ كان قليل الفائدة واتخذت بريطانيا الوسائل الضرورية لمقابلة الدعاية الألمانية في بلادها الاسلامية .

(١) لا يجب أخذ كلام التركى قضية مسلمة فقد ذكر أحد سفراء بريطانيا في تركيا الآتى :

" إذا أردت أن تعلم ما يحتمل أن يفعله الموظف التركى فقدر أولا ما الذى يعود عليه بفائدة . ثم ما الذى يفعله أى رجل آخر لو كان محله وأخيرا ما الذى يتوقع من كل فرد أنه يفعله . وبعد أن تحقق من كل ذلك يكون لديك الشيء الكثير الذى يمكنك أن تتأكد من أنه لن يفعل أى شيء من الأشياء الثلاثة السابقة .

لو تيسرت لتركيا مواصلات متوسطة الجوده فان موقعها الجغرافى كان يكسبها ميزة المواصلات الداخلية بين ميادينها الأسيويه الثلاثة ولكن المواصلات كما سبق القول كانت رديئة كل الرداءه وغير كافية وكانت مواصلاتها للميدانين الاسيويين الأخيرين أردأ من مواصلاتها مع فلسطين وقد سبق وصف ضعف المواصلات التركية إلى الجبهة الفلسطينية ، وقد عجز التنظيم الألمانى نفسه عن إزالة هذه العقبة .

ملاحظة — الظاهر أن الأتراك قد احتجزوا أمامهم من قوات أعدائهم أكثر مما كان لهم من قوات بهذه الميادين وبذلك أفادوا ألمانيا كحليفة لها فائدة عظيمة من هذه الناحية، وللارقام خطورتها، والجدول الآتى بعد هو بيان تقريبى لعدد البنادق وهو يعطى فكرة عن قوة الحلفاء والأتراك النسبية فى الميادين الأساسية فى أواخر الحرب :

	أغسطس سنة ١٩١٧		أغسطس سنة ١٩١٨	
	الأتراك	الحلفاء	الأتراك	الحلفاء
القوقاز	٦٤٠٠٠	١٣٢٠٠٠	٥٦٠٠٠	١٦٠٠٠٠ (قيمتهم الفعلية ضئيلة جدا)
فلسطين	٣٦٠٠٠	٩٦٠٠٠	٣٦٠٠٠	١٠٠٠٠٠
العراق	٣٥٠٠٠	٨٥٠٠٠	٢٢٠٠٠	١٠٠٠٠٠

(٣) الجيش التركى

كانت الأمبرطورية سنة ١٩١٤ مركبة من شعوب وأديان مختلفة فكان فيها التركى والعربى والأرمنى والكردى والسورى وغيرهم . وكان تركى الأناضول عماد الأمبراطورية فهو جندى شجاع خشن ذو مقدرة فائقة وجلد عظيم على تحمل المتاعب والحرمان وقد ورث الميل للحروب والشجاعة الفائقة فى القتال . وكانت هذه كلها ولا تزال أرقى الفضائل العسكرية ، ولكن الحروب الحديثة تتطلب علاوة على ما سبق المهارة الفنية فى استعمال الأسلحة والمهمات المعقدة والقوة المعنوية

الدائمة التى ما هى إلا وليدة التربية الراقية وقد كان الفلاح التركى الأمى الجاهل محروما من كل هذه الصفات فكثير من الضباط كان يقرأ و يكتب بصعوبة . أضف الى ذلك أن المهمات الفنية التى كان الجيش مجهزا بها كانت كلها قديمة كل القدم .

أظهرت حروب البلقان مع بلغاريا والصرب سنة ١٩١٢ النقائص العديدة الموجودة فى الادارة العسكرية التركية ، وكبدتهم هذه الحرب خسائر فادحة كانت من نصيب أكثر سكانها عسكرية . و بعد هذه الهزيمة لجأت للمرة الثانية لألمانيا طالبة مساعدتها فى جعل وسائلها العسكرية عصرية حديثة. وأجاب الألمان الذين سبق لهم أن أمدّوا الجيش التركى بمدربين كثيرين هذا الطلب وأرسلوا فى أواخر سنة ١٩١٣ الجنرال ليمان فون ساندرس على رأس بعثة عسكرية مكوّنة من ٧٠ ضابطا ألمانيا، ولم يتوفر للبعثة الوقت الكافى لإحداث أى تغيير واضح حتى إعلان الحرب الأوروبية(١)

فى أغسطس سنة ١٩١٤ كان الجيش التركى مكوّنا من ٣٦ فرقة كلها دون المرتب وقد أنشئت ٣٤ فرقة أخرى(٢) أثناء الحرب لأن الخسائر الجمة كثيرا ما كانت تسبب حل بعض الوحدات ، فلم يوجد بالميدان فى أى وقت من الأوقات أكثر من ٣٤ فرقة . وكانت الفرقة عادة مكوّنة من ٣ الايات (كل من ٣ أورط وجماعة مدافع ماكينة) وأورطة بنادق ومن ٢٤ مدفع ميدان الى ٣٦ والخدمات (الأسلحة) الأخرى الضرورية . وكانت قوّة الفرقة فى الواقع مختلفة اختلافا عظيما . والفيلق التركى يتركب من فرقتين أو ثلاثة ، وكان النقص عظيما خطيرا فى المدفعية الثقيلة والوحدات الفنية والحملات والتموين وأفراد الخدمة الطبية ومهماتها . ولم يكن هناك قوّة جوية فعالة . حاول الألمان إصلاح هذا النقص ولكن صعوبة المواصلات حتى انضمام بلغاريا لدول الوسط وحتى اكتساح الصرب عرقلت وصول المؤونة الى تركيا . وكانت ألمانيا نفسها فى حاجة ملحة الى هذه المؤونة أيضا ، ومع ذلك ففى نهاية الأمر كانت قد أمدت تركيا بالمهمات و بمعظم الأفراد

(١) لم تكن علاقات ليمان فون ساندرس طيبة تماما مع أنور العنيد المغرور الذى كان يتجاهل مشورته عادة ولم يكن ليمان فون ساندرس نفسه سياسيا فقد كان دائم الشجار لا مع السلطات التركية وحدها بل ومع الموظفين الألمان فى الآستانة .

(٢) كونت بعض هذه الفرق (فرق القوقاز) بادماج بعض الفرق التى كانت موجودة وقتئذ .

اللازمين للسلاح الجوى والأشارة والحملات الميكانيكية والأسلحة الفنية الأخرى وأمدتها أيضاً ببعض الأورط المشاة وساعدتها النمسا بقليل من المدفعية الثقيلة وأفراد الخدمة الطبية . وقد كان الألمان يرمون كلما طال أمد الحرب الى وضع أيديهم على وظائف أركان الحرب الرئيسية بالجيوش التركية والى تولى ادارة السكك الحديدية . وقد سببت مطالبتهم بهذين احتكاكا عظيما وخاصة لأن أغلب الألمان كانوا لا يراعون واجبات اللياقة و يصعب احتمالهم . وفى الوقت الذى كان الألمان يصرون فيه على أن يرسلوا لوحداتهم الكثير من التعيينات والملابس ووسائل الراحة مهما كانت خطوط المواصلات مزدحمة كانت الوحدات التركية تنقصها فى أغلب الأوقات هذه المأكولات واللوازم الأخرى ، وكان هذا التباين كبيرا لدرجة سببت التململ . علاوة على ذلك فالألمان رغم كفاءتهم ناتهم أن يقدروا حق التقدير خاصيات ووسائل حلفائهم العسكرية ، فكثيرا ما أمروا بهجوم مضاد أو أو بتحركات أخرى تستلزم عملا سريعا ومناورات دقيقة يجهلها الأتراك كان مآلها الفشل وترتب عليها تبادل الاتهامات . ومجمل القول فان كل ما سبق عمل على اتلاف الاداة العسكرية بدلا من أن يعمل على انتظام سيرها .

قيل أن الأتراك جندوا أيام الحرب ٢,٧٠٠,٠٠٠ جندى وهذا يعتبر نسبة مئوية كبيرة للائقين للخدمة العسكرية ولكن اذا قدرنا الخسائر الجمة والعدد الكثير من الجنود الهاربين أمكن القول بأن قوة الجيش لم تزد عن ٦٥٠,٠٠٠ مقاتل . ورغم قلة التعيينات وضعف المهمات والجهل التام بأسباب الحرب وأغراضها فقد احتفظ الجندى التركى القح من أهالى الأناضول بروحه المعنوية وقاتل بعنف حتى النهاية . ولكن الشعوب الأخرى التى لجئوا الى تجنيدها عندما طال أمد الحرب كثر منهم الهاربون والكارهون .

رغم ما بالتنظيم التركى من نقائص فإن الجندى التركى جدير بأن لا يحتقر فهو مشاء جيد و يمكنه الاستغناء عن الكثير من الحوائج الضرورية للجيوش الأوروبية ، وهو فى الدفاع خصم عنيد لنظرته الصحيحة للأرض ومهارته فى تخطيط المواقع الدفاعية وحفر الخنادق واستماتته فى الدفاع عنها ، وفى العمليات الهجومية كان يهجم دائما ببسالة ولكنه كان فى أغلب الأوقات قليل المهارة . ويحسن جندى المدفعية التركية استعمال المدفع ويجيد إصابة الهدف . أما الفارس فكان ضعيفا قليل النفع .

تتوقف أهمية هذه الدروس التكتيكية المستفادة من هذه الحملات لدرجة عظيمة على قيمة الجندى التركى من الوجهة العسكرية . وحقيقة إنه لا يضارع الجندى الألمانى فى صفاته العسكرية ولكنه مع ذلك يجعل أمته فى مقدمة الأمم العسكرية فى العالم . ولا يمكن للجيش البريطانى أن يحقر من شأن الجندى الذى أرغمه على ترك مشروع غليبولى والذى أسر فرقة كاملة عند كوت والذى اخترق صحراء سيناء حتى وصل إلى قناة السويس والذى صدّ الهجومين الأولين على غزه .

وقد أجاد ه . س . جوليت فى الجزء السابع من " التاريخ الرسمى الأسترالى " فى وصف الجندى التركى فقد قال : " وقد تكون هذه الحملات خطيرة على الروح المعنوية والمقدرة على القتال لأى جيش أوروبى يقوم بمثل هذه العملية . ولكن التركى كمقاتل ، حتى ولو كان سيء التغذية ورديء التسليح ، يبز كل جندى فى العالم فهو خصم خطير جدا — و يستمر كذلك شهرا بعد شهر وسنة بعد أخرى — لأى قوات أكثر مدنية تحارب فى ظروف أكثر مناسبة ، ولن يقلل من كفاحه أى شيء مهما كان مثبطا للعزيمة وهو فى الوقت نفسه لن يتأخر عن الهجوم إذا وجد الفرصة المناسبة .

ملاحظة : ليس من السهل معرفة عدد القوة التركية فى أى وقت أو عملية . فعلاوة على الصعوبة التى يعرفها جميع الجنود فى التمييز بين عدد " المحاربين " أو " التعيينات " أو " البنادق " فإن الأتراك كانوا يهملون فى طلب اليوميات المضبوطة أو الاحتفاظ بها . ولأن القوة المهزومة تميل دائما إلى الإقلال من عددها . والقوات المبينة بهذا الكتاب مقدرة على أفضل التقديرات الميسورة ومع ذلك فلا يصح اعتبارها دقيقة مضبوطة . وقد جاء فى " التاريخ الرسمى لحملات العراق " فيما يختص بهذه النقطة بصحيفة ٢٦ بالباب الثانى من الجزء الأول : لا يمكن تقدير عدد القوات التركية أو تسليحها تقديرا مضبوطا فى أى وقت . وتقديرات الأتراك أثناء الحرب أو بعدها لا يعتمد عليها فى الغالب فكثير من الخسائر لم يبلغ عنها . ولم تكن اليوميات المزيفة مجهولة كل الجهل .

المرحلة الأولى – سيناء

الباب الثانى

الدفاع عن قناة السويس

١ – الهجوم التركى الأول – نشوب الحرب مع تركيا – قناة السويس – استعداد الأتراك وتقدمهم – الهجوم على قناة السويس – تعليقات .

٢ – حملة الصحراء الغربية – مصر فى سنة ١٩١٥ – العمليات ضد السنوسى – تعليقات .

٣ – الهجوم التركى الثانى على قناة السويس – الموقف العام فى شتاء ١٩١٥ ، ١٩١٦ – إنشاء خط دفاعى شرق القنال – اقتراح السير ارشبالد مرى بالتقدم للعريش – عملية (لقطية) – موقعة رمانه – تعليقات .

٤ – ثورة العرب بالحجاز .

(انظر الخرائط ٢ و ٣ و ٤ و ٥) .

الهجوم التركى الأول

بدأت تركيا تعبئة جيوشها فى ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ بحجة الاحتياط للطوارئ وكانت الحكومة الانجليزية وقتئذ تجهل ارتباط تركيا وألمانيا بمعاهدة ، ومع ذلك ففى خلال الثلاثة أشهر التالية ازدادت طبيعة هذا الحياد المزيف وضوحا ولم ينته اكتوبر إلا وهى واقفة موقفا عدائيا صريحا فقطعت العلاقات السياسية فى ٣٠ أكتوبر ، وأعلنت الحرب رسميا فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ .

بدخول تركيا الحرب واجهت الروسيا وبريطانيا مشاكل وأخطار جديدة وإن لم تكن مجهولة . فقد رأت الأولى الدردنيل وهو وسيلة اتصالها بحلفائها مقفولا وأرغمت على زيادة دفاعها بالقوقاز . أما بريطانيا فخشيت على مواطن الخطر وهى قناة السويس

وآبار البترول بجنوب إيران لما للبترول من الأهمية العظمى للبحرية ولم يجازف الانجليز باحدى هاتين المسئوليتين الحيويتين . ففى ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤ نزلت برا عند مصب شط العرب[1] فرقة من الهند وفى ٢٢ نوفمبر احتلت البصرة وفى ٩ ديسمبر احتلت القرنة وعلى ذلك فقد سبق الانجليز الأتراك فى هذا الميدان .

أما فى مصر فقد أخطرت الحامية البريطانية التى يحتفظ بها فى وقت السلم (وهى آلاى من الفرسان و بطاريتان من المدفعية وأربعة أورط مشاه وملحقاتها) بأنها ستسحب للميدان الغربى بمجرد امكان غيارها ، واختيرت فرقة من الفرق الاقليمية (التريتوريال) لتحل محلها وهى الفرقة ٤٢ وهى فرقة جيدة العناصر ولكنها مدربة تدريبا جزئيا . وصلت هذه الفرقة مصر فى نهاية سبتمبر . وبسبب الأنباء الواردة التى دلت على أن تركيا تجمع قواتها فى سوريا وفلسطين ولاقتراب الأعمال العدائية بين بريطانيا وتركيا أصبحت الحاجة ماسة لوجود قوات تامة التدريب فى مصر . ففى منتصف سبتمبر أثناء مرور الفرقة الثالثة الهندية بمصر فى طريقها لفرنسا حجز منها مؤقتا لواء مشاة (التاسع) ولواء مدفعية جبلية[2] وفى منتصف نوفمبر حلت قوة من الهند محل هذا اللواء وتقرر إرسال الفصائل الأولى من القوات الأسترالية والنيوزيلندية الى مصر لاستكمال تدريبها فى جوها الذى هو أكثر ملاءمة من جو بريطانيا شتاء فوصلت الوحدات الأولى منها الاسكندرية فى أوائل ديسمبر . وبذلك أصبح فى مصر قبل نهاية سنة ١٩١٤ حامية كبيرة كان بعضها فقط تام التدريب .

فى أوائل سبتمبر استلم الماجور جنرال السير جون ماكسويل القيادة من الماجور جنرال السير جوليان بينج (الذى سافر لفرنسا) وذلك لمعرفته التامة بمصر والمصريين ولما لمواهبه كأدارى من الفائدة العظيمة فى ذلك الوقت . وأثار اعلان الحرب مسائل حرجة خاصة بالعلاقات السياسية بين مصر و بريطانيا . فقد كان الموقف غير منطقى كلية وكانت مصر تعترف إسميا بسيادة سلطان تركيا بدفع الجزية السنوية . بينما كانت بريطانيا العظمى فى الحقيقة هى التى تحكمها طوال الإثنين والثلاثين سنة الأخيرة

---

(١) سافر اللواء القائد من هذه الفرقة بحرا من الهند يوم ١٦ أكتوبر قاصدا الخليج الفارسى .

(٢) نقلت الحامية التى كانت بمصر الى بريطانيا على جزء من الحملة التى أحضرت هذه القوة لمصر .

وتعقد الموقف فى أغسطس سنة ١٩١٤ بغياب الحاكم الإسمى الخديوى عباس حلمى باشا خصم الانجليز الصريح فى الاستانة . ولما لسلامة قناة السويس أثناء الحرب من الأهمية للأمبراطورية البريطانية كان لابد لها من أن تحتفظ بالسيطرة السياسية والعسكرية على مصر بأى شكل كان . ففى ٥ أغسطس دفعت الوزارة المصرية إلى اصدار تصريح كان أثره الفعلى أن أصبحت مصر فى حالة حرب مع أعداء بريطانيا العظمى وأعلنت الأحكام العرفية فى ٢ نوفمبر بعد دخول تركيا الحرب . وفى ١٨ ديسمبر أعلنت بريطانيا العظمى الحماية على مصر وفى ١٩ منه خلع الخديوى وأعلن تولى عمه الأمير حسين حكم مصر متخذا لقب سلطان . وتعهدت بريطانيا تعهدا وثيقا عند اعلانها حالة الحرب بينها وبين تركيا فى أوائل نوفمبر بقبولها حمل عبء الدفاع عن مصر ضد تركيا وأن لا تطالب المصريين بالمساعدة، وكان ذلك الوعد ينطوى على تسرع وسوء توفيق اذ لم يمكن الوفاء به بعد ذلك .

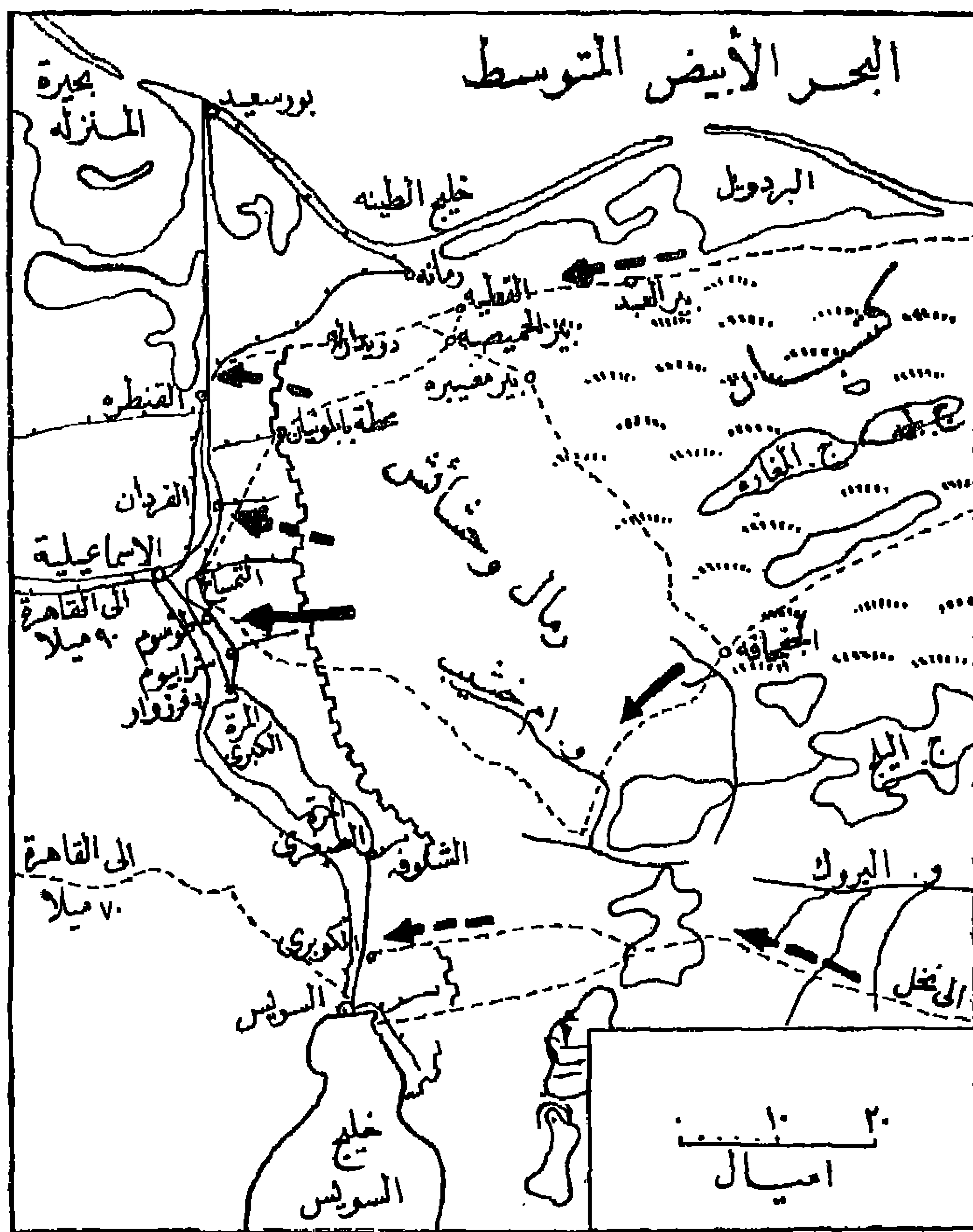
قناة السويس — وهى حلقة حيوية فى مواصلات الامبراطورية البريطانية — طولها ١٠٠ ميلا تقريبا من بور سعيد للسويس، والقناة نفسها طولها ثلثا هذه المسافة والثلث الآخر بحيرات، وفى الجزء الشمالى منها أى ما بين بور سعيد والقنطرة (٢٥ ميلا) تجرى القناة بحذاء الجنب الشرقى لبحيرة المنزلة وهى بحيرة مالحة متسعة ضحلة . وشاطئا القناة بهذا القسم واطئان وليس هناك ما يحجب البصر بين القنطرة والاسماعيلية وتجرى القناة نحو ميلين فيما يشبه الخندق العميق . وهما مرتفعان أيضا فيما بين الاسماعيلية (التى تقع عند الطرف الشمالى لبحيرة التمساح) والطرف الشمالى للبحيرة المالحة الكبرى (١٥ ميلا) ومن ثم الى السويس (٤٠ ميلا) وقد يبلغ ارتفاعهما عن سطح الماء فى بعض المحلات من ٢٥ قدما إلى ٣٠ قدما. والشاطئ الشرقى فى القسم الأول أكثر ارتفاعا من الغربى والفرق بين ارتفاعهما فيما عدا ذلك بسيط وتعتبر القناة مانعا عظيما عرضه ما بين ٦٥ و ١٠٠ ياردة وعمقه ٣٤ قدما .

ومن المهم أن ندرك أن القناة حفرت فى الصحراء وأنها تبعد عن الأرض الزراعية بالدلتا نحو ثلاثين ميلا . وتعتمد مدن القناة — بورسعيد والاسماعيلية والسويس — كل الاعتماد على المياه العذبة التى تصلها بالترعة الحلوة وهى تتفرع من النيل عند القاهرة وتجرى منها الى الاسماعيلية وهناك تجرى شمالا لبورسعيد وجنوبا

للسويس وتمتد السكة الحديدية بمحاذاة الترعة الحلوة تقريبا وهذه الحقائق توضح أهمية الاسماعيلية كغرض لأى مهاجم لمصر من الشرق . فمتى أمتلك بوابات المياه وفتحاتها هناك يمكنه قطع المياه عن بورسعيد والسويس ويجعل من الصعب على

الخريطة نمرة ٢

الدفاع عن قناة السويس ١٩١٥ - ١٩١٦



دروب رئيسية

طريق السير للقول الرئيسى للأتراك فى فبراير ١٩١٥

طريق السير للقولات الأخرى والخدعات

دفاعات القناة سنة ١٩١٦

السكك الحديدية (العسكرية) سنة ١٩١٦

عدوه البقاء بمواقعه فى شماله أو جنوبه و بالعكس فإن نجاح العدو عند أحد طرفى القناة لا يكسبه إلا قليلا فمورد مياهه العزبة يصبح فى قبضة المدافعين ويفصله هو نفسه عن الدلتا الآهله أميال عديدة من المياه المالحة أو الرمال القاحلة .

ولم يقتصر واجب المدافع على سد الطريق لمصر بل شمل أيضا ضمان سلامة كل أجزاء القناة من الدمار أو التلف ولذا كانت حراسة القناة بأجمعها أمرا ضروريا، والقوات الموجودة وقتئذ كانت ٢٤ أورطه هنديه (الفرقتان ١٠ و١١ الهنديتان) ولواء فرسان الخدمة الإمبراطورية (هندى) وهجانة بيكانير وثلاثة بطاريات مدفعية جبلية هندية و بطارية مدفعية مصرية ومجموعها ٣٠٠٠٠ مقاتل . وعوض عن النقص فى المدفعية بعض التعويض وجود بعض قطع البحرية البريطانية والفرنسية ووجدت جماعة من سلاح الطيران الملكى و بضعة طائرات بحرية فرنسية للاستطلاع ، وداخل القطر حول القاهرة كانت الفرقة ٤٢ وبعض وحدات اليومنرى والفصائل الأسترالية والنيوزيلندية تحت التدريب والأعداد وقد بلغت مراحل متفاوتة منهما . و بلغت القوات التى كانت بمصر فى ينايرسنة ١٩١٥ ٧٠,٠٠٠ مقاتل .

عهد السير جون ماكسويل إلى الماجور جنرال ويلسون قائد الفرقة ١٠ الهندية الدفاع عن القناة، وكانت المواقع الدفاعية مقسمة إلى ثلاثة قطاعات وكان بالشاطئ الشرقى للقناة جملة نقط محصنة تتصل بكبارى أو معديات بالشاطئ الغربى حيث الدفاعات الأساسية و بذا تكون القناة مانعا بين المهاجم والمدافع . وكانت المواصلات بين أجزاء الخط — فيما عدا السكة الحديدية — إحدى الصعوبات إذ لم توجد وقتئذ فى منطقة القناة أى طرق،وكانت القوارب البخارية (اللنشات) المعدّة لحمل المياه قليلة العدد . وقد انقصت الواجهة المطلوب مراقبتها فى أوائل ديسمبر بغمر السهل الواطئ الواقع فى الشاطئ الشرقى أمام بحيرة المنزلة أى ما بين بورسعيد والقنطرة [1]

وبمجرد إعلان الحرب على تركيا أخلت مصر كل نقط الحدود بسيناء، التى كان بها البوليس العربى المحلى . فأحتل الأتراك فى الحال العريش ونخل . وكان لهم فى

(١) هذه الأرض المغمورة هى التى هلكت عندها قوات فرعون عند ما كان يطارد بنى اسرائيل كما يقول السير و يليام و يلكوكس فى كتابه الطريف "من جنة عدن إلى عبور الأردن".

سوريا وفلسطين عند إعلان الحرب الفيلق السادس (رئاسته في إطنه) والفيلق الثامن (رئاسته في دمشق) ومجموعهما ٦٠,٠٠٠ جندي و١٠٠ مدفع . وكوّن منهما الجيش الرابع وأعطيت قيادته لجمال باشا وزير البحرية وأحد الثلاثة الذين كان بيدهم الأمر في تركيا . وكان جمال باشا الذي ظل حاكما لسوريا وفلسطين وقائدا عاما بهما مدّة الثلاث سنوات التالية طموحا مريضا بداء العظمة . وكان قليل الكفاءة عسكريا ولكنه كان إداريا حازما قديرا مستقل الرأي ولم يخف كراهيته للألمان . أما قائد الفيلق الثامن المسمى جمال باشا أيضا [١] فكان عسكريا ماهرا حارب الحملة المصرية طول أيام الحرب ، وكان العقل المدبر للحملة على القناة وللأعمال التركية بفلسطين حتى نهاية سنة١٩١٧ضابطا باڤاريا هو الكولونيل كرس فون كرسنشتاين وكان وقتئذ رئيس أركان حرب الفيلق الثامن وكان ضابطا باسلا ، مقداما كفئا اكتسب دواما احترام خصومه الانجليز وإليه وحده يرجع فضل إعداد الحملات التركية وتحضيرها ووضع خططها .

بلغت القوّات التي تجمعت في النهاية عند بير السبع في منتصف يناير للسير على القناة ٢٠,٠٠٠ مقاتل تقريبا معهم ٩ بطاريات من مدفعية الميدان وبطارية هوتزر ٥,٩ بوصة . ووحداتها الأساسية الفرقة ٢٥ (عرب) وألاى من الفرقة٢٣ والفرقة ١٠ وألاى فرسان وبضعة بلوكات هجانة وبدو راكبون[٢] ورافق القوة نحو ١٠,٠٠٠ جمل لحمل التعيينات والمياه والذخيرة ولم يكن معها طائرات .

ويجدر بنا قبل وصف تقدم الاتراك أن يذكر ما كانوا يأملون أن تقوم به قوّة كهذه ضد مصر . فالرئاسة التركية العليا لم تكن تجهل قوة الحامية الانجليزية في مصر[٣] فلم تكن واهمة لا في مدى المقاومة التي يحتمل أن تلاقيها قواتهم ولا في عظم القناة كمانع طبيعي، وقال الألمان والأتراك بعد ذلك أن القصد من الحملة الأولى

(١) عرفه الانجليز باسم جمال كشك ، أي الصغير ، تمييزا له عن جمال باشا .

(٢) جاء بمذكرات جمال باشا أن الفرقة ٨ كان واجبها السير حالا خلف هذه القوة إذا تمكنت هذه من الثبات غرب القناة .

(٣) قال جمال باشا في المعلومات التي أصدرها أن للانجليز عند القنال ٢٥,٠٠٠ مقاتل وفي داخل القطر ١٥٠,٠٠٠ (باب ٥ صفحة ١٥٥ من مذكرات سياسي تركي) .

كان الاستطلاع بينما يؤكد كرسنشتاين أن غرضه كان أن يستولى على أى جزء من اجزاء القناة بضعة أيام ليتم له تخريبها وقدأعلن عن هذين الغرضين بعد أنتهاء العملية الحربية نفسها . ومن المؤكد أن هذه الحملة وضعت أول الأمرلغزو مصر جديا . وكان من الموثوق به أن تقوم مصر بالثورة ضـــد الأنجليز بمجرد اقتراب القوات التركية من البلاد .

وقد أثرغرض الحملة على اختيار الطرق لاجتياز الصحراء . فكان هناك ثلاثة خطوط ممكنة (أنظرخريطة ٦) للتقدم :

(ا) الطريق الساحلى من العريش إلى القنطرة مارا ببئر العبد والقطية .

(ب) مع الدروب الوسطى من بئر السبع والعوجه للاسماعيلية مارا بالحسنة ووادى أم خشيب .

(ج) من القسيمة للسويس بطريق نخل .

وأسهل الطرق الثلاثة هو الطريق الساحلى لأن كمية المياه مضمونة به عنها فى غيره، ولكن الطريق الأوسط أصلح أرضا للسير بمنجاة من البحرية البريطانية. وكانت البرك والخزانات الحجرية فى هذا الطريق ممتلئة بالمياه عقب الأمطار الغزيرة غيرالعادية التى هطلت شتاء سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ وأصعب الطرق الثلاثة هوالجنوبى وليس له ميزة خاصة وقد اختار جمال باشا أن يكون مجهوده الأساسى على الطريق الأوسط وأرسل قوات صغيرة على الطريقين الأخرين لكى يكون الجنبان آمنين ولخدع الانجليز فى معرفة الطريق الفعلى للهجوم. وكان من الضرورى إذا كان الغرض غزو مصر — سرعة امتلاك الترعة الحلوة عند الاسماعيلية ، أو قربها والتسيطر عليها كما سبق القول، ولذا فان الطريق الأوسط يوصل للغرض مباشرة . سارت القوة الأساسية من بير السبع فى منتصف ينـاير بقولين بفترة يوم بينهما واجتازت الصحراء فى عشرة أيام سائرة ليلا لتجنب حرارة النهار وبقصد الاختفاء .

لم يكن الانجليز يجهلون مدى تقدم الأتراك فقــد كانت طائراتهم تواليهـم بالتقارير. وفى يومى ٢٦ و ٢٧ يناير هاجم الأتراك أقصى النقط بطرفى الخط عند القنطرة والكوبرى (٧ أميال شمال السويس) ولم تنخـدع القيادة الانجليزية من هذين الهجومين لخلوهما من الضغط الجدى ولم يكن يقصد بهما إلا الخداع

وسرعان ما ظهر أن مجهود الأتراك الأساسي سيكون على القطاع الأوسط بين سرابيوم (٤ أميال جنوب بحيرة التمساح) والفردان (نحو ٧ أميال شمال الاسماعيلية) وفى أول فبراير علم محل قوة تراوح بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ تركى أمام تلك الجبهة وكانت قطع البحرية البريطانية والفرنسية قد اتخذت مواقع بالقناه وأرسلت التقويات إلى خلف الاسماعيلية وكان بالجبهة المهددة بضع نقط بالشاطئ الشرقى عند الفردان والمعدية (أمام الاسماعيلية) وطوسون وسرابيوم ودفرسوار (شمال البحيرة المالحة الكبرى مباشرة) وكان بكل نقطة بلوكان من المشاه الهندية أما باقى القوة المدافعة فكانت غرب القناة[1].

قام الأتراك الساعة ٣ صباحا يوم ٣ فبراير بالهجوم . وقد أمكنهم تحت ستار من الظلام وتعاريج الأرض أن يحضروا كبارى خفيفة وروامس للشاطئ الشرقى جنوب طوسون مباشرة وأن ينزلوها إلى البحر . وكانت القوات التركية قد ركبت بها وبدأت فى التحرك لعبور القناة عند ما أعطيت إشارة الخطر (الكبسة) وفتحت عليهم نيران شديدة من النقط بالشاطئ الغربى الذى لم يصله منها إلا ثلاثة كبارى خفيفة أسر كل من بها أو قتل . وبذا فشلت المحاولة فشلا تاما . وذكر كرسنشتاين فى بيانه أن ذلك الهجوم الليلى كان الواجب أن يتم بمجرد حلول الظلام فى مساء يوم ٢ نوفمبر لولا هبوب عاصفة رملية شديدة عطلت التحركات ، ونسب إلى جنود الفرقة ٢٥ (من العرب — وهى التى قامت بالمحاولة) قلة الضبط والربط وسوء السلوك .

ورغم فشل الأتراك فى هجومهم الليلى فانهم تقدموا ثانية فى ضوء النهار على الواجهة بين طوسون وسرابيوم وحاولوا العبور عنوة وفى نفس الوقت قاموا بهجوم مخادع على الفردان والقنطرة ولكنه لم يفلح وبعد الظهر بقليل ابتدأ الأتراك فى الانسحاب

لم يقم الانجليز بما يضايق المنسحبين فيما عدا هجوم مضاد كان بلوكا نقطة دفرزوار (من الحركا) قد حاولا القيام به على جنب الأتراك الأيسر ، ولم يعبر لواء فرسان الخدمة الأمبراطورية الا فى اليوم التالى ، وكان عبوره للقناة عند نقطة

(١) كان هناك ١٢ نقطة بين بحيرة التمساح والبحيرة المالحة الكبرى بكل نقطة بلاتونان واجهة كل بلاتون ٦٠٠ ياردة وبكل ثلاثة جماعات ديدبانية . وعند سرابيوم ثلاثه بلوكات فى الاحتياط المحلى . وكان بالقطاع المذكور بطاريتان بكل أربعة مدافع احداها بطارية مصرية .

المعدية بقصد الاستطلاع لا المطاردة لأن الانجليز كانوا يتوقعون أن يعاود الاتراك هجومهم ، ورغم أن الفرقة ١٠ التركية لم تشترك كلية فان الروح المعنوية للجنود قد زعزعت لفشلهم وعدم ظهور ما يدل على قيام مصر بالثورة تضامنا معهم، أصدر جمال باشا — الذى كان حاضرا — أمره بالانسحاب الى بئر السبع ، وكان الانسحاب عاما على كل الطرق يوم ٥ فبراير ، وبعد ظهر ذلك اليوم فتحت القناة للملاحة كالمعتاد .

قدر كرس أن خسائر الأتراك بلغت ١٩٢ قتيلا و ٣٦٦ جريحا و ٧١٢ مفقودا وقد يكون ذلك أقل من الواقع بقليل فقد أسر الانجليز ٧١٦ ودفنوا بميدان القتال ٢٣٨ قتيلا تركيا ، ولذا فاجمالى خسائر الأتراك لن تقل عن ١٥٠٠ وقد تصل إلى ٢٠٠٠[1] أما خسائر الانجليز فكانت تزيد قليلا عن ١٥٠

إن العمل الذى قام به الأتراك يستحق كل التقدير فقد استحضروا قوة كبيرة بمدافعها الثقيلة وكباريها سائرة ما يزيد عن ١٠٠ ميل عبر بالصحراء[2] وكان مشروعهم مخاطرة لدرجة التهور ، ومن حسن حظهم أنهم نجوا من تكبد خسارة بالغة إن لم يكونوا قد نجوا من الهلاك . فليس لهم أن يعتمدوا على أن الدفاع سيكون سلبيا محضا ، والظاهر أن جمال باشا كان مخدوعا كل الخديعة فى حقيقة شعور المصريين ، فقد كان يعتقد حقا أن مجرد ظهور الأتراك قرب القناة سيقيم مصر عن بكرة أبيها ضد الانجليز ، ويظهر أنه لم يتخذ الخطوات لتنظيم حركة كهذه تقع فى نفس الوقت بارسال أعوانه أو بالدعاية اللازمة أو ليكون ملما بحقيقة الشعور بالقطر ولو قنع أن الأتراك بما هو دون ذلك — بسد قناة السويس — لأوقعوا الانجليز فى حيرة عظيمة ، ولكنهم حصروا كل اهتمامهم فيما كانوا يطمعون فيه لدرجة أنهم لم يضعوا الخطط ولم يعدوا العدة لإحداث إتلاف خطير بالقناة .

يرجع فشلهم فى التنفيذ الى فشل هجماتهم المخادعة التى قاموا بها شمالا وجنوبا لسحب القوات الانجليزية من النقطة التى سيوجه عليها الهجوم الأساسى . فقدكان

(١) كانت الخسائر كتقدير جمال باشا ١٤٠٠

(٢) كانت الثيران تجر المدافع والعربات التى تحمل الكبارى الخفيفة .

هجومهم المخادع ضعيف التنفيذ لدرجة لا تؤدّى للغرض المقصود منه . ومن العجب أن يكلف بالهجوم الأساسى فرقة ضعيفة و يترك فرقة جيدة جدا (الفرقة ١٠) بلا عمل ولا يشركها فى القتال . و يظهر من ذلك أن الأتراك كانوا يأملون فى أن يتم عبورهم القناة بمقاومة بسيطة .

أما عن الجانب البريطانى فكان للخط الدفاعى الذى احتلته القوات غرب القناة عيوب واضحة ودعى الى الغمز الدائر على الألسن وقتئذ وهو " هل دافعت حامية مصر عن القناة أو هل القناة هى التى دافعت عن حامية مصر ؟ " . ولا شك أن ما منعهم عن انشاء سلسلة من الاستحكامات كالتى عملت فيما بعد شرق القناة هو قلة الجنود المدربة وأدوات المهندسين . وقد تكون الظروف هى التى أرغمتهم على اتخاذ مواقع دفاعية غرب القناة ولكنها لم تتطلب أن يكون دفاعهم سلبيا الشئ الذى عرض القناة للتخريب والتعطيل والذى سمح لقوات العدو الأقل عددا أن تنسحب بلا مضايقة ، فكانت هناك قوات راكبة ولم يكن هناك سبب لأن تقل المشاة الهندية فى خفة الحركة عن المشاة التركية ، وقد احتج بأن السبب فى عدم المطاردة هو قلة وسائل النقل ولكن كان لدى الانجليز الوقت الكافى لانشائها وكانت الجمال متوفرة فى مصر . والحقيقة هى أن القوات وأركان الحرب كانت وقتئذ حديثة العهد بذلك العمل ولم يكن لديها الألمام الكافى بما يتطلبه سير العمليات الصحراوية .

ظهر للأتراك كنتيجة لهذا الهجوم أن هناك الأمل كل الأمل فى أن يرغموا الانجليز على الاحتفاظ بقوات عظيمة بمصر بمجرد التهديد بسد القناة . ولذا فعندما انسحبوا الى بئر السبع بقى كرس بالصحراء ومعه قوة مركبة من ثلاثة أورطة وبطاريتين جبليتين و بلوك هجانة ليقوم بعمليات صغرى وغارات على القناة — الشئ الذى قام به بكل نشاط وزكاء — لكى يستمر انشغال بال الانجليز .

٢ — حملة الصحراء الغربية

بينما كان جمال باشا يجمع قواته فى نهاية سنة ١٩١٤ ليهاجم مصر كان أنور باشا يقود الجيش التركى الأساسى فى مشروع كله مطامع ومخاطرات وهو غزو القوقاز فى منتصف الشتاء . وقد كلفه تسرعه فى النهاية خسارة معظم جيشه . ولكن ضغطه الشديد عند ساريقاميش فى الأيام الأولى من يناير سنة ١٩١٥ جعل الروسيين يطلبون من الحكومة البريطانية أن تستلفت إنتباه الأتراك . وهذا ما أدى الى اقتراح إختراق الدردنيل ثم الى حملة غاليبولى وليس هناك مايدعو لذكر شيء هنا عن هذه الحركة الباسلة السيئة الطالع سوى تأثيرها على الحامية بمصر .

شغل الأتراك بنزول القوات عند هيلز والانزاك فى أبريل سنة ١٩١٥ بعد فشل هجوم البحرية فى مارس وما تلى ذلك من القتال بشبه جزيرة غاليبولى. وكان انشغال الأتراك لدرجة لم تمكنهم من الاستغناء فى سنة ١٩١٥ عن أى قوات لتجدد حملتها على القناة بقوة كبيرة ورغم ذلك فان نشاط قوة كرس فون كرسنشتاين الصغيرة حتى انسحابه فى نهاية الصيف قد أرغم المدافعين على مداومة يقظتهم وقد كان كرس ذكيا ثابتا . وتكرر قيام بعض قولات صغيرة من قوته بغارات ومظاهرات أمام نقط القناة تلتها محاولات قامت بها جماعات صغيرة لبث الألغام بالقناة أو محاولات بعض الرجال ذوى العزيمة تخريب الخط الحديدى غرب القناة . ولم تنجح إحدى هذه المحاولات — ولحسن الحظ فان السفينة التى اصطدمت باللغم لم تغرق فى مجرى القناة — رغم ذلك لاشك فى أنها قد ضايقت المدافعين وأتعبتهم ولم يكن لدى هؤلاء وقتئذ أى وسيلة فعالة للانتقام . ورغم نشاط كرس فان الحامية بمصر أنقصت فقد سافر لواء هندى الى غليبولى وآخر الى البصرة وثالث الى عدن التى هددتها القوات التركية من اليمن . كما سارت الفرقة ٤٢ والاستراليون والنيوزيلنديون الى غليبولى وبذا تكون القوة المقاتلة بمصر قد نقصت الى أقل حد عند ما ظهر خطر جديد سبب قلقا للجنرال مكسويل .

السنوسية احدى الشعب الدينية الاسلامية أنشأها فى منتصف القرن الماضى شيخ تقى من شيوخ الصحراء الكبرى . وكان غرضه احياء أصول الدين الاسلامى بين قبائل الصحراء وجميع شمل جميع مسلمى شمال أفريقيا . وأهم تابعية القبائل

التي تسكن صحراء ليبيا من جنوب طرابلس وبرقه الى غرب السودان المصرى الانجليزى. وكان له أتباع فى مصر والسودان وفى جهات متفرقة من أفريقيا وبلاد العرب . لم تكن هذه الشعبة متطرفة ولا متعصبة كغيرها مثل الوهابيين ولم تكن قد أظهرت حتى ذلك الوقت أى روح عسكرية عدائية ولو أن أفرادها قد قاوموا تغلغل الفرنسيين فى وسط أفريقيا وساعدوا الأتراك على الايطاليين فى برقة سنة ١٩١١ وكان قتالهم مع إيطاليا مستمرا لأسباب تجارية ، فقد قفلت هذه موانى طرابلس دونهم . وكان زعيم السنوسيين فى ذلك الوقت السيد أحمد .

رأى الألمان والأتراك عند نشوب الحرب سنة ١٩١٤ فى السنوسى وسيلة فعاله لأرباك أعدائهم الانجليز فى مصر والسودان . فمى صيف سنة ١٩١٥ شجع ضباط ألمان وأتراك — ومن بينهم نورى بك شقيق أنور باشا ، جعفر باشا أحمد عرب بغداد الأكفاء — السنوسى على مهاجمة مصر ولكن السيد أحمد قاوم طويلا محاولاتهم دفعة لقتال أمة كانت علاقاته معها على الدوام حسنة . استخدم السير ماكسويل كل مهارة وسياسة وصبر لمقاومة تأثير أعدائه ونجح فى أبقائه محايدا شهورا عديدة كانت أخطر العصور على مصر . وكان أهم أعوانه هناك اللفتنانت كولونيل أسنو[1] من ضباط خفر السواحل المصرية . ولكن انضمام إيطاليا (عدوة السنوسيين) للحلفاء أعطى الأتراك حجة قوية زادت قوة بارسالهم كميات من الأسلحة والنقود والذخيرة ، وفى آخر الأمر دفع السيد أحمد الى الاشتراك فى العمل .

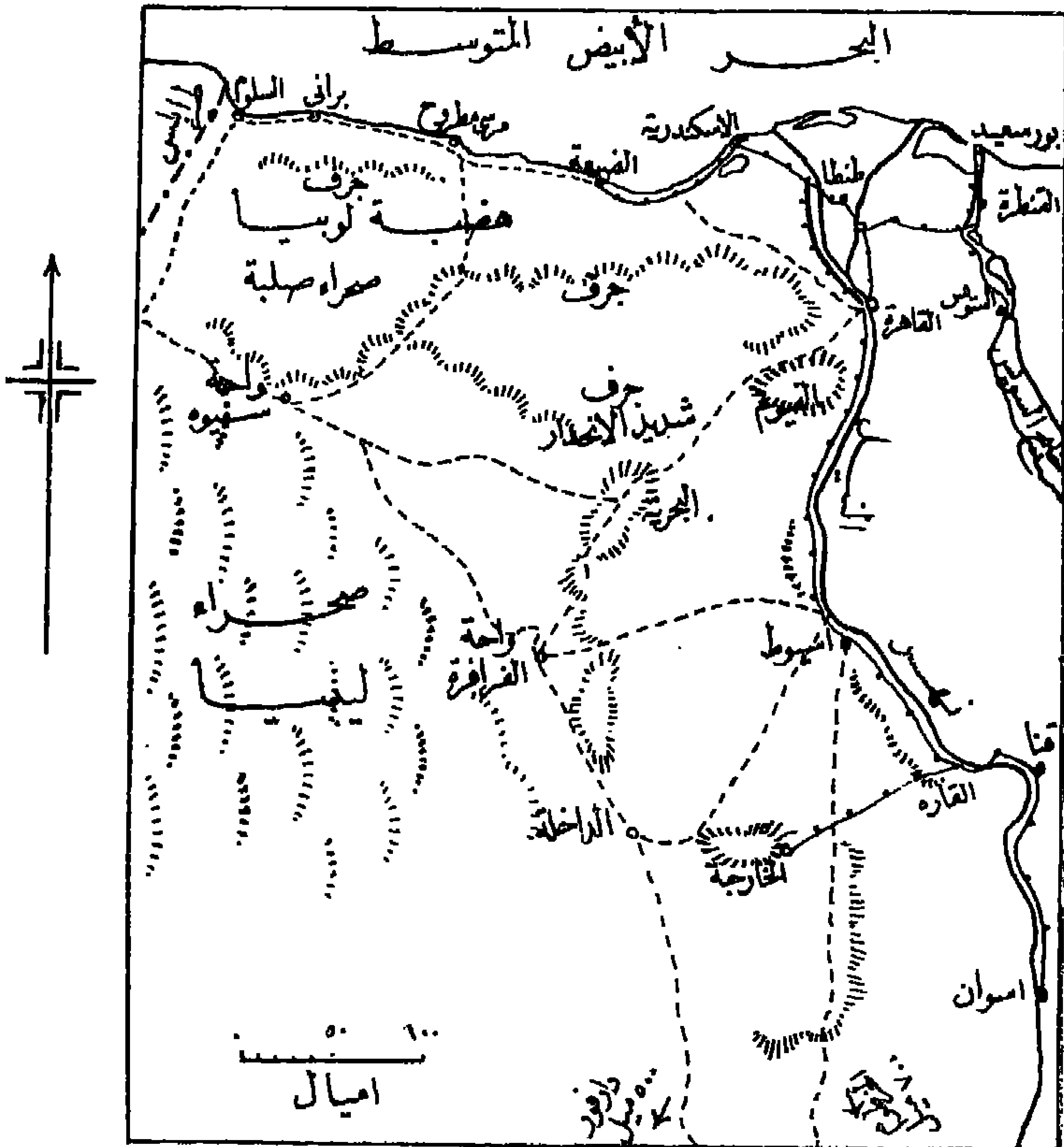
الصحراء الكبرى المترامية الأطراف غرب وادى النيل ودلتاه وهى منطقة كثبان عالية ذات رمال ناعمة متحركة وعلى بعد ١٠٠ ميل من النيل توجد بها مجموعة من الواحات — البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة — التى تمتد جنوبا الى مسافة تزيد على ٥٠٠ ميل من شاطئ البحر الأبيض المتوسط . ويوجد بحذاء الشاطئ غرب الدلتا سهل ضيق يزرعه البدو هنا وهناك . وتسير بذلك السهل سكة حديدية طولها مائة ميل من الاسكندرية للضبعة . ومن هناك درب ممهد (يسمى طريق السيارات الخديوى) الى مرسى مطروح وبرانى والسلوم — وتبعد هذه عن الاسكندرية ٢٥٠ ميلا — وكلها موانى صغيرة . السهل المذكور عادة

(١) قتل لسوء الحظ فى أول اشتباك مع السنوسيين عندما بدأت الحركات العدائية أخيرا .

جاف مترب لكنه يصبح موحلا لزجا بعد المطر الذى يسقط عادة ما بين ديسمبر ومارس . ويقع جنوب ذلك السهل جرف صخرى مرتفع شديد الانحدار عند السهل وهذا الجرف هو نهاية هضبة صحراوية صلبة تمتد الى ما يزيد عن ١٥٠ ميلا حتى واحة سيوه معقل السنوسيين والتى يسهل على محاربى البدو الوصول منها للواحات الأخرى غرب النيل .

وادى النيل والصحراء الغربية

تبين العمليات ضد السنوسى ١٩١٥ - ١٩١٧



الخريطة نمرة ٣

وكانت الخطة التى فكر فيها الألمان والأتراك ترمى الى التقدم على مصر بطريق الساحل وتقدم آخر فى نفس الوقت من سيوه بطريق الواحات الغربية ويثور

فى نفس الوقت سلطان دارفور — فى أقصى السودان — ويتقدّم على الخرطوم . ولسبب ماأسيء تنفيذ هذه الخطة وأصبحت الهجمات مفككة غير متصلة .

لم يكن الأنجليز يخشون القوة العسكرية التى يقودها السيد أحمد بقدر ما كانوا يخشون سلطته الروحية . فكان السير جون ماكسويل يخشى وقوع قلاقل داخلية ودينية لو اتاح السنوسى فى أن ينال نصرا مبينا ، ولم يغب عن باله ذكريات أيام المهدى .

بدأت الحركات العدائية بالمنطقة الساحلية فى نوفمبر فأخليت السلوم وبعض نقط أخرى واصبحت مرسى مطروح قاعدة للعمليات الأنجليزية . وكان من الصعب تجهيز القوات اللازمة لها لنقص الحامية بمصر نقصا كبيرا أيام العمليات الحربية فى غليبولى وكانت القوة التى جمعت فى نهاية نوفمبر بقيادة الماجور جنرال والاس مركبة من : —

لواء راكب مركب : —

٣ الايات يومنرى مركبة .

١ آلاى فرسان أستراليه خفيفه مركب

١ بطارية خيالى " نوتس "

لواء مشاه مركب : —

٣ أورط مشاه أقليمية (تريتوريال)

١ أورطة مشاة هندية (السيك نمرة ١٥)

وأضيف اليها فيما بعد بضع قوات من جنوب أفريقيا وأورطة نيوزيلاندية . أما قوات السنوسى فكانت مركبة من بضع مدافع جبليه ومدافع ماكينة — أفراد اطقمها من الأتراك — و٥٠٠٠ ممن كانوا يسمون "نظاميين" دربهم جعفر باشا وكذلك بعض غير النظاميين من رجال القبائل كان عددهم غير ثابت . اشتبك الجنرال ولاس مع العدو فى ١٣ ديسمبر و ٢٥ منه قرب مرسى مطروح وفى حزالين فى ٢٣ يناير سنة ١٩١٦ ، وقد صد السنوسى فى هذه العمليات صدا شديدا. وقد حرم فصل الأمطار

قلة حملات النقل الإنجليزية من الحصول على النصر الحاسم حتى نهايه فبراير سنة ١٩١٦ . ففى ٢٠ فبراير تقدم الماجور جنرال بيتون الذى خلف الجنرال ولاس لاستعادة السلوم . وأرغم العدو يوم ٢٦ منه على القتال عند عجاجيا الواقعة قرب متنصف المسافة للسلوم. بعد أن استولت المشاه على مواقع السنوسيين قامت يومنرى دورست باقتحام بديع — أول الإقتحامات الكثيرة التى قامت بها الفرسان وهى راكبة فى حملات مصر وفلسطين — تقهقر بسببه عدوهم وأسر قائده جعفر باشا[١] وكانت مسافة الإقتحام تزيد على ١٠٠٠ يارده فوق أرض مكشوفة وتحت نيران شديدة . وبلغت الخسائر فيه ٥ ضباط و٢٧ صف وعساكر قتلى وضابطين و٢٤ صف وعساكر جرحى أى ٥٨ من الذين اشتركوا فى الاقتحام وعدهم ١٨٤ . وكان النصر حاسما ولم يتله الا قتال بسيط . وتمت استعادة السلوم فى ١٤ مارس .

أثناء ذلك أى فى فبراير كان السنوسى نفسه قد احتل واحات البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة الأمر الذى استلزم توزيع الفرقة ٥٣ و بضع لواءات يومنرى مترجلة كحاميات بالوجه القبلى ماين الفيوم وأسوان طوال صيف سنة ١٩١٦ . وفى أكتوبر سنة ١٩١٦ كوّن سلاح الهجانه وداوريات السيارات الخفيفة وبها استعيدت الواحات وتراجع السيد أحمد إلى سيوه . وفى أوائل فبراير سنة ١٩١٧ هاجمته هنالك وهزمته قوة من السيارات المدرعة قامت من السلوم بقيادة البريجادير جنرال هود جسون وبذلك انتهت حملة الصحراء الغربية وزال نفوذ السيد احمد . وكان حليفه على دينار سلطان دارفور قد هزمته قوة من السودان بقيادة اللفتننت كولونيل كيلى فى مايو سنة ١٩١٦ .

ولو أن السنوسى اتبع حرب العصابات واستعمل خفة حركته لتجنب القتال لكانت غزواته أشدّ خطورة . وإن من أخطر الأغلاط أن يشل قائد القوّات غير النظامية وسائلها الطبيعية للقتال بأتباعه وسائل تدريب القوّات النظامية وتكتيكاتها فما كانت قوات السنوسى المقال أنها نظامية ندا لقوّات الإنجليز ولذا سهلت هزيمتها

(١) عندما كان جعفر باشا أسيرا فى القلعة بالقاهرة استعان ببطاطين الحكومة على النزول منها وابثقل جسمه انقطع الحبل فوقع وانكسرت عقبه وأعيد للأسر . تطوع بعد ذلك مع الأمير فيصل عندما ثار عرب الحجاز واصبح قائدا لقواته النظامية . ومنح وساما لخدماته للحلفاء بصفته هذه . وعين بعد ذلك وزيرا للحربية ثم رئيسا لوزارة العراق أيام فيصل .

وستظهر فيما بعد من عمليات لورانس (الذى كان يقود عرب الحجاز ضد المواصلات التركية) صعوبة القتال مع عرب صحراء الذين يرفضون الاشتباك بالقتال والذين يستعينون بالغارات والدعاية للوصول إلى غرضهم .

٣ — الهجوم التركى الثانى على القناة

كانت نهاية سنة ١٩١٥ ساعة انتصار الأتراك القصيرة الأجل . فقد أوصدوا الدردنيل فى وجه جيش انجليزى رغم مجهوداته العظيمة التى بذلها . وقد صدوا جيشا آخر فى تسيفون فى العراق وحاصروه عند كوت. وأصبح طريق تموين تركيا بالمؤونة من ألمانيا آمنا بعد اكتساح الصرب وكانت فكرة الأتراك أن يضربوا الانجليز ضربة أخرى شديدة بالقوات التى تخلصت من غاليبولى وذلك بغزو مصر ثانية بقوات كاسحة ، ولكن ذلك الحلم لم يدم طويلا ، لأن الغراندوق نقولا تحرك من القوقاز فى يناير سنة ١٩١٦ ، وفى منتصف فبراير سقط فى يديه حصن أرضروم الشهير . سبب هذا تأخير التقدّم المنوى على مصر وأضعفه وبسبب انضمام بلغاريا لدول الوسط رأى الحلفاء أنفسهم أثناء ذلك مضطرين لتحمل ارتباك مسرح حرب جديد فى سالونيكا بشرق البحر الأبيض المتوسط .

فى أوائل سنة ١٩١٦ أصبح الدفاع عن القناة فى المرة الثانية شغل الانجليز الجدى الشاغل ولم تكن تعوزهم القوات : فكان بمصر — علاوة على القوات التى كانت مشتركة بالقتال بغليبولى وسحبت منه وكانت فى حاجة إلى وقت تسريح فيه وتستعيد قوتها بعد كفاحها — فرق جديدة أرسلت من بريطانيا العظمى فى أواخر سنة ١٩١٥ وكان بمصر من القوات فى يناير سنة ١٩١٦ مالا يقل عن ١٢ فرقة من المشاة ولوائين هنديين من المشاة وبعض لواءات مترجلة من اليومنرى وبعض لواءات راكبة . وكان مجلس الحرب وقتئذ يعتبر هذه القوات كاحتياط استراتيجى للامبراطورية فما كان يعلم كيف ستتطور الأمور فى ميدان سالونيكا ولاما سيحتاجه تخليص تونزيند المحاصر بكوت من هذه القوات ولا مقدار الخطر الذى ستتعرض له القناة . ومصر فى مركز وسط وجوها بديع شتاء .

عند ما استقر الرأى على الجلاء عن غليبولى نظر ثانيا بصفة جدّية فى امكان حل ما بين بريطانيا العظمى وتركيا بمصر والعراق بالاستيلاء على سكة حديد بغداد ، خط

المواصلات التركى الرئيسى . وقد اقترح انزال قوة بالبر عند خليج أياس فى الجزء الغربى من خليج اسكندرونة ثم احتلال جنى السكة الحديدية قرب مسيس شرق أطنه . ولم تكن العملية سهلة كما تظهر من الخريطة . فقد قدرت القوة اللازمة بنحو ١٠٠٠٠٠ أو ١٥٠٠٠٠ مقاتل ولم تكن نتائج حملة غليبولى بمشجعة على القيام بتجارب أخرى لإنزال قوات كبيرة للبر . وفى نفس الوقت لم يرتح الفرنسيون — حلفاء الانجليز — لهـــذا المشروع لأغراض سياسية ولذلك ترك الموضوع جانبا وكان ذلك بلاجدال رأى حازم .

لم يحتج التصرف فى الإحتياطى الإستراتيجى إلى وقت طويل . فالفرقة ١٣ أرسلت للعراق لتقوية القوة التى كانت تجاهد فى تخليص كوت ، وباقى القوة كان المنتظر أن تسافر بمجرد إعادة تنظيمها إلى فرنسا حيث كان يؤمل أن توجه ضربة حاسمة فى صيف سنة ١٩١٦ .ولم يبق بعدذلك بمصر إلا القليل الكافى لحماية القناة .

كانت المسألة محصورة فى تقدير هذا القليل الكافى . وكان اللورد كتشنر قد زار مصر فى نوفمبر وقرر خطأ مشروع الدفاع وتنفيذ غرب القناة.وفى ديسمبر أرسل الجنرال هورن خصيصا لهذا الغرض ، فانتخب خط دفاع أمامى يبعد عن القناة شرقا نحو ١١٠٠٠ ياردة لتكون هذه (القناة) بعيدة عن مرمى المدفعية البعيدة المرمى. وخلف ذلك الخط خط آخر — فى منتصف المسافة للقناة — وعلى الشاطئ الشرقى للقناة نفسها انتخب الخط الثالث. ويشمل سلسلة من رؤس (أطراف — نهاية) الكبارى المحصنة(خريطة نمرة ٢) واحتجاج إنشاء هذه الخطوط إلى كميات هائلة من المواد وعدد عظيم من العمال . وقد ازدوج الخط الحديدى ما بين الزقازيق والإسماعيلية ومدت سكك حديدية ضيقة لداخل الصحراء فى ثمانية أو تسعة نقط ، ومهدت طرق مرصوفة ومواسير للمياه ، وبالاختصار مد مايزيد على مائة ميل من سكك حديدية وطرق ومواسير مياه فى بضعة أسابيع . وعلاوة على ذلك كان من اللازم حفر مئات من الأميال من الخنادق وتكسيتها ووضع الأسلاك الشائكة . قام بمعظم هذا العمل فرقة العمال المصريين التى ازدادت عددا وشهرة بتقدم العمليات الحربية بالحملة .

أختير الخط الدفاعى بمهارة وكلف إنشاؤه تكاليف باهظة . ومن الواضح أن احتلاله بالجنود يحتاج إلى قوات كبيرة أكثر مما يمكن الاستغناء عنها لميدان دفاعى

محض . وفى نوفمبر سنة ١٩١٥ قدّرت هيئة أركان الحرب بوزارة الحربية القوّة اللازمة للدفاع عن مصر بخمسة لواءات راكبة وستة فرق للقناة ولوائين راكبين ولوائى مشاة للصحراء الغربية ، ولواء راكب وخمسة عشر أورطة من أورط الحامية(١) للأمن الداخلى بالدلتا. وكان السير جون ماكسويل قد طلب وقتئذ اثنتى عشرة فرقة لأن المخابرات أبلغته أن للأتراك بفلسطين وسوريا ما لا يقل عن ٢٥٠٠٠٠ مقاتل . ولكن نجاح الروسيين بالقوقاز غير الموقف ، إذ سحب الأتراك جزءا كبيرا من قواتهم لذلك الميدان وبذا قل الخطر على مصر .

كانت هناك مسألة أوّلية تحتاج للبت فيها وهى مسألة القيادة ، ففى أوّل سنة ١٩١٦ كان بالقطر ثلاثة قيادات منفصلة ، فكان اللفتننانت جنرال السير إرشبالد مورى قد وصل فى يناير لتسلم قيادة تجريدة البحر الأبيض المتوسط التى جلت أخيرا عن غاليبولى والموجودة وقتئذ بمنطقة القناة . وكانت مسئولية السير جون مكسويل تنحصر فى الدلتا والصحراء الغربية والسودان مع استمراره فى ادارة الأحكام العرفية بالقطر كله ومن ضمنه منطقة القناة . أما القيادة الثالثة المستقلة فكانت بالاسكندرية حيث كان الماجور جنرال الهتام مسئولا عما كان يسمى قاعدة شرق البحر الأبيض المتوسط التى أنشأتها وزارة الحربية البريطانية قرب نهاية سنة ١٩١٥ لتكون مستودعا لكل ما يلزم لميادين غاليبولى وسالونيكا ومصر . ولاشك أن وجود ثلاثة قيادات فى منطقة صغيرة نسبيا شىء غير عملى ولذا ففى أوائل مارس وحدت القيادات الثلاثة تحت قيادة السير إرشبالد مورى وغير إسم تجريدة البحر الأبيض المتوسط فأصبح التجريدة المصرية وستسمى بهذا الاسم حتى نهاية الحرب .

بدأ السير إرشبالد مورى فى استعراض مسألة الدفاع عن مصر فى ضوء الحالات الجديدة . وفى منتصف فبراير عرض على رئيس هيئة أركان الحرب النتيجة التى وصل اليها ، وأشار إلى أن الدفاع السلبى عن القناة إسراف كبير فى المهمات والجنود وأن القاعدة الاستراتيجية الحقيقية للدفاع عن مصر تقع بين العريش والقسيمة ، وأن وجود قوّة خفيفة الحركة بالعريش أو قربها يسدّ الطريق الشمالى فى صحراء سيناء ويهدّد جنب أى قوّة تتقدّم على الطريق الأوسط أو الجنوبى

(١) هى أورط أفرادها أقل كفاءة من المعتاد أنشئت خصيصا لخدمات الحامية خارج بريطانيا أثناء الحرب .

وقد تسبق أى تقــدّم عبر حدود مصر الى سيناء بالهجوم على أى قوات تتجمع بفلسطين الجنوبية[١] وتفرق تجمعها . وأول خطوة هى احتلال منطقة القطية واقترح أن يخطو هــذه الخطوة فى الحال وكان مدّ السكة الحديدية إلى تلك المنطقة مسألة حيوية الأهمية للمشروع ، وقد قدّر الجنرال مورى إجمالى القوّة اللازمة للدفاع عن حدود مصر الشرقية إذا احتلت العريش بخمسة فرق وأربعة لواءات راكبة .

كانت فكرة السير أرشبالد مورى معقولة وقد صدّقت وزارة الحربية على اقتراح احتلال القطية . أما التقدّم التالى للعريش فلم تبت فيه . تقع القطية التى تبعد عن القناة نحو ٢٥ ميلا فى الطرف الغربى لسلسلة الواحات التى تمتدّ لمسافة ١٥ ميلا حتى بئر العبد[٢] وبهذه المنطقة كثير من المــاء الصالح للشرب رغم ملوحته القليلة وهى المنطقة الوحيدة القريبة من القناة التى يتيسر للعدوّ أن يجمع بها قوات كبيرة تبقى مدّة طويلة . وفى آخر فبراير بدأ فى مدّ السكة الحديدية بالاتساع العادى من القنطرة الى القطية ، وأثنــاء ذلك كان انشاء حملة الجمــال اللازمة لفرقة واحدة ولواء راكب — وهى القوة المعينة لاحتلال القطية — يسير سيرا حثيثا . وابتداء من أوّل أبريل كانت القوّات الراكبة ترسل للواحات للقيــام بعملية الاستطلاع الأوّلية . واتخذت الاجراءات اللازمة لتحديد تحركات الأتراك فى وسط شبه الجزيرة بتخريب موارد الميــاه فنجحت غارات قامت بهــا الطائرات والقوّات الراكبة فى تدمير الكثير من خزانات الميــاه بالطريق الأوسط الذى سار عليه الأتراك فى هجومهم الأوّل[٣] .

كان لدى الأتراك مشروع آخر لتجريدة أخرى كبيرة ترسل للقنــاة فى ربيع سنة ١٩١٦ . ولكن المشروع أجل لبطء وصول الإمدادات ، وبالنسبة لتوالى سفر قوات كبيرة من مصر وجهتها الميدان الغربى اضطرت القيادة العليا التركية بإيعاز من ألمــانيا إلى إصدار أمر بإجراء أعمال سريعة نشطة ضد القناة بأمل أن تنزع الانجليز ويوقفوا سحب أى قوات أخرى .

(١) قال نابليون فى مذكرته " يمكن اعتبار العريش مفتاحا لمصر من ناحية سوريا "

(٢) اتخذها نابليون قاعدة لتقدّمه عبر الصحراء الى فلسطين فى سنة ١٧٩٩

(٣) قطعت أورطة الفرسان الأسترالية الخفيفة فى ثلاثة أيام ونصف ١٢٠ ميلا فى إحدى هذه الغارات على بئر الجفجافة (يبعد عن القناة ٥٢ ميلا)

لهذا السبب تحرك كرس فون كرسنشتين الجرئ الدائم النشــاط فى منتصف أبريل متخذا الطريق الساحلى ، ومعه أورطتان وبلوك من الآلاى ٣٢ وآلاى من العرب غير النظاميين راكبين جمالا و بطارية ونصف من المدفعية الجبلية . و بلغت قوته ٣٥٠٠ تقريبا و٦ مدافع و٤ مدافع ماكينة .

كان اللواء الخامس الراكب (يومنرى الوريكشير وهوسارز الجلوسترشير و يومنرى الورسترشير) وقتئذ فى منطقة القطية (خريطة ٤) لحماية إنشاء السكة الحديدية التى كانت قد اقتربت من رمانة ولاستطلاع المياه بالواحات وتنظيمها وفى مساء ٢٢ أبريل كانت أورطتان من آلاى الورستر بأوغراطينــا على بعد أربعة أميال شرق القطية تحميان بلوك الميدان من سلاح المهندسين الذى كان جاريا العمل فى الآبار ، وأورطة من آلاى جلوستر عند القطية وكانت الأورطتان الآخرتان عند رمانة ، وكان آلاى الوريك (أورطتان) والأورطة الباقية من آلاى ورستر متجمعة عند بئر حميصة للهجوم على قوة تركية دلت التقارير على أنها كانت فى اليوم السابق عند بئر مغيبرة (١٠ أميال جنوب شرق القطية). انقضت قوة كرس بعد سير ليلى على القوة الموجودة بأغراطينا فى الساعة ٤٫٣٠ صباح ٢٣، وكانت شابورة الصباح قد عرقلت عملية الاستطلاع فلذلك بوغتت اليومنرى واكتسحت بعد مقاومة عنيفة دامت ثلاثة ساعات . ثم سار الأتراك قاصدين القطية وهاجموا أورطة الجلوستر هناك الساعة ٨ صباحا والتى انضمت اليهــا أورطة الورستر التى كانت فى بئر حميصة فتمكنتا من الثبات للساعة ٣ بعد الظهر عند ما تغلب عليهما الأتراك لكثرة العدد . لمــا علمت الوريك أثناء ذلك بخلو بئر مغيبرة [1] سارت إلى القطية لنجدة قوتها وسارت أيضا لذلك الغرض الجلوستر من رمانه ، ولكن مجهودهما لم يكن منسقا ولم يأت بفائدة، ولمــا تأكد الانجليز من سقوط القطية سحبوا باقى اللواء تجاه القناة وابتداء من الساعة ٥ صباحا وحتى الساعة ١ بعد الظهر هاجم الأتراك المغيرون بلا نجاح نقطة المشاة الانجليزية عند دويدار . وفى ٢٥ منه استعاد اللواء الثانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة (الذى كان متجمعا عند الصالحية — ١٨ ميلا غرب

---

(١) كان الأتراك قد تركوها لمهاجمة دويدار

القنطرة — توطئة للتقدم إلى القطية[1]) رمانة والقطية وانسحب الأتراك إلى بئر العبد .

حاز كرس بغارته هذه نجاحا تكتيكيا عظيما، ولكن لم يكن لها أى تأثير استراتيجى إذ لم تؤثر على برنامج سحب القوات للميدان الغربى، وأما أن معلومات الأتراك كانت جيدة أو أنهم كانوا سعداء فى أن يوجهوا هجومهم فى الوقت المناسب قبيل وصول التقويات، وقد ساعدتهم الشابورة. وكانت كارثة اليومنرى ترجع إلى خطأ التوزيع وعدم كفاية الاستطلاع الشئ الذى لم تعوض عنه شجاعتهم . وكان ينقصهم كثير من العلم بعمل القوات الراكبة .

ولم يقم كرس بعد نجاحه هـذا بأى محـاولة أخرى مدة تقرب من ثلاثة أشهر إذ كان ينتظر وحدات فنية من ألمـانيا [2] وقد اعطى هذا التأخير الإنجليز الوقت الكافى لتثبيت أقدامهم بمنطقة القطية . وفى مارس أنشئت فرقة الأتراك الراكبة بقيادة ضابط من الفرسان الأسترالية وهو المـاجور جنرال شوڤل من لواءات الفرسان الأسترالية الخفيفة الأول والثانى والثالث ولواء البنادق الراكبة النيوزيلاندى، وبعد كارثة القطية قام لواءان من هذه الفرقة (الثانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة ولواء نيوزيلنده) بحماية مد السكك الحديدية وبمراقبة منطقة الواحات بالدوريات، ولميل جنود المستعمرات الطبيعى لهذا العمل ولتركيب جسمانهم سرعان ما اعتادوا الطقس وقاموا بأعمال مجيـدة وسيقوموا بمثلها حتى نهاية الحرب ، وقد أظهروا فائدة الفارس الجـرئ فى الصحراء وفى جبـال يهوذا ومعابر الصخرية الشديدة الانحدار غير المناسبة للقوات الراكبة .

---

(١) فى ٢٢ منه وصل ألاى الى القنطرة وفى ١٣ منه ترك باقى اللواء الصالحية ووصل القنطرة مساء اليوم نفسه وتقدم فى الحال الى التل ٧٠ لستر تقهقر اليومنرى

(٢) كون من هذه الوحدات تشكيلا سمى (الباشا نمرة ١) وكان يشمل ٥ بلوكات مدافع ماكينة و ٥ مجموعات من المدفعية المضادة للطائرات و ٤ بطاريات مدفعية ثقيلة و بطاريتين جبليتين نمسويتين ثقيلتين و بلوكين من مورتار الخنادق وسرب طائرات وثلاثة بلوكات سكة حديدية وثلاثة بلوكات لوريات (بجزء مما نوس الخالى من السكة الحديدية) .

وصلت السكة الحديدية بالاتساع العادى رمانه فى منتصف مايو ، وتقدمت الفرقة ٥٢ لتحتل موقعا دفاعيا هنـاك . تقع سلسلة من التـلال الرملية تمتد من المحمدية على الشاطئ إلى الداخل لمسافة ٦ أميال أو سبعة. وهذه التلال بمثابة موقع دفاعى طبيعى متين ضد أى عدو يتقدم من الشرق . أنشئت على هذه التلال ١٨ بلانقه(تسع كل واحدة ١٠٠ بندقية ومدفعى ماكينة) ويحمى الطرف الغربى من بحيره البردويل الجنب الأيسر أى الشمالى أما الجنب الجنوبى فيرتكز على الكثيب الشهير المسمى كثيب جانيت ، ومن هـذا الكثيب تمتد للغرب تبه عريضة هى الحد القبلى للهضبة الرملية التى تسـير عليـا السكة الحديدية اسميت هـذه التبه "تبه ولنجتون". وتوجد جنوبها سلسلة من الكثبان الرملية المنعزلة يبلغ ارتفاعها نحو ٢٢٥ قدما أشهرها جبل مرديث(٤ أميال جنوب رمانة) وجبل رويستون[1](٤ أميال جنوب غربهـا) وبين هذين الجبلين تجرى مجـارى مياه مخترقة تبه ولنجتون إلى السكة الحديدية والهضبة التى تقع خلف موقع رمانة ومدت سكة حديدية ضيقة (باتساع قدمين ونصف) من بور سعيد الى المحمدية . وفى أوائل يونيه تم مد فرع من السكة الحـــديدية بالاتساع العـادى من رمانة الى المحمدية وبذا تمت المواصلات الحديدية خلف الموقع بأجمعه .

فى ذلك الوقت كانت قوة التجريدة المصرية قد نقصت كثيرا فلم يبق فى أول يونيه من الاثنتى عشرة فرقه التى كانت بمصر فى أول السنة سوى سبعة فقط سافرت منها ثلاثة أخر لفرنسا فى بحر الشهر .

بمجرد أن أصبحت مواقع رمانة متينة التنظيم جرى العمل ثانيـة فى مد السكة الحديدية الى القطية ولكن كرس تحرك ثانيا فى أوائل يوليه ، وكانت قوته مركبة من الفرقة الثالثة (فرقة أناضولية جيدة) ووحدة الباشا نمرة واحد — مازال بعض أجزاء هذه الوحدة معطلا بخطوط المواصلات — وكانت مجموع القوة التى معـه ١٦٠٠٠ مقاتل (١٢٠٠٠ بندقيـة و ٣٠ مدفعا و ٣٨ مدفع ماكينة) وكانت هذه

(١) سميا باسمى قائدى اللواءين الأول والثانى من الفرسان الأستراليـة الخفيفـة وكان ثانيهما لا يكل من الركوب ففى موقعة رمانة ركب مالا يقل عن ٤٠ حصانا حتى أوقفها التعب وكان يسير بسير المضاعف ما بين مواقع وحدته واللواءات المجاورة الموجودة بخط النار .

تفوق فى عناصرها سابقتها التى هاجمت مصر أول مرة ، وكان غرض الأتراك الوصـول الى موقع تبق به القوة ويتيسر لهـا منه ضرب القناة بالمدافع اسدها وتعطيل الملاحة بها .

الخريطة نمرة ٤

موقعــة رمانــة

٤ اغسطس ١٩١٦ الموقف الساعة ٤ مساء



 الهجوم التركى الأساسى

 « « التشـــبتى

 الدروب الأســاسـية

ففى ٩ يوليه تحركت القوة الأساسية من الشلال (شمال بئر السبع) سائرة أثناء الليل فقط فوصلت بئر العبد وأغراطينه فى ١٩ يوليه حيث علم الانجليز بوجودهم .

صار تقوية القطاع نمرة ٣ من دفاعات القناة فى الحال ، وهو الذى يشمل موقع رمانة الأمامى ، فأصبح به فى ٢٢ يوليه الفرقة ٥٢ ولواء من الفرقة ٥٣ يساعدها ٣٦ مدفعا منها ٤ عيار ٦٠ رطلا . وفى ٢٤ يوليه وضعت الفرقة ٤٢ تحت قيادة قائد القطاع نمرة ٣ وهو الماجور جنرال لورنس ، وضعت لواءات هذه الفرقة بهيئة تدريج على السكة الحديدية ما بين محطة جلبانة والقنطرة . كانت ورئاسة القطاع ٣ بالقنطرة (تبعد ٢٥ ميلا عن رمانه) ، وكان توزيع القوات الراكبة كالآتى : اللواءان الأول والثانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة برمانه وكانا تحت رئاسة فرقة الأنزاك الراكبة ، وكان لواء نيوز يلنده الراكب واللواء الخامس الراكب (يومنرى) بالتل ٧٠ شرق القنطرة ، واللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة بمحطة بليبونيون بالقطاع ٢ ، وكان بالفردان (داخل القطاع ٢ أيضا) قول خفيف الحركة مكون من أربعة بلوكات من الهجانة الامبراطورية بقيادة اللفتننت كولونيل سميث .

يندر أن نجد وقائع سارت كما كان منتظرا أن تسير كموقعة رمانة ، فقد كاد الانجليز أن يكونوا واثقين من محاولة الأتراك تطويق يمينهم لأن جنبهم الآخر كان متينا ، ومن أنهم سيقصدون السكة الحديدية غرب رمانه . هذه العملية تؤدى بهم الى التورط بالكثبان الرملية المرتفعة التى تلى يمين الانجليز . وهذه الكثبان عديمة المياه ورملها دقيق ثقيل يصعب فيه عمل الاستحكامات وتقل عليه سرعة المشاة الى أن تصبح ميلا واحدا فى الساعة أو أكثر قليلا . اقترح الجنرال لورنس أن يترك قوات الأتراك الأساسية تتورط فى هذه المنطقة ثم يقوم بهجوم مضاد بالمشاه على وسطهم وبقوته الراكبة حول شمالهم ، وقد يترتب على هذه الخطة تدمير قوة كرس بشرط أن يشتغل الأتراك كما توقع الانجليز .

أظهر الأتراك أول الأمر رغبتهم عن القيام بذلك العمل ففى ٢٤ يوليه بعد أن أصبحوا على بعد ١٠ أميال من مواقع رمانه وقفوا وحفروا خنادق وثبتوا ١٠ أيام ، ولم يتأكد الانجليز من نية الأتراك فربما كانوا يريدون امتلاك قاعدة قبل قيامهم

بالهجوم ، أو ربما كان غرضهم اتخاذ موقع دفاعى لحماية الطريق الساحلى . وبمجرد أن أتم الجنرال مورى التحركات الضرورية لمقابلة الاحتمال الأول بادر بتجهيز خطط للتقدم لو ظهر أن الأتراك سيبقون بمحاهم منتظرين الهجوم عليهم . ففى أول أغسطس جمع ١٠٥٠٠ جمل لتكون حملة نقل القطاع ٣ حملة خفيفة الحركة . تقرر أن يبدأ الانجليز تقدمهم يوم ١٣ أغسطس أن لم يتقدم كرس حتى ذلك اليوم. أثناء ذلك كان اللواءان الأول والثانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة يراقبان الأتراك مراقبة شديدة . فكان كل لواء يقوم يوما بعد يوم عند الفجر للاستطلاع ويعود ليلا الى رمانه . وكانت الحكمة فى اتباع نظام ثابت فى الاستطلاع موضع تساءل . وقد انتفع كرس من ذلك عند ما تم استعداده للهجوم ، فى مساء ٣ أغسطس تبعت قواته لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثانى عند انسحابه وكانت نيته مباغتة الانجليز واحتلال تبه ولنجتون ليلا ، وكان الانجليز قد تنبهوا الى قرب مهاجمة الأتراك لهم بسبب اقترابهم فى الأيام الأخيرة ولهذا كان لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الأول بأمر من الجنرال شوفل قد احتل موقعا للنقط الخارجية تلك الليلة من كثيب جانيت جنوبا الى حوض الحنه . وبذا قوبل هجوم الأتراك بمقاومة عنيفة من ذلك الخط يئسوا بسببها من امكانهم الوصول الى جنب الموقع الانجليزى بلا معارضة . وقد أرغم الأتراك الكثرة عددهم هذا اللواء على الارتداد من تبه ولنجتون فى فجر يوم ٤ أغسطس لكنهم لم يفلحوا فى تخطى التبه أو الثبات فوق قمتها[1] رغم محاولاتهم المتكررة طول اليوم. اضطر لواء الفرسان الاستراليه الخفيفة الثانى الذى كان على يمين اللواء الأول للارتداد أيضا للخلف ببطء حتى السكة الحديدية الى أن وصل لواء نيوز يلنده واللواء الخامس الراكب من التل ٧٠ فأمكنهم لا أن يوقفوا تقدم الأتراك فحسب بل وأن يصدوا جناحهم الأيسر للخلف باستمرار حتى جبل رويستون ، وأثناء ذلك كان الأتراك يضربون وسط الموقع الانجليزى ويمينه بنيران المدفعية وتقدموا نحوهما ولكنهم لم يضغطوا هجومهم حتى النهاية .

وكان الموقف فى مساء ٤ أغسطس كالآتى :

قوة الأتراك الأساسية متعبة يائسة متورطة بالكثبان الرملية الصعبة الواقعة يمين الانجليز ولم يكن لهجومهم الذى قصدوا منه تثبيت الانجليز أى تأثير على الموقع

(١) استعاد الانجليز التبة فى صباح ٥ أغسطس بأورطتين من اللواء ١٥٦ تساعدهما الفرسان الاسترالية والنيوز يلندية ، وقد أسر فى هذه التبه نحو ١٥٠٠ أسير تركى .

الرئيسي ، أما الفرسان الانجليزية التي تحملت عبء القتال فلم تزل قادرة على القيام بمجهود آخر ، وكان لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثالث وقول سميث الخفيف الحركة (من القطاع نمرة ٢) جاريين عمل حركة الالتفاف حول يسار الأتراك ، أما الفرقة ٥٢ فلم تشتبك اشتباكا عنيفا وكانت بموقع مناسب يمكنها منه أن تضرب جنب الأتراك الأيمن الذين ثبتتهم القوات الراكبة الانجليزية ، وكانت الفرقة ٤٢ متقدمة من الاحتياط ولذا فلم يكسب الانجليز المعركة فحسب بل واتضح أنه فى أمكانهم تحطيم جل القوة التركية ان لم تكن كلها .

لكن النهاية كانت فاشلة ، فلم تكن الفرسان الانجليز بقادرة على السير بالسرعة الكافية على الرمال الثقيلة ، وتأخرت الفرقة ٤٢ فى الوصول ، ولم يعتقد قائد الفرقة ٥٢ أن الموقف أصبح واضحا له وضوحا كافيا ليقوم من نفسه بهجوم مضاد ، ولذا تمكن كرس فى اليوم التالى من الانسحاب بمعظم قوته رغم المجهود الشاق الذى بذلته كل الوحدات الانجليزية فى تلك الحرارة القاسية ، وقاتل كرس يومى ٦ و ٧ الفرسان الانجليزية بمهارة فى عمليات للؤخرة وصد فرقة الأتراك الراكبة صدا تاما يوم ٩ ببئر العبد ثم انسحب للعريش تاركا نحو ٤٠٠٠ أسير ، ٤ مدافع و ٩ مدافع ماكينة ، ولا بد أن خسائره قد بلغت نحو نصف قوته التى مجموعها ١٦٠٠٠ ، ومع ذلك فيجب أن يعد سعيدا لنجاته من مجازفته بهذه الخسائر ، بلغت خسائر الانجليز نحو ١١٠٠ معظمها فى فرقة الأتراك الراكبة .

وقد أظهر الأتراك فى رمانة صفاتهم البارزة كجنود . فقد كان هجومهم بعزيمة ، وكافحوا بشرف عند ما صد هجومهم ، ثم فاقوا الانجليز فى سرعة السير عند انسحابهم ، ثم صدوا الفرسان الانجليزية أثناء تقهقرهم ، وقد أخر كرس هجومه أسبوعين انتظارا للدفعية الثقيلة ، ولكن هناك شك فى أن الفائدة من وجودها تفوق المضار التى عادت عليه من اعطاء خصمه كل هذا الوقت الطويل ليستعد فيه[1] كانت

---

(١) علل كرس التأخير للأسباب الآتية "لقلة المياه بالواحات بين بئر السبع والعريش اضطر للسير بقولات بفاصل يوم أو يومين بين كل قول وآخر ، وكانت الفكرة ترمى الى حشد كل القوات بالعريش ولكن وجد أن المياه بها لا تكفيها كلها ، ولذا أرسلت فى قولات لبئر العبد ، وأهم أسباب التأخير هى صعوبة سحب المدافع قطر ١٠ سم و ١٥ سم فوق منطقة الكثبان الرملية قرب العريش ، فاضطر لتمهيد درب وسحب المدافع الثقيلة على مراحل قصيرة ، وأجرى الهجوم بمجرد وصول هذه المدافع

رمانه نصرا تاما للأسلحة الانجليزية ، ولا يجب أن ينتقص من نتيجة الموقعة بسبب أنه كان بالإمكان الحصول على نجاح أعظم ، فكانت الخطة موضوعة بعقل ولكن الخطأ فى التنفيذ هو الذى مكن الأتراك من الخلاص من الشرك الذى دخلوه بأرجلهم ، وكانت الرئاسة وهى بالقنطرة بعيدة عن أرض العمليات بعدا لا يمكنها من مراقبتها والهجوم المضاد بنوع خاص يلزم توقيت وقوعه توقيتا مضبوطا ويستدعي هذا أن يكون الرئيس الأعلى متصلا بالميدان اتصالا تاما [1] بقدر الامكان وقد قيل أنه لو تولى أحد قائدى الفرقتين قيادة قوات رمانه كلها ووضعت فرسان القطاع نمرة ٢ تحت قيادة الجنرال لورنس لاختلفت النتيجة وكان النصر أتم ، وقد يرجع السبب فى تأخير بدء المطاردة إلى قلة المعلومات لقلة الطائرات ، فلم يوجد من المرتب وقدره ٢٨ طائرة سوى ١٦ وعجزت جنود الفرقة ٤٢ عن السير طويلا فوق الرمال الثقيلة فى الجو الشديد الحرارة لعدم تعودهم على الصحراء ، ولم تعادل سرعة الفرقة ٥٢ سرعة الأتراك ، ومن الانتقادات الصحيحة أن مطاردة القوات الراكبة كانت على الواجهة ولم تعمل محاولات كافية لتطويق اجناب الأتراك ، وكانت صعوبة التموين بالمياه عظيمة ، ولكن العمل الباهر الذى قام به قول سميث يبين ما كان يجب عمله .

٤ — ثورة العرب بالحجاز

وقعت فى صيف سنة ١٩١٦ حوادث بالجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب أعطت بريطانيا حليفا جديدا — بثمن — وأثرت على سير العمليات التالية بفلسطين وسوريا تأثيرا عظيما .

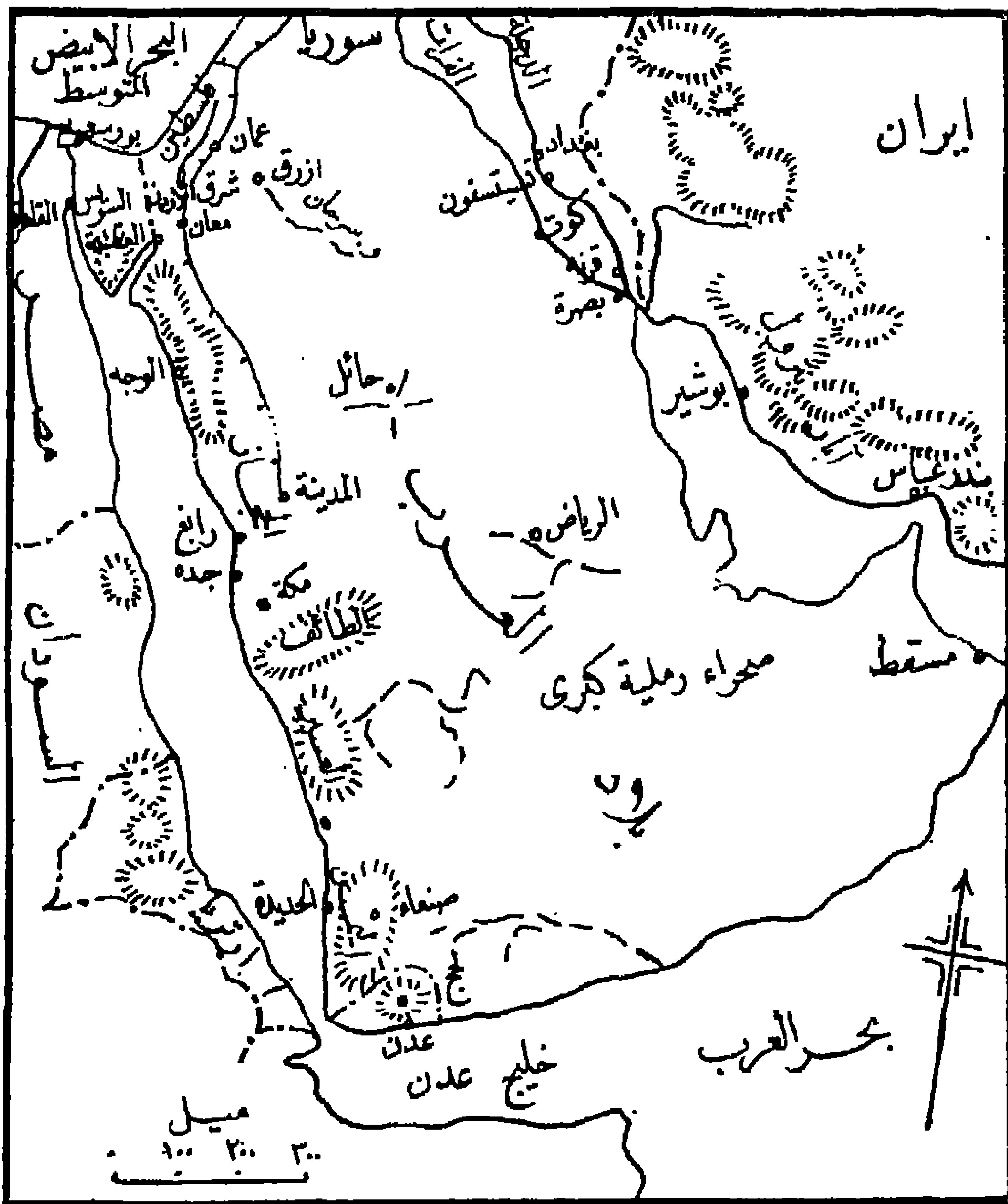
كانت المانيا بلا شك تأمل فى مضايقة بريطانيا وفرنسا ، وخاصة الأولى ، فى جهات متعددة بضم تركيا اليها كحليفة ، وكانت تأمل كل الأمل ، لوجود الرئيس الروحى للدين الاسلامى فى صفها ، فى كراهية الرعايا المسلمين التابعين لأعدائها وفى أن تبقى الأمم الأسلامية محايدة ان لم تتعاون معها فعلا . وظهر بتقديرهم هذا خطؤهم الواضح من الوجهة النفسية ، ومع ذلك فقد كانت التدابير التى اتخذوها لإيجاد شعور عدائى لبريطانيا فى إيران والأفغان وبلاد العرب وغيرها تاما وقام

(١) قد يستفيد الطالب من مقارنة موقعة رمانه باوسترلتز .

الانجليز بمقاومة هـذه الدعاوة و بحماية مصالحهم ، فعند ما أبدى الشريف حسين أمـير مكه رغبته فى رفع نير الحكم التركى شجعته الحكومـة البريطانية كل التشجيع ووعد بأن تساعده ماديا (١) .

سوف لا يذكر هنا إلا مختصر موجز لجغرافية أراضى شبه الجزيرة الواقعة على البحر الأحمر وللسياسة المتعلقة بها ، تشمل شبه الجزيرة ثلاثة أقطار الحجاز والعسير واليمن .

بلاد العرب



الخريطة نمرة ٥

(١) فى أوائل أكتوبر سنة ١٩١٤ عرض الجنرال مكسوبل فكرة ضم عرب الحجاز لجانب بريطانيا . ويظهر أن اللورد كتشنر نفسه كان يفكر فى ذلك من قبل .

الحجاز هو أرض المسلمين المقدسة ويمتد من جنوب خليج العقبة مباشرة الى جنوب جده ميناء مكة ، وتنتهى سكة حديد الحجاز — التى تبتدئ من دمشق — فى المدينة المنورة وهى تبعد شمالا عن مكة بمائتين وخمسين ميلا والأرض الجرداء الصخرية الواقعة جنوب الحجاز تسمى العسير كان حاكمها ادريس السيد عدوا لدودا لتركيا ، وتمتد اليمن وعاصمتها صنعاء وميناؤها الحديدة من جنوب العسير الى عدن الانجليزية ، والامام يحيي حاكم اليمن رجل ذو صفات ممتازة فقد كان شوكة فى جنب الأتراك لدرجة اضطروا معها بعد حملة عسكرية كلفتهم الكثير ، الى أن يوقعوا معه معاهدة بشروط تناسبه كثيرا وكان ذلك قبل نشوب الحرب العظمى. وقد أخلص الامام كل الاخلاص فى تنفيذ المعاهدة طول الحرب ، ولو أنه لم يساعد الأتراك مساعدة جدية إلا أنه أوى الحامية التركية باليمن وأطعمها .

كانت تركيا تحكم هذه الولايات الثلاث اسميا فقط فلم يكن لها سوى القليل من النفوذ خارج المون المهمة التى كانت قواتها معسكرة بها . وفى أول الحرب كانت حاميتها مركبة من فرقة واحدة (الفرقة ٢٢) بالحجاز وأخرى بالعسير (الفرقة ٢١). وفرقتين باليمن (٣٩و٤٠) . وقد عزل الحصار البحرى الذى ضربه الانجليز القوات التركية بالعسير واليمن وقد قامت الحامية الموجودة بالأخيرة فى يوليه سنة ١٩١٥ بهجوم على عدن المشمولة بالحماية وهددوا وقناما القلعة الشيء الذى اضطر الانجليز لارسال لواء من مصر لطردهم . لم تقع بعد ذلك حتى نهاية الحرب أى حوادث مهمة فى ذلك الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة ، فقد قنع الانجليز بامتلاك القلعة ولم يحاولوا طرد الأتراك الذين كانوا محتلين خارجها [١] .

انتهت المفاوضات التى دارت مع الشريف حسين منذ اعلان تركيا الحرب باتفاق وضعه السير هنرى ماكماهون المعتمد البريطانى فى مصر وقع فى أكتوبر سنة ١٩١٥ وكان الشريف يتصور فكرة احياء امبراطورية عربية تشمل بلاد العرب والعراق وفلسطين وسوريا وقد وافقت بريطانيا على مبدأ استقلال العرب فى بلاد

(١) عندما أخلى الأتراك الجزء الذى كانوا محتليه فى نهاية الحرب احتله الامام (وهو جزء كبير من حماية عدن) ولم ينسحب منه نهائيا إلا بعد مفاوضات طويلة .

العرب ببعض شروط ترضي مطالب الفرنسيين الذين كانوا يهتمون بمستقبل سوريا. ولم يعلن الشريف حسين عن حركته فى الحال بل بدأ بوضع خطة لثورة عامة يقوم بها العرب فى سوريا. وعجل فى قيامها أخيرا اضطهاد جمال باشا وتدابيره القاسية التى اتخذها ضد زعماء الحركة العربية بسوريا التى علم بأمرها، ووصول ٣٠٠٠ جندى للمدينة المنورة فى مايو سنة ١٩١٦ فى طريقهم لامداد الفرقتين ٣٩ و ٤٠ باليمن.

نشبت الثورة فى ٥ يونيه سنة ١٩١٦ وكانت أغلبية حامية مكة بالمعسكرات الصيفية فى الطائف بالتلال الواقعة جنوب شرقى مكة. انتهى أمر القوات القليلة التى كانت فعلا بالبلدة، وسلم الذين كانوا بجدة أنفسهم فى ١٦ يونية، كما فعلت القوات التى كانت بالطائف — بعد أن قاومت حتى الأسبوع الثالث من سبتمبر — ليأسها من رفع الحصار، أما محاولات العرب ضد المدينة المنورة ففشلت ولم يفكر قائدها فخر الدين باشا الرجل القوى القلب فى أن يسلم ما أؤتمن عليه، وكان البدو بلا حول أمام القوات النظامية وخنادقها، ولم تكن الحملات العسكرية الطويلة الأجل مناسبة لطريقتهم فى القتال، فابتدأت عزائمهم (العرب المحاصرون للمدينة) تخور وبدأوا يتفرقون عنها. وبوصول التقويات للاتراك فى نهاية السنة أصبح فى امكانهم أن يجردوا حملة لاسترجاع مكة.

لذا يمكن القول بأن الأشهر الأخيرة من سنة ١٩١٦ كانت أحرج أوقات الثورة العربية. وكانت السيطرة على العمليات الحربية فى الحجاز فى ذلك الوقت فى يد السير ريجنالدونجت سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام[1] وكان بقسم (مكتب) العرب وقتئذ الكابتن لورنس (صار كولونيل فيما بعد) الذى سيكتسب الشهرة لقيادة الثورة العربية فى الميدان. ففى أحرج الأوقات عند ما كادت تنجح تجريدة الأتراك المرسلة لاسترجاع مكة اقترحت الحكومة البريطانية أن ترسل لواء هنديا إلى رابغ على البحر الأحمر لمساعدة العرب وذلك عملا بنصيحة الجنرال ونجت السردار والسير هنرى ماكماهون المعتمد البريطانى، وقد عارض هذه السياسة السير

(١) كان السير جون ماكسويل مدة قيادته يشرف على المفاوضات مع الأمير حسين وأنشأ قسما للعرب بهيئة المخابرات. ولما ولى السير ارشبالد مورى القيادة رغب عن ادارة العمليات فى ذلك الجزء ووافق على اسنادها للسردار.

ارشبالد مورى ومكتب العرب أيضا لشكهما فى استصواب إرسال هذه القوة أو وجود فائدة منها ، وكان شكهما فى محله . وبينما كان القرار معلقا أفلح لورنس أثناء اجازته فى الوصول إلى معسكر فيصل — ابن الشريف الثالث — الذى كان يقود قوات العرب التى أمام المدينة المنورة ، وأمكنه بفضل تجاربه القصيرة عن الحالة بالحجاز أن يقدم أدلة مقنعة تؤيد وجهة نظر مكتب العرب . فقد فطن إلى أن السياسة الحقة التى تفيد العرب ليست مهاجمة استحكامات المدينة المنورة ولا مقابلة القوات التركية بالميدان ، إذ لا تصلح القوات العربية لهذين العملين ، وانما هى نشر الثورة تدريجيا للشمال حتى أبواب القدس ، وتكون الدعاوة أهم أسلحتها ، مع استمرار الغارات على المواصلات التركية الطويلة للمدينة المنورة . فالاستيلاء على المدينة يخلص الأتراك من حيرة عسكرية بينما بقاء حاميتها هناك يسبب استمرار سحب بعض الشىء من الموارد . لذلك أقنع لورنس فيصل فى مقابلة تقدم الأتراك على مكة بسير جنبى لمسافة ٢٥٠ ميلا إلى الوجه على الشاطئ وهناك يهدد المواصلات التركية مع المدينة . وقد كان نجاح هذه الحركة — التى تمت فى نهاية يناير سنة ١٩١٧ — سريعا فعالا فقد وقف فى الحال تقدم الأتراك على مكة واضطروا لتوزيع قواتهم على طول السكة الحديدية ، وبذلك زالت مسألة إرسال لواء إلى " رابغ " واستبدلت بإنشاء قوة من العساكر النظامية لفيصل كونت من العرب الذين أسروا فى الحرب والذين كانوا بمعسكرات مصر ، على أن تنشأ وتدرب بمدينة الوجه .

كان احتلال العقبة على رأس خليج العقبة فرع البحر الأحمر هو الخطوة التالية لنشر الثورة العربية شمالا . وعلى فرض إن إنزال قوات للبر عندها كان ممكنا فان العرب لابد وأن يواجهوا الممرات والأخاديد التى حصنها الأتراك لمنع أى تقدم للداخل لذلك صمم لورنس على مهاجمة العقبة من البر لا من البحر ، فابتدأ فى أبريل من " الوجه " ومعه عدد قليل وسار اقرب دمشق وأفلح فى أن يضم اليه بعض رجال القبائل ليحاول الاستيلاء على العقبة ففى أوائل يوليه أمكنه أن يفنى قوة

تركية فى أبى اللسان ثم أن يستولى على العقبة نفسها. ثم نقلت قوات فيصل بحرا[١] من الوجه إلى العقبة التى أصبحت قاعدة لهـا .

سيأتى ذكر تاريخ الحركات العربية التالية فيما بعد. وكانت عظيمة القيمة للقائد الانجليزى إذ حولت الكثير من التقويات والتعيينات للحجاز ، وحمت جنب الانجليز الأيمن أثناء تقدمهم لفلسطين ، ثم وضعت حدا للدعاوة الألمـانية بجنوب غربى بلاد العرب ، وأزالت خطر إنشاء قاعدة ألمـانية للغواصات بالبحـر الأحمر ، وكل هـذه الخدمات الجليلة تبرر ما صرف على القوات العربيـة من ذهب ومؤن .

---

(١) كان الأميرال سير روزلن ويميس قائد البحرية البريطانية بالهند ومصر صـديقا للعرب محبا لمساعدتهم على الدوام .

الباب الثالث

اختراق صحراء سيناء — والحركات التعرضية الأولى بفلسطين

(١) التقدم للعريش ورفح — الموقف العام ، تحرك رئاسة التجريدة المصرية الى القاهرة ، السكة الحديد ومواسير المياه عبر الصحراء ، الحملات والعمال ، احتلال العريش ، عملية المغضبة ، عملية رفح ، تعليقات .

(٢) موقعة غزه الأولى — طبوغرافية جنوب فلسطين ، اعادة تنظيم التجريدة المصرية ، توزيع القوات التركية ، الاستعدادات وخطة الهجوم على غزه ، الموقعة تعليقات .

(٣) موقعة غزه الثانية — الموقف العام ، الاستعدادات والخطة ، توزيع القوات التركية ، الموقعة .

(٤) الحوادث ما بين أبريل ويوليه سنة ١٩١٧ — توزيع القوات الانجليزية اتلاف سكة حديد العوجة ، تولى الجنرال اللنبي القيادة بدل الجنرال موري .

تركيب قوات التجريدة المصرية للموقعة — مارس سنة ١٩١٧ .

(انظر الخرائط نمرة ٦ و ٧ و ٨) .

١ — التقدم للعريش ورفح

كان النصر برمانه بمثابة نقطة انتقال للحملات التى أرتكزت على مصر . فمن وقتها أصبحت القناة ومصر آمنتين من أى هجوم تركى حتى نهاية الحرب . وأصبح الانجليز هم المهاجمون فى ذلك الميدان الذى هو جزء متمم لباقى الميادين ، وتوقف السياسة المتبعة فيه على العمليات الأخرى ، وهذا ما يفسر الأوامر المتذبذبة غير المستقرة التى كانت تصدرها وزارة الحربية لسير عمليات التجريدة المصرية . ففى أوائل ربيع سنة ١٩١٦ عقب موقعة رمانه مباشرة لم تر وزارة الحربية فى الموقف العام

ما يستدعى سياسة التقدم لقوات السير أرشيبالد مورى ، فقد خرج الجيش الفرنسى منتصرا رغم أنه منهك القوى من موقعة فردون التى رمى الألمان من ورائها الى انهاك قوى الفرنسيين انهاكا تاما ، وأمكنه أن يقوم بنصيبه مع الانجليز فى واقعة السوم التى كان أوارها لا يزال مستعرا . أما فى الروسيا فقد أحيا هجوم بروسيلوف آمالا لم تحقق فى النهاية ، إلا انه بعد ذلك اوقف هجوم النمسا على إيطاليا وحرض رومانيا على الانضمام للحلفاء . وعلى ذلك فالحالة فى الميادين الأوروبية كانت تسير سيرا حسنا . أما فى آسيا فقد أوقفت العمليات الحية . وكان الغراندوق نقولا يعزز ما اكتسبه من تقدمه على طرابزون وازربيجان ، وكان الجنرال مود يعيد تنظيم قوته التى فشلت فى تخليص كوت ، ولم يكن الأتراك خطرا ماحقا فافضل فرقهم كانت ألمانيا قد طلبتها للقتال بالميادين الأوروبية . ولذا لم ترو وزارة الحربية أن تكلف الجنرال مورى إلا بضمان سلامة مصر وإلا بمساعدة حليف الحلفاء الجديد "الملك حسين" ، تصدق على استمرار التقدم للعريش بصفته جزءا حيويا للدفاع عن مصر .

إلا أن الموقف تغير فى أوائل ديسمبر وتعدلت تبعا لذلك السياسة ، فقد انتهت موقعة السوم بلا قرار حاسم ، ولم ينكسر الخط الألمانى كما كان الأمل ، وكانت الخسائر جمة فى الجنود الذين سقطوا فى الميدان ، وانتهى هجوم بروسيلوف بلا نجاح تالى ، واجتاح الألمان رومانيا بسرعة ، وتغيرت ادارة الحرب ببريطانيا اذ انتقلت من يد المستر اسكويث الى يد المستر لويد جورج — الذى كان دائم البحث عن مفاصل درع ألمانيا خارج الميدان الغربى — وكان أول ما فعله المستر لويد جورج أن أرسل برقية الى الجنرال مورى يفهمه فيها أن النجاح فى الشرق مرغوب فيه كل الرغبة ، ورد عليه قائد التجريدة المصرية يلفت نظره للمرة الثانية الى تقديره الأصلى وهو حاجته الى ٥ فرق وأربعة لواءات فرسان للوصول للعريش والاحتفاظ بها(١) . وكان لديه فى ذلك الوقت ستة لواءات راكبة واربعة فرق فقط (كان ينقص من مرتبها فى أكتوبر ٦٠٠٠ جندى) ، أما اذا طلب منه أن يتقدم شرق العريش للعمل بفلسطين فانه يحتاج الى فرقتين أخريين ليكون المجموع

(١) انظر صفحة ٣٩ وكان الجنرال قد أعاد فذكر تقريره فى تقرير تفصيلى للموقف أرسله لوزارة الحربية فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩١٦

٦ فرق[1] ، وبعد أن تبودلت البرقيات تبلغ للجنرال مورى فى ١٥ ديسمبر أن غرضه الأساسى هو الدفاع عن مصر ومع ذلك فعليه أن يكون مهاجما قدر امكانه بما لديه من القوات ، ورغم أن المستر لويد جورج كان يود أن يهاجم الأتراك الا أنه لم يكن بقادر على تقوية القوات الانجليزية بمصر بسحب قوات من الميدان الغربى لأنها كانت تستعد فيه لهجوم عام كبير فى ربيع سنة ١٩١٧

فى أكتوبر سنة ١٩١٦ تحركت رئاسة السير ارشبالد مورى من الاسماعيلية الى القاهرة ، وما زال السنوسى مهددا حدود مصر الغربية بقواته بالواحات الغربية ، ورغم أن على دينار سلطان دارفور قد هزم الا أن الثورة لم تكن انحمدت تماما ، وكانت ثورة العرب بالحجاز فى كفة القدر ، وحالة مصر الداخلية وتطبيق الاحكام العرفية احتاجا لمراقبةدقيقة ، واخيرا كان الجنرال مورى مسئولا حتى ذلك الوقت عن ادارة القوات الانجليزية بسالونيكا . كان القيام بكل ما سبق اسرع بالقاهرة منه بالاسماعيلية ولذا كان الانتقال للأولى امرا ضروريا ، ولكن الجنرال وأركان حربه فقد الاتصال بالقوات المقاتلة وأصبح من ذلك الوقت اداريا لا قائد جيش بالميدان . وعهد الى اللفتنانت جنرال السير تشارلس دوبل ادارة التقدم فى سيناء ووضع تحت قيادته كل القوات التى كانت شرق القناة واطلق عليها اسم القوة الشرقية .

كانت خطوط المواصلات التى نظمت للتقدم عبر سيناء انجليزية بحتة أعنى بطيئة كثيرة التكاليف شديدةالمتانة ، واذا كانالجيش قد أمكنه التقدم الى ما بعد أبواب حلب فان الفضل فىذلك يرجع الى بعد نظر السير ارشيبالد مورى الذى بدأ التقدم على أساس متين مبنى على سكة حديدية بالاتساع العادى ومواسير مياه قطر ١٢ بوصة ، ومن المناسب ذكر بيان موجز لاهم هيئات خطوط المواصلات .

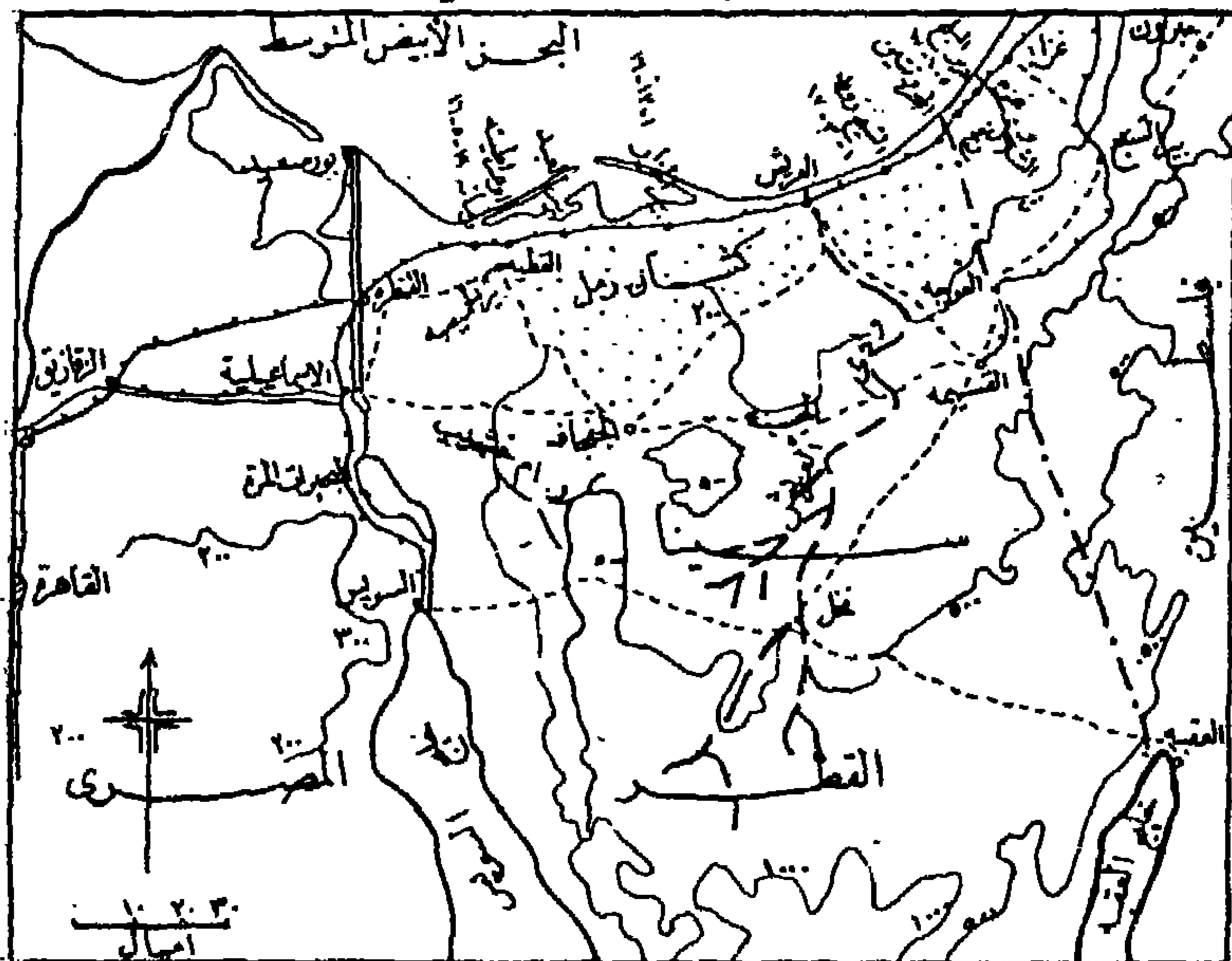
بدئ فى أواخر فبراير فى مد سكة حديدية بالاتساع العادى (٨½ بوصة ٤ قدم) فوصلت رمانة على بعد ٢٥ ميلا بعد شهرين ونصف ومد فرع منها الى المحمدية . وبعد الموقعة بوشر فى مدها بمعدل ١٥ ميلا شهريا تقريبا . وطولها من القنطرة الى وادى غزة (أمام البلدة) نحو ١٤٠ ميلا . وفى مايو سنة ١٩١٧ مد فرع طوله ١٧ ميلا من رفح الى الشلال ثم منها الى الجاملى . وقام بمد السكة الحديدية

(١) كان سيستخدم ثلاثة من هذه الفرق للدفاع السلبى عن خطوط مواصلاته

بلوكات السكة الحديدية التابعة لسلاح المهندسين وقامت فرقة العمال المصرية بالأعمال الشاقة، وامدتهاسكة حديد الحكومة المصرية بالكثير من المواد الضرورية (برفع بعض خطوطها الفرعية) و بالمساعدة الفنيــة والعربات بانواعها . كانت طاقتها المتوسطة ثلاثة عشر قطارا يو ميا . ولم يكن مد السكة الحديد فى حد ذاته كثير الصعوبة ولكن الصعوبة كانت فى التموين بالمياه . فلم تكن مياه الآبار الموجودة صالحة للقاطرات ولذا كانت المياه اللازمة تؤخذ من مواسير المياه .

الخريطة نمرة ٦

صحراء سينا



سكة حديد ———— ومبين عليها تواريخ وصول السكة الحديد اليها

دروب مهمة ------

كنتورات ~~~ بالمتر

مياه الآبار التى حفرت فيما بين القنطرة والعريش لا يمكن أن يستمر الاوربيون على شربها لملوحتها لذلك استعملت فى سقيا الحيوانات فقط . من ذلك يرى أن القوات والقطارات كانت تعتمد على مياه الترعة الحلوة . وقد سبق القول أن كميات منها كانت تصل المواقع الأمامية من الاستحكامات المنشأة شرق القناة فى مواسير مياه قطر ٤ ، ٥ ، ٦ بوصة وعند ما بدأ التقدم

للعريش طلب الجنرال موری مواسير قطر ١٢ بوصة فاستحضرت من أمريكا ووصلت فى رسالتين فى سبتمبر وأكتوبر . وصلت مواسير المياه رمانه فى منتصف نوفمبر وسرعان ما لحقت السكة الحديدية ووصلت الاثنتان للعريش فى وقت واحد . وقد جهزت أدواتها بحيث أمكن سحب ٦٠٠٠٠٠ جالون يوميا . وكان بالقنطرة الغربية آلة للتقطير[1] ومحطات للطلمبات وخزانات بالقنطرة الشرقية ورمانة وبئر العبد ومزار ، وكانت المياه تدفع (تكبس) من المحطة الواحدة للتالية لها ، وأثناء مد المواسير كانت المياه تحمل بقطارات المياه عند ما كان دفعها لرأس السكة الحديدية غير ممكن ومنها (رأس السكة الحديدية) توزع على القوات فى فناطيس عبوة ١٢ ½ جالون تنقلها حملة الجمال ، ويحمل الجمل الواحد فنطاسين .

كانت المياه شرق العريش أفضل كمية ونوعا ، ولذا أصبحت القوات أقل اعتمادا على مياه المواسير عن قبل وبقيت السكة الحديدية أهم مستهلك لها ، استمر مد مواسير المياه حتى نهاية أكتوبر سنة ١٩١٧ (أى قبل تقدم الجنرال اللنبي على القدس) عند ما وصلت الى قرب غزه وبئر السبع وحققت بذلك التنبأ القديم الذى قيل فيه " عند ما تصل مياه النيل لفلسطين يفقد الأتراك القدس "[2] .

كانت الجمال الوسيلة الوحيدة للحمل على رمال سيناء الدقيقة فكانت عجلات السيارات تغرز كثيرا ما لم تجهز بمخدات[3] كالتى استعملت مع المدافع فبها أمكن سحبها ببطء بطاقم يتركب من ثمانية خيول أو عشرة ، وكان سير ١٥ ميلا يعتبر سيرا طويلا للدفعية لليوم الواحد ، وسير الفرسان ٢٠ ميلا فى يوم واحد يعتبر عملية شاقة وكانت تقطع كلها بخطوة معتادة . وقد استعين على نقل الجرحى بزحافات الرمل واستعمل أيضا "الطريق السلكى" ــ بتثبيت سلك الأرانب بعد فرشه فوق الرمال ــ الذى سهل تحرك المشاة والسيارات الفورد ولكنه لم يتحمل ما هو أثقل

(١) لوجود ميكروب البلهارسيا الخطيرة بمياه الترعة الحلوة .

(٢) قيل أن بقية التنبأ هى " ويأخذها منهم نبى‌الله وقال المؤلف أن اسم الجنرال اللنبي يقرب من " الله النبي " أى أن نبى الله كما تكتب بالانجليزية .

(٣) قطع خشبية مربعة ضلعها قدم وسمكها ٢ ½ بوصة تثبت حول العجلات بجنازير .

منها . وفى أوائل سـنة ١٩١٦ بلغ عدد الجمـال المستعملة مع التجريدة المصرية ٢٠ ألفا ، وفى منتصف سـنة ١٩١٧ زاد الى ٣٥ ألفا ونظمت فى بلوكات بكل ٢٠٠٠ جمل يقودها جمالة مصريون .

كانت مساعدة مصر فى تشغيل المواصلات عظيمة . ففضلا عن الأدوات والعربات والموظفين الذين أعارتهم مصلحة السكة الحديدية ، وعن الحيوانات والأفراد الذين امدت بهم فرقة حملة الجمال ، فانهـا أمدت التجريدة بفرقة العمال المصرية التى لا يمكن تقدير قيمتها . كانت قوة الفرقة عنـد بدء انشائها فى أول سنة ١٩١٦ — ٣٠٠٠ عامل ثم زادت الى ٢٥٠٠٠ فى أول أغسطس سنة ١٩١٦ وفى السـنة التالية بلغت ٥٦٠٠٠ ذلك علاوة على الآلاف الذين أرسلوا الى فرنسا والميادين الأخرى . ولما كان العامل المصرى يرفض أن يقيد نفسه مهما كانت المغريات بتطوع تزيد مدته عن ثلاثة أشهر أصبح من اللازم لاستكمال هذا العدد ايجاد حركة تجنيـد نشطة وكان التطوع اختياريا فى الظاهر ولكن عند ما ازداد عدد المستجدين المطلوبين تطرقت وسائل رديئة الى طريقة التجنيد الذى أصبح فى الحقيقة والأمر الواقع اجباريا فى كثير من أجزاء القطر ، وكان هـذا من أهم أسباب الحزازات التى نشأت عنها ثورة سنة ١٩١٩ ، ولم تكن السلطات الانجليزية مسؤولة عن حركة التجنيد ولا عن الحزازات التى ترتبت عنها وكل مسؤولياتها انحصرت فى طلب عدد متزايد من العمال عند ما رأت فائدتهم العظيمة . وقامت الفرقة بأعمال عديدة فمدت السكة الحديدية ومواسير المياه وفرشت الطرق السلكية وفرغت شحنة البواخر والقطارات وشحنتها كما سيرت القوارب الساحلية فى ما بعـد عند ما دعى الحال توصـيل المخازن والمؤن بحرا إلى شواطئ فلسطين وسوريا ، هذا علاوة على أعمال أخرى عديدة نافعة .وقام أفرادها أحيانا بعملهم تحت النيران وحلت بهـم خسائر وتحملوا بلا تململ أقصى درجات الحرارة والجفاف — وكانوا معتاديها بعض الشيء — والبرد والرطوبة — وكانوا غير معتاديها .

تلت موقعة رمانة ثلاثة أشهر مدّت فيها السكة الحديدية إلى "مسافة الضرب" من مواقع الأتراك بالعريش ضجرت أثناءها القوات بالصحراء أشد الضجر لسير أيامها على وتيرة واحدة . لم تقع أى عمليات مهمة منـذ أن انسحب الأتراك من

بئر مزار بسبب الاستطلاع الذى قام به الانجليز بقوة كبيرة اليها فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩١٦ ، وفى أوائل ديسمبر وضعت مقدّمة القوّة الشرقية المسماة " قول الصحراء" تحت قيادة اللفتنانت جنرال السير فيليب تشتوود . وكانت وقتئذ مكوّنة من فرقة الأنزاك الراكبة ولواء الهجانة الامبراطورى[1] والفرقتان ٤٢ ، ٥٢ ، أصبحت السكة الحديد يومئذ على بعد ٢٠ ميلا من العريش التى كان يحتلها العدوّ بقوّة قدرها ١٦٠٠ مشاة وقوّات أخرى مساعدة عند المغضبة وأبو عجيلة على وادى العريش ، تأخر التقدّم النهائى إلى ٢٠ ديسمبر بسبب الترتيبات المطوّلة الخاصة بالمياه ، وعندئذ ، أى عند ما تم الاستعداد ، انسحب العدوّ من العريش إذ وجدتها القوات الانجليزية الراكبة التى حاصرتها صباح ٢١ خالية .

كان انسحاب العدوّ إلى رفح والمغضبة ، فصمم تشتوود على أن يضرب القوّة التى بالأخيرة فى الحال وأرسل لذلك الغرض الجنرال شوڤل ومعه فرقة الأنزاك الراكبة واللواء الهجانة الامبراطورى . سار شوڤل ليلا على وادى العريش مسافة ٢٠ ميلا ووصل النقطة التركية عند فجر ٢٣ ديسمبر فوجد الأتراك مستحكمين على جنبى الوادى فى شكل دائرة من البلانقات . تم حصار الموقع عند الظهر . ولكن الهجوم على البلانقات لم يأت إلا بنجاح قليل . ولانعدام المياه اللازمة للجنود والحيوانات أصدر شوڤل بعد الساعة ٢ بقليل أمرا بالانسحاب . وعند ذلك تمكنت فرسانه من الانقضاض على إحدى البلانقات التركية واحتلالها . وكان هذا بداية النهاية ، إذ تم الاستيلاء على الموقع بأجمعه الساعة ٤,٣٠ مساء أى عند حلول الظلام . وكان شوڤل قد ألغى أمر الانسحاب بعد إصداره بقليل بعد أن استشار تشتوود تليفونيا وأسر فى هذه العملية ٤ مدافع جبلية و ١٣٨٢ تركيا من الآلاى ٨٠ ودفن بالميدان ٧٩ من قتلاهم وكانت الخسائر الإنجليزية ٢٢ قتيلا و ١٢٤ جريحا . عادت القوّة للعريش ليلة ٢٣/٢٤ ديسمبر وبذا تكون قد قطعت ٥٠ ميلا تقريبا وحاربت فى موقعة عنيفة فى ٢٤ ساعة أو أكثر قليلا .

(١) اللواء مركب من ١٨ بلوكا (١٠ أسترالى، ٦ انجليزى، ٢ نيوزيلاندى) منظم فى ٤ أورط هجانة ومعها بطارية جبلية مكوّنة من ٦ مدافع ماكينة مكوّن من ٨ مدافع ، ويحمل الجمل تعيينات ومياه لراكبه تكفى ٥ أيام وعليقة تكفيه ٥ أيام علاوة على البطاطين والكبود الخ . اجمالى الوزن ٣٢٠ رطلا بما فيه الراكب ولذا يعتبر الجمل وراكبه وحدة مستقلة للقتال مدة ٥ أيام بالصحراء .

بمجرد احتلال العريش نظفت البحرية البحر من ألغام الأتراك وأمكنها أن تنزل للبر مخازن قبل يوم ٢٣ ديسمبر ، ساعدت هذه المؤن على ارسال المشاة للعريش لتثبت الأقدام بها . وكانت الخطوة الثانية موجهة إلى القوات التركية الباقية بالأراضي المصرية وتبلغ ٢٠٠٠ ، وكانت برفح على بعد ٢٥ ميلا شرق العريش . فى ٤ يناير وصلت السكة الحديدية العريش وفى مساء ٨ منه سار الجنرال تشتوود ومعه فرقة الأنزاك الراكبة (عدا لواء) واللواء الخامس الراكب (اليومنرى) ولواء الهجانة الإمبراطورى وداورية السيارات الخفيفة نمرة ٧ (١) وأمكنه بعد سير ليلى أدير بمهارة أن يحيط بعد فجر يوم ٩ بقليل بالموقع التركى عند المجرونتين جنوب غرب رفح .

كان الموقع قويا مركبا من ثلاثة مجموعات من الاستحكامات على أرض مرتفعة وارتكز على بلانقة فى الوسط فوق مرتفع. ولم يكن حول الاستحكامات أى أسلاك إلا أنها كانت تكشف ميدان ضرب نار طوله ٢٠٠٠ ياردة خالية من أى ساتر . اتخذ القتال شكلا مشابها لما وقع عند المغضبة فلم يأت الهجوم إلا بنجاح قليل أول الأمر . ووصلت معلومات بين الساعة ٣ والساعة ٤ مساء أن الإمدادات التركية تحركت من الشلال وخان يونس . وخيل للانجليز أن الاقتحام قد أوقف . وكانت الذخيرة تتناقص(٢) وفى الساعة الرابعة والنصف مساء أصدر تشتوود أمره بالانسحاب ولكن عزيمة الجنود ، كما فى المغضبة ، قلبت الموقف وكسبت النصر فى اللحظة الأخيرة الذى استقر رأى القائد فيها على ترك الغرض لأنه فوق طاقتهم ، إذ تمكن اللواء النيوزيلندى الراكب أن يقتحم بالسونكى البلانقة الوسطى قبل أن تصله أوامر الانسحاب وبعد ذلك بقليل اقتحمت الهجانة إحدى الاستحكامات ، وسقطت الباقية منها بعد ذلك وتم النصر عند حلول الظلام. وأسرت جميع الحامية التركية وهى أورطتان من الآلاى ٣١ وبطارية جبلية . وبلغ عدد القتلى ٢٠٠ والأسرى ١٦٣٥ تركيا وبلغت خسائر الإنجليز ٧١ قتيلا ٤١٥ جريحا .

تعتبر عمليتا المغضبة ورفح مثلا حسنا لمقدرة القوات الراكبة التى تشتغل بجرأة ، ولحدودها عند ما يطلب منها أن تهاجم وهى مترجلة مواقع حصينة ، فقد كانت

(١) ٦ سيارات فورد بكل مدفع ماكينة

(٢) تركت جميع الحملات ذات العجل بما فيها الذخيرة عند الشيخ زويد .

القوات التركية أبعد من المدى الذى يمكن أن تصله المشاة الإنجليزية ، وكان الأتراك يعتقدون — ولهم بعض العذر — أن قوة استحكاماتهم تجعلها آمنة من مهاجمتها بالقوات الراكبة ، وذلك لأن القوات الراكبة عندما تشتغل مترجلة تنقص قوتها إلى ما يزيد قليلا عن النصف ، ولقلة عمقها وضعف نيرانها تصبح غير صالحة لأن تهجم هجوما مطولا على مواقع حصينة وهى مترجلة ، ولا وهى تقاتل ضد الوقت ، ويندر أن نجد فرسانا لديها العزيمة الكافية لتنفيذ مثل هذا الهجوم أو المهارة فى القيام به بلا خسائر أقل . وقد أظهرت الهجانة فائدتها فى هذه الاشتباكات ، وهى ولو أنها أبطأ حركة من لواءات الفرسان الخفيفة إلا أن عمقها أكبر وعودها أصلب إذا اشتغلت مترجلة إذ أن عدد بنادقها التى تشتغل فى خط النار يتراوح بين ١٦٠٠ و١٧٠٠ بندقية . وقد أضافت مسألة المياه اللازمة لحيوانات القوة قيودا أخرى فى هذه العمليات — وهنا تمتاز الهجانة على الفرسان مرة أخرى — ويستفاد من هذه العمليات درس قيم هو أن القوات الراكبة تحتاج إلى مدفعية أكثر لتعوض عن نقصها فى النيران وأن بعض هذه المدفعية يجب أن تكون مدافع زنة دانتها أكثر من ١٣ رطلا أو ١٨ . وربما كانت الحملات الميكانيكية تسمح بحمل المهمات الأثقل دون نقص فى خفة الحركة لو سمحت الأرض. ولكن يشك فى مقدرة الدبابات ووسائل الجر (السحب) الميكانيكية المستعملة وقتئذ على السير فوق الرمال الخفيفة التى وقعت عليها العمليات المذكورة .

لم يكن للقوات التركية السابق ذكرها أى فائدة استراتيجية أو تكتيكية ، ورغم الحاح كرسنشتين فى طلب سحبها إلا أنها بقيت بمحلها ، وقد يرجع ذلك لدوافع سياسية فان كان الأمر كذلك فلا شك فى أن الأتراك قد دفعوا ثمنا غاليا لبقائهم بمصر وقتا أطول من اللازم. وقد انتهى الاحتلال التركى للأراضى المصرية بعملية رفح ، أما العمليات التالية فكان الدافع لها اعتبارات أخرى غير حماية مصر .

٢ — واقعة غزه الأولى

فى ١١ يناير سنة ١٩١٧ استلم الجنرال مورى برقية من وزارة الحربية تدل على الرغبة فى تأجيل أى عمليات كبرى فى ميدان فلسطين الى وقت متأخر من السنة ، وفى سحب فرقة ترسل لفرنسا ، وفى أن يجرى الاستعداد فى الصيف لحملة هجومية

تعمل فى الخريف . وكان هذا فى الواقع نتيجة للسياسة التى وضعت فى الشهر السابق ، فوزارة الحربية كما سبق القول كانت قد صممت على القيام بهجوم عام كبير فى فرنسا فى الربيع ، ولما اعتبر هذا كأنه المجهود الرئيسى فطبيعى لا بد وأن تجمع له كل القوة الممكنة . ومع ذلك فقد صمم رئيس الوزارة على الاستمرار فى العمليات الهجومية العنيفة فى الميدان الشرقى عندما تسمح الفرص بذلك . وكان الجنرال مود قد بدأ تقدمه فى العراق للانتقام للهزيمة التى حلت بالانجليز عند كوت .

كان جيش الجنرال مورى قد اقترب حينئذ من حدود فلسطين الجنوبية(١)

تتغير طبيعة الارض شرقى العريش فتصبح طينية لا رملية ولا يتبقى عند رفح من الكثبان الرملية إلا منطقة تمتد بحذاء الساحل عرضها ميلان أو ثلاث ، وتزرع هذه الأرض الطينية شعيرا فى مساحة تمتد من هذه الكثبان لمسافة ١٠ أميال أو ١٢ ميلا للداخل . والأرض هناك أثبت لسير الانسان والحيوان ولكنها لا تحمل سير الحملات الميكانيكية الثقيلة . وكانت الطرق معدومة . ويعتبر وادى غزه الحد الطبيعى لفلسطين من الجنوب ولو أنه لم يكن كذلك يوما من الأيام . وهذا الوادى وفروعه ــ وادى الشريعة والمليح والسبع والخاصة ــ بمثابة مصارف للمنحدرات الجنوبية لتلال يهوذا ، ويصب فى البحر جنوب غزه بستة أميال ، وهو هيئة طبيعية شهيرة ومانع عظيم جدا عرضه فى بعض أجزائه يزيد على ١٠٠ ياردة وشاطئاه شديدا الانحدار قد يبلغ ارتفاعهما أحيانا ٣٠ قدما أو ٤٠ ، وهو كوادى العريش يمتلىء أحيانا بمياه السيول الجارفة فى فصل الأمطار ، أما فى فصل الصيف فليس به ماء جارى ولكن يوجد بمجراه عيون عديدة يمكن أن يؤخذ منها الكثير من المياه إذا نظمت .

ترتفع الأرض شرق وادى غزه تدريجيا حتى تصبح سلسلة من المرتفعات غير المنتظمة تسير بوجه عام للجنوب الشرقى من غزة الى بئر السبع وتعتبر حاجزا ضد الغزو من سيناء . وأبواب فلسطين الجنوبية هى غزة وبئر السبع والمسافة بينهما ٢٥ ميلا . وتعد الأولى كذلك لأنها تحكم فى طريق الساحل والثانية لأنها آخر قاعدة للمياه عند حدود الأراضى الجبلية الواقعة شرقها وجنوبها ، ولغزه تاريخ قديم كقلعة ، وهى تقع على تل واطئ يبعد عن البحر نحو ميلين . وقد حاصرها ونهبها

(١) انظر خريطة رقم ٨

كثير من الفاتحين ومنهم مشاهير رجال الحرب كاسكندر المقدونى و بومبى ونابليون . أما حوادث بئر السبع التاريخية فأقل لبعدها عن طريق الغزوات العادى وقد استعملت كمورد للمياه لسقيا الحيوانات لا للقوات من مشاة وفرسان .

رأى الجنرال مورى أن مشروع حملة الخريف يصبح سهلا سريعا إذا ابتدأ وجنوده محتلون عيون المياه بوادى غزة ، و إذا مدّت السكة الحديدية عبر ذلك الوادى — الذى هو أصعب ما سيعترض مدّها — وأصبح رأسها فى الجنب البعيد ثابتا هناك . وأفضل من ذلك أن تكون غزة نفسها بيد الانجليز ففى هـذه الحالة لن يحرم الأتراك من الخط غزه — بئر السبع فحسب بل و يتيسر استعمال الطرق — بعضها مدكوك يصلح لجميع أنواع الحملات فى فصل الجفاف — عند رأس السكة الحديدية مباشرة . كانت هـذه المزايا تستحق بلا جدال بذل الجهد وقليل من المجازفة لامتلاكها ، تمتدّ الطرق الرئيسية من غزه (ا) إلى يافا مباشرة بالقرب من الشاطئ (ب) إلى القدس بطريق لطرون وأمواس (ج) إلى بئر السبع . وعند لطرون يلتقى الطريق غزه — القدس بطريق يافا — القدس . و يمتدّ من بئر السبع طريق يسير فوق وسط سلسلة يهوذا متجها للشمال إلى القـدس مارا بحبرون ومن القـدس إلى نابلس . كانت هـذه أهم الطرق الرئيسية فى جنوب فلسطين وكانت هناك دروب أخرى فرعية توصل إلى الطرف الآخر من سهل فيلستيا .

وفيما بين يناير ومارس سنة ١٩١٧ حصلت تغييرات مهمة فى تكوين القوة الشرقية فقد سافرت الفرقة ٤٢ الى فرنسا فى نهـاية يناير وحلت محلها بالعريش الفرقة ٥٣ التى انتهت من عملها كحامية بالوجه القبلى بعد أن طرد السـنوسى من الواحات الغربية ، وفى أوائل السنة سحبت الفرقة ٥٤ من دفاعات القناة القبليـة وتجمعت خلف الفرقة ٥٣ لتتبعها لحدود فلسطين ، وكانت الفرقة ٧٤ جارى تكوينها من لواءات مشاة اليومنرى التى كانت بمصر . ولم يكن لهذه الفرقة وقتئذ مدفعية أو أى قوّات أخرى من قوّات الفـرق . وفى فبراير أنشئ لواء آخر من الفرسان الخفيفة (اللواء الرابع) ، و بانتهاء القوّات الراكبة الأخرى من عمليات الصحراء الغربية أعيد تكوين القوّات الراكبة بالجيش فكوّنت منهـا فرقتان بكل أربعة لواءات . فأصبحت فرقة الأنزاك الراكبة مكوّنة من اللوائين الأوّل والثـانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة ولواء نيوزيلنده واللواء ٢٢ الراكب (يومنرى) والفرقة الجديدة

وأسميت الفرقة الراكبة الأمبراطورية فشملت اللواءين الثالث والرابع من الفرسان الأسترالية الخفيفة واللوائين الخامس والسادس الراكبين وتولى قيادتها الماجور جنرال هودجسون . وبذا أصبحت القوّة الشرقية بقيادة الجنرال دوبل فى مارس مكوّنة من ثلاث فرق مشاة (٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤) وفرقتى فرسان ولواء الهجانة الأمبراطورية ، وأصبح قول الصحراء بقيادة الجنرال تشتوود مكوّنا من فرقتى الفرسان تنقص كل فرقة لواء والفرقة٥٣ بقيادة الماجور جنرال دالاس وداوريتين من داوريات السيارات الخفيفة . وكانت رياسة الجنرال دوبل بالعريش قرب الحدود . وقد يصح البحث فيما إذا كان استمرار قول الصحراء بحالته كما هو أى مكوّنا من فرسان ومشاة هو أنسب تنظيم . وقد يكون من الأفضل أن يكوّن فيلق راكب من القوّات الراكبة بأجمعها (الأتراك والأمبراطورية ولواء الهجانة). وأن توضع الفرق المشاة بأجمعها بالقوّة الشرقية ، ولكن الجيش أعيد تنظيمه كما سبق القول ، وكان أهم الاعتبارات وقتئذ هو زيادة خفة حركته .

بعد أن فقد الأتراك حامياتهما بالمغضبة ورفح احتل كرس فوق كرسنشتاين بباقى قوّته موقعا قويا بوالى الشيخ نوران غرب الشلال مباشرة الواقعة على وادى غزة ، وكان من موقعه يحمى السكة الحديدية التركية ببئر السبع ويحمى بطريقة غير مباشرة مدينة غزة التى كان بها حامية بسيطة ، وكانت الحاجة لتقويات لأيقاف تقدّم الانجليز واضحة ، ففى فبراير وصلته كأمدادات الفرقتان ١٦ و ١٧ والفرقة ٣ الراكبة (من آلايين ضعفين) ومع ذلك رأى كرس أنه ليس قويا لدرجة تمكنه من البقاء بمواقعه الأمامية أمام الشلال وغزة . لذلك انسحب بغتة من ذلك الخط الى الخط غزة بئر السبع فى ٥ مارس عندما اقتربت السكة الحديدية من رفح وعندما وضعت الخطة المهاجمة والى الشيخ نوران . وضع كرس قوّة بكل من بئر السبع وغزة واحتفظ بمعظم قوّته كاحتياط عند تل الشريعة والجمامة (قرب هوج) حتى يظهر اتجاه تقدّم الانجليز، ولما بلغته حركات الانجليز بعد منتصف مارس قوى حامية غزة بآلاى مشاة وبضع بطاريات مدفعية فأصبحت مكوّنة من سبعة أورط مشاة وخمسة بطاريات (٢ نمسوية و ٢ تركية و ١ ألمانية) وبضع بلوكات مدافع ماكينة اثنان منها ألمانيان والمجموع ٣٥٠٠ بندقية و ٢٠ مدفعا وأمرت الفرقة ٥٣ التركية، التى احتفظ بها عند يافا خوفا من نزول أى قوات بالبر، بالتحرك للحدود لمقابلة الهجوم الانجليزى المنتظر . وكان بسلاح الطيران الألمانى ، الذى مع كرس آلات حديثه قوية

وكانت متفوقة كل التفوق على الطائرات الانجليزية الأبطأ وكانت غاراتها المستمرة بالقنابل تسبب مضايقة عظيمه وبعض خسائروخاصة للقوات الراكبة لأن خطوط الخيل تظهر كتختته واضحة للطائرات .

تضايق الجنرال دوبل — القائد الانجليزى النشط الدموى — من انسحاب الأتراك من موقعهم عند الشلال ومن استمرارهم على تجنب القتال لأنه كان يميل دواما الى الاشتباك باعدائه وبسبب انسحاب الأتراك والمعلومات التى وصلت الانجليز وا كدت ظنهم اعتقدوا أن الأتراك لايميلون الى المجازفه بالاشتباك بهم حتى بالخط غزه — بئر السبع الا اذا تغير الموقف لصالحهم . وكان رأى الجنرال دوبل أن هذا مما يؤيد المشروع الجارى وضعه وقتئذ والخاص بغزه لأنه يرغم الأتراك على الأشتباك فى القتال . فصدق الجنرال مورى على اقتراحه مهاجمة غزه فى نهاية مارس واتبدأت التحضيرات للعملية .

انحصرت الصعوبة الأساسية فى التموين فلكى يضمن مفاجأة الأتراك كان من الضرورى الهجوم ورأس السكة الحديد بعيد عن غزة، وكان المعتقد أن الأتراك ان لم يفاجأوا فانهم بلا شك ينسحبون بلا قتال، و بالنسبة لأهمية الحصول على نتيجة حاسمة سريعة من المعركة أصبح ولا بد من اجراء الهجوم بقوة كبيرة ، وفى الحقيقة كان من الضرورى استعمال كل القوات الموجودة أمكن تكوين ١٥ قطار حملة باستعمال كافة الحيوانات والعربات الموجودة أى الحملة الكافية التى تسمح بمجال العمل اللازم فى وقت محدود كل التحديد وتقتصر على حمل الضرورى اللازم من حاجيات القوة . وكانت الفكرة أن تعاد عمليات المغضبة ورفح بمقياس كبير. والشرط الأساسى كان النجاح قبل حلول الظلام فى يوم الهجوم إذ أن قطارات الحملة لم تكن بقادرة الأعلى عمل الذخيرة والتعيينات والمياه اللازمة لموقعه لاتدوم أكثر من ٢٤ ساعة . وإن سقطت غزه فان مياه آبارها وافرة كافية ومن الممكن تموين القوة بالتعيين من البحر .

تجمعت القوات مساء يوم ٢٥ مارس للتحرك إلى غزة . وكان قول الصحراء عند دير البلح والفرقة ٥٤ حول النصيرات والفرقة ٥٢ عند خان يونس ولواء الهجانة عند عبسان الكبير جنوب شرق خان يونس مباشرة . ولم يظهر

ما يدل على أن ذلك التجمع استلفت نظر الأتراك . وكانت الخطة بالاختصار كالآتى :

القوات الراكبة وتشمل الهجانة التى ألحقت مدة العملية بقول الصحراء تكوّن ستارا شمال غزه وشرقها وجنوب شرقها لمنع تقهقر الحامية ولايقاف أى امدادات تركية . الفرقة ٥٣ ومعها لواء من الفرقة ٥٤ تقتحم غزه ووضعت كل هذه القوات تحت قيادة السير فيليب تشتوود قائد قول الصحراء ، واحتفظ الجنرال دوبل تحت قيادته بالفرقة ٥٤ التى كان عليها أن تحمى ستار القوات الراكبة شرق غزة وبالفرقة ٥٢ التى كانت احتياطا عاما ولتحمى خط المواصلات . ويمكن إجمال العمل المطلوب من القوة فى الآتى :

القوات الراكبة ١١٠٠٠ (تعادل ٦٠٠٠ بندقية بخط النار) ومعها ٣٢ مدفع ميدان و ٦ مدافع جبلية وعليها أن تنتشر على قوس طوله ١٥ ميلا كنطاق حول غزه . وقد يرسل الأتراك لمقابلة قوات هذا الستار نحو ١٥٠٠٠ بندقية ومن ٤٠ — ٥٠ مدفعا ولكن هذه القوات تبعد ما لا يقل عن ١٠ أميال وما لا يزيد عن ١٧ ميلا ويحمى الجزء الأسفل من الستار فرقة من المشاة (عدا لواء مشاة ولوائى مدفعية) ومجموعها ٨٠٠٠[1] بندقية و ١٢ مدفعا .

كان المعتقد أن بغزه ٤٠٠٠ بندقية ونحو ٢٠ مدفعا وكانت القوة المعينة لمهاجمتها مكوّنة من ٤ لواءات مشاة و ٣ لواءات مدفعية وقليل من المدفعية المتوسطة المجموع ١٢٠٠٠ بندقية و٣٦ مدفع ميدان و ٦ مدافع ٦٠ رطلا . وكان هناك فرقة أخرى بالاحتياط العام (٨٠٠٠ بندقية و ٤٤ مدفعا) ولكنها لم تشترك فعلا فى القتال . من ذلك يرى أن الانجليز كانوا يتفوقون عددا لو أن معلوماتهم عن قوة العدوّ وتوزيعه كانت مضبوطة بوجه التقريب[2] . وموطن الضعف كان فى بعثرة القوات الراكبة شمال غزه وشرقها والقيود التى وضعها عامل الوقت وموقع غزه القوى طبيعيا .

(١) وضع لواء مشاة ولواء مدفعية من الفرقة ٥٤ تحت تصرف الفرقة ٥٣ وكان الموجود من مدفعية الفرقتين ٥٣ ، ٥٤ هو اواء فقط بكل . ولم يكن بكل بطارية عيار ١٨ رطلا سوى أربعة مدافع فقط .

(٢) ذكر كرس أن قوته كانت ٩٠٠ سيف ، ١٢٧٠٠ بندقية و٦٩ مدفع ميدان و ٧٨ مدفع ماكينة بما فيها حامية غزه والأرقام الرسمية التركية ١٦٠٠٠ بندقية و ٧٤ مدفعا و٦٥ مدفع ماكينة .

تقع غزة على وحول التل الصغير الذى يبعد عن البحر نحـو ميلين وتمتد حول البلد لمسافة ميل أو ميل ونصف شبكة من الحدائق والحقول الصغيرة التى تفصلها حواجز كثيفة من أشجار التين الشوكى وكان سمكها يبلغ أحيانا خمسـة ياردات وارتفاعها نحو عشرة أقدام . وكانت أقوى من أى مانع سلكى مشابه لهـا حجما . وقد جعل هذا الحاجز الشوكى غزة منيعة جدا ضـد أى هجوم أمامى من الجنوب وأعطاها خطا داخليا للمقاومة فى جميع الجهات . ويحتاج الشرق إلى وصف طبوغرافى تفصيلى . فعلى بعد ميل تقريبا من المدينة تمتد تبة ضيقة غير منتظمة من الشمال الشرقى للجنوب الغربى وهذه التبة تسمى "على المنطار" وقد سميت كذلك باسم رجل تقى مدفون تحت قبة بيضاء صغيرة واقعة على ربوة صغير جنوب غزة تقريبا، وهى فى الواقع مفتاح جميع دفاعات المدينة . وتمتد هذه التبة فى الحقيقة من نحو ميلين شمال غزة إلى وادى غزة ولكن اسم على المنطار أطلق على الجزء الشمالى فقط الذى ينتهى جنوب غرب التبة بنحو ميل ونصف . أما الجزء الجنوبى فكان يسمى فى هذه العملية باسم تبة السير . وتوجد على جنبى هذه التبة هيئتان طبيعيتان منفصلتان ، فتقع تبة البرجالية فى شرقها وتبـة الشلوف — وهى أقل ارتفاعا — فى غربها . والأرض الواقعة شرق "على المنطار" مكشوفة وذات تعاريج لمسافة ١٠٠٠ ياردة ، ثم تأخذ فى الارتفاع إلى أن تصبح مرتفعات متوازية تسير من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ، يسمى الجزء الجنوبى منها تبة الشيخ عباس. والأرض التى تقع جنوب الخط تبة الشيخ عباس — المنصورة (على تبة البرجالية) كسرتها المياه وبها الكثير من الوديان التى تصب فى وادى غزه[1] . جهز الأتراك

(١) يمكن تشبيه الأرض شرق غزه وجنوبها بالآتى : أفرد اليد اليمنى وظهرها لأسفل والأصابع مفرودة فإذا فرض أن الابهام هو التل الذى عليه غزه فإن الحافة اليمنى لليد تمثل على المنطار والحافة اليسرى تمثل التبة الأخرى شرقها . وتمثل راحة اليد السهل المكشوف بين هاتين التبتين . أما الأصابع فتمثل التباب الأربع — الشلوفة (السبابة) السير (الوسطى) البرجالية (البنصر) الشيخ عباس (الخنصر) وتمثل المسافات بين الأصابع الوديان التى تصب جنوبا فى وادى غزة .

موقعا حصينا عند " على المنطار " وخنادق عند نهاية منطقة التين الشوكى جنوب المدينة وجنوب غربها .

غزة

تبين الموقعتين الأولى والثانية

ميل

الخريطة نمرة ٧

كانت الأوامر الصادرة للقوات الراكبة أن يتم عبورها وادى غزة الساعة الخامسة صباح ٢٦ مارس ، وكان غرض فرقة الأنزاك الراكبة بيت درديس بين هوج وغزة ، والفرقة الامبراطورية الراكبة خربة الرسيم ، واللواء الهجانة يكمل النطاق إلى وادى غزة بالعمل من المندور . أما الفرقة ٥٣ فكانت أوامرها أن تجتاز الوادى تابعة القوات الراكبة وترسل اللواء ١٦٠ إلى تبة السير واللواء ١٥٨ إلى المنصورة عند نهاية تبة الرجاليه من الشمال ويبقى اللواء ١٥٩ بالاحتياط شرق محل العبور عند البريج . وعينت قوة منفصلة بقيادة الكولونيل مونى مكونة من أورطة مشاة

وأورطتى فرسان لتقوم بمظاهرة ضد الخط التركى بكثبان الرمال بين غزة والبحر. وكانت أوامر الفرقة ٥٤ تقضى باتخاذها موقعا على تبة الشيخ عباس مواجهة الشرق ، وكان عليها أن تحتفظ بلواء مشاة ولواء مدفعية قرب وادى غزة استعدادا لإمداد الفرقة ٥٣

كانت رئاستا القوة الشرقية وقول الصحراء عند النصيرات أما رئاسة الفرقة ٥٣ فكانت عند البريج غرب الوادى . أما القائد العام السير ارشبالد مورى فكان قد حضر للعريش حيث وضع رئاسته بقطار السكة الحديدية . ولم تكن مواقع الرئاسات ولا نظام القيادة بهذه الموقعة مثلا حسنا ، إذ أن وسائل المواصلات كانت العامل الأهم فى تقديرها . ولا مانع من ذكر التعديلات التى كان من الممكن إدخالها بفائدة لو أن أدوات الإشارة وأفرادها كانوا متوفرين . كان عمل الجنرالين دوبل وتشتوود فى الحقيقة وكذلك مسئولياتهما واحده بمحل رئاستهما المشترك . وربما كان الأفضل أن توضع القوات الراكبة وحدها تحت قيادة الجنرال تشتوود وإبقاء جميع المشاة بقيادة الجنرال دوبل وبذا كان يتيسر للاول أن يضع مركز رئاسته شرق الوادى على مسافة كافية وأن يوجه كل التفاته الى اقتراب إمدادات الأتراك ، وكان يتيسر للثانى أن يدير عن قرب هجوم المشاة على غزة وأما اذا كان القوس الذى انتشرت عليه القوات الراكبة أكبر مما يمكن لقائد واحد أن يباشر قيادته فى مثل هذه الحالة فقد كان من الممكن وضع لواء الهجانة تحت قيادة الفرقة ٥٤ وبذا يصبح قائد هذه الفرقة مسؤلا عن الطرق المؤدية للمدينة من جهة الشرق أى من بئر السبع وتل الشريعة فى الوقت الذى يكون الجنرال تشتوود ومعه فرقتا الانزاك والأمبراطورية الراكبتان مسؤلا عن الطرق الموصله للبلدة من هوج ومن الشمال وفى جميع الأحوال كان من الواجب وضع رئاسة الفرقة ٥٣ شرق الوادى لولا ان الحاجة الى الأقتصاد فى استعمال الأسلاك التلفونية كانت ماحة ، فلو لم يضطر قائد الفرقة لقطع المسافة الطويلة من محل رئاسته ليقوم باستطلاعه فى الصباح قبل الهجوم وللاتصال بقواد لواءاته ولو أنه كان متصلا بهم عن قرب

فى المساء لكانت نتيجة الموقعة مختلفة كل الاختلاف ولم يكن للقائد العام من محله بالعريش — ولم تكن هناك قوات تحت قيادته مباشرة الا القليل من السيطرة على القتال.

طلع فجر يوم ٢٦ على القوات وهى تعبر الوادى وكانت قد تركت محلات مبيتها فى الساعة الثانية والدقيقة ٣٠ صباحا فى الليلة السابقة، وانتشرت بطلوعه شابورة بحرية كثيفة استمرت للساعه ٧ صباحا وقبـل الساعه ٧ ونصف وتم وصـول القوات الراكبة لمواقعها بلا تأخير رغم هذه الشابورة وربما ساعدتهم على التحرك تحت ستارها . وصلت أورطة الانزاك القائدة بيت درديس الساعة ٩ صباحا وأتمت النطاق من الشمال باحتلالها الجبلايه فى الساعة ١٠ ونصف صباحا وأسرت أثناء ذلك قائد الفرقة ٥٣ التركية ومعه أركان حربه وكان متحركا بسيارته من الشمال قاصدا غزه وجاهلا الخطر الكامن . ووصلت الفرقة الأمبراطورية مواقعها عند قرية الرسيم الساعة ١٠ صباحا ووصل حوالى ذلك الوقت لواء الهجانة لمحله أيضا ولم تؤثر الشابورة تأثيرا فعالا الا على تحركات الفرقة ٥٣، فقد ضاعت ساعتان عظيمتا القيمة انتظارا لانقشاعها . ورغم ذلك تمكنت اللواءات من الوصول لمحلات تجمعها الأولى قبل الساعة ٨ ونصف صباحا وأصبحت بذلك ولا يفصلها عن غرضها وهو على المنطار الا ٥٠٠٠ أو ٩٠٠٠ ياردة، ولكن هجومها لم يبتدئ الا قرب الظهر . ويلاحظ أن سرعة تنظيم مراحل هجوم المشاة فوق أرض مجهولة لهو أفضل اختبار لمهارة أركان الحرب والجنود . ويعتبر المتفرجون هذه العملية بطيئة كل البطء . فلكى يبتدئ الهجوم لا بد من اتمام اجراءات عديدة فمن استطلاع القواد الى وضع الخطط واصدار الأوامر التفصيلية واستعداد المدفعية ووضع وسائل المواصلات والخدمة الطبية وغيرها ، ولا بد من تكرار هذه الاجراءات فى التشكيلات الصغرى التالية . ولن يتيسر للقائد مهما كان مقتدرا وذا طبع حار أن يضمن سرعة تنفيذ الخطة مالم تكن هيئة أركان حربه وأركانات حرب القوات التى تحت قيادته متمرنة كل التمرين. ولم تكن الفرقة ٥٣ قد اشتركت بأى عملية منذ غليبولى، ولذا كانت تعوزها السرعة. وكان تشتوود ضابط الفرسان الذى اعتاد سرعة العمل يعتقد أن عمل الفرقة ٥٣ لم يكن إلا ضـياع للوقت ولذا أرسـل الاشارة تلو الاشارة يستحث الجنرال دالاس على السرعة فى العمل . وأخيرا ابتدأ الهجوم قبل الظهر بقليل .

فابتدأ اللواء ١٥٨ من المنصورة قاصدا "على المنطار" سائرا فوق سهل مكشوف، وابتدأ اللواء ١٦٠ فى التقدم فوق تبة السبر وهى أقل انكشافا . تقدّمت الأورط بثبات وشجاعة عظيمتين تحت نيران الأتراك المزعجة واستمرت فى تقدّمها حتى أصبحت على بضع مئات الياردات من التل "ربوة على المنطار" وهنا اعترضها أوّل حواجز التين الشوكى وأصبح تقدّمها بطيئا . فدفع اللواء الاحتياطى (١٥٩) على يمين اللواء ١٥٨

صمم تشتوود على التعجيل بسقوط البلدة بالانقضاض عليها بالقوات الراكبة من الشمال . فأمر الجنرال شوفل الساعة الواحدة بأن يقتحم بالأتراك . أما الفرقة الامبراطورية فكان عليها أن تنتشر شمالا وتحل محل الاتراك فى النطاق المضروب ويقوم لواء الهجانة مقام الفرقة الامبراطورية فى بعض الواجبات التى أعطيت لها . ابتدأت الاتراك الساعة ٤ (*) فى اقتحامها وسارت بثبات رغم ضيق الأرض وحواجز التين الشوكى حتى وصلت ضواحى المدينة من الشمال ، وفى ذلك الوقت دفع الجنرال دالاس اللواء ١٦١ — من الفرقة ٥٤ الذى وصله الساعة ٣ بعد الظهر بعد أن تخبط فى السير زمنا طويلا — وأمره أن يدخل بين اللواء ١٥٨ ، ١٦٠ قاصدا ربوة تسمى التل الأخضر تقع جنوب "على المنطار" الذى كان العدوّ يوجه منه نيرانا جنبية حامية تعطل تقدّم المهاجمين الى التبة المذكورة . نجحت هذه المحاولة فقد احتل التل الأخضر الساعة ٥ ونصف واستولى الانجليز على الموقع التركى على تبة "على المنطار" بأجمعه وذلك عند غروب الشمس . ووصل فى ذلك الوقت لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الثانى ولواء نيوزيلنده الراكب الى ضواحى المدينة فى الشمال بعد أن فتحا طريقا فى الحقول والحواجز . ووصلا الى على المنطار مع المشاة ولكن ذلك النصر الذى لم يتم إلا بعد قتال عنيف جاء متأخرا ساعة كاملة .

صمم الجنرال دوبل وتشتوود بعد أن تشاورا فى الأمر بعد الظهر، على أن القتال لابد من إيقافه اذا لم تسقط غزه قبل حلول الظلام . وقد وصلا لهذا القرار لاعتبارين الأول الخاص بالمياه والثانى لازدياد ضغط الامدادات التركية التى كانت سائرة نحو غزه ، فقد رؤى نحو ٣٠٠ من المشاة الأتراك سائرين فى الساعة ٤ بعد الظهر قرب ديرسنيد ، ورؤيت قوّة أخرى قدّرت بنحو ٣٠٠٠ وأورطتى

(*) لم تصلها اشارة الجنرال تشتوود إلا بعد ساعة

فرسان سائرة فى الساعة ٥ للجنوب الغربى فيما بين هوج وغزه ، وقوة ثالثة قدّرت بنحو ٧٠٠٠ تسبقها فرسان قادمة من أبو هريرة وسائرة على طريق بئر السبع — غزه . وأبلغت القوات الانجليزية الراكبة أن الضغط أصبح شديدا عليها ، ولم يكن خلفها مسافة كبيرة تنسحب عليها بمحض الاختيار ، وكان لابد من الاحتفاظ بممر مفتوح يتسع لانسحاب الفرسان التى فى شمال غزه . وفى الساعة ٥ ونصف مساء أمرت الفرقة ٥٤ بالعودة من تبة الشيخ عباس الى تبة المنصورة لكى تكون قريبة من الفرقة ٥٣ كوسيلة من وسائل السلامة ، ولكن قائد الفرقة ٥٣ لم يعلم بذلك لخطأ أحد أركان الحرب .

بعد الساعة ٦ أصدر الجنرال دو بل — بعد أن استشار الجنرال تشتوود — أمره بانسحاب القوات الراكبة، التى لم تستق خيولها طول النهار، الى وادى غزه . وحتى هذه اللحظة لم تعلم رئاسة الفرقة ٥٣ إذا كان اقتحام على المنطار قد نجح أو لم ينجح. وحتى لو تم احتلاله فإن حواجز التين الشوكى الكثيرة لا زالت بينه و بين البلد ، ولم يظهر للانجليز حتى هذه الساعة أن المقاومة التركية قد انتهت ، ولذلك فإن استمرار الموقعة كان سيورط جزءا كبيرا من القوة الانجليزية فى أرض وعرة فى ظلام الليل والامدادات التركية مستمرة فى التقدم — كما كان يظن — من الجنب والمؤخرة . كان الموقف كذلك حتى قبيل منتصف الليل عندما وصلت إلى الجنرال دو بل إشارة تركية لاسلكية التقطت وحلت رموزها بالقاهرة ومن هـذه الإشارة علم أن حامية غزه التركية كانت تنوى أن تسلم نفسها إذا استمر الضغط عليها ، ودلت عودة الفرسان فيما بعد بلا مضايقة على أن الأمدادات التركية من هوج وهريرة قد وقفت عند حلول الظلام .

كان من الممكن حتى هذه الساعة أن يتم استيلاء القوات على غزه بفجر اليوم التالى قبل تدخل الامدادات التركية ولكن غلطات كثيرة وسوء فهم جعل ذلك العمل مستبعدا . إذ أصبح جناح الفرقة ٥٣ الأيمن مكشوفا لانسحاب الفرسان وكان تصميم الجنرال دو بل أن يحمى جنب الفرقة ٥٣ المكشوف باتصال يمينها بشمال الفرقة ٥٤ وهذا ما كان قد دعاه الى أن يأمر هذه الفرقة بالانسحاب الى المنصورة . ففى الساعة ٧ أمر تشتوود الجنرال دالاس أن ينسحب بيمينه لكى يتصل بالفرقة

٥٤ . فا حتج دالاس على ذلك بشدة ولكنه أرغم على تنفيذ الأمر . وقد كان يعتقد أن الفرقة ٥٤ ما زالت عند الشيخ عباس ولهذا الاعتقاد اصدر أمره بانسحاب عام الى خط جنوب غزه كما فى الحقيقة الخط الذى بدأت منه هجومه على غزه فى الصباح ، ولم يعلم موقع الفرقة ٥٤ الحقيق الا عند منتصف الليل ، وعندئذ لم يمكنه أن يأمر بالغاء أمره السابق . ولم يعلم الجنرال تشتوود بما وقع الا الساعة الخامسة صباح ٢٧ ولذا أمر الجنرال دالاس أن يستعيد على المنطار فى الحال . فأمر اللواءين ١٦٠ ، ١٦١ بالتقدم ولكن جاء ذلك متأخرا ، اذ بمجرد أن احتلت قواتهما الأمامية على المنطار والتل الاخضر قام الأتراك بهجوم مضاد شديد طردوا به الانجليز منهما . ولم يعد الأتراك يفكرون فى التسليم بعد هذه المعجزة التى خلصتهم وبعد وصول الامدادات وكان الموقف فى الساعة العاشرة يوم ٢٧ كالآتى : — الفرقة ٥٤ على تبه المنصوره مواجهة الشرق وظهرها لظهر الفرقة ٥٣ التى كانت على تبه السير مواجهة غربا نحو غزه ، ثم سحب جنباهما الأيسر والأيمن على التوالى حتى التقيا فى زاوية حاده على الأرض المكشوفة شرق على المنطار مواجهة الشمال الغربى ، وكان لواء الهجانة قرب المندور ، والاتراك محتلين على المنطار بقوة وهددوا الزاوية التى كونتها الفرقتان الانجليزيتان بهجوم مضاد . كانت القوات التركية الآتية من هريره قد احتلت الشيخ عباس ومن هناك كان يمكنها أن تضرب بنيران المدفعية مؤخره تبة السير . لم يبق لدى الانجليز بعد ذلك أى أمل فى أخذ غزه ولم يمكنهم الاستمرار فى مواقعهم ولذا سحبت القوات ليلة ٢٧ الى الشاطىء الغربى للوادى وبذلك انتهت هذه العملية العجيبة

بلغت خسائر الانجليز ٥٢٣ قتيلا ، ٢٩٣٢ جريحا و٥١٢ مفقودا المجموع نحو ٤٠٠٠ واسر من الأترك مدفعين و ٩٠٠ أسير ونقصت الخسائر التركية عن ذلك ١٥٠٠ (٣٠٠ قتيل ، ١٠٨٥ جريحا ، ١٠٦١ مفقودا) . وكالعادة المتبعة بالغ كل جانب فى تقدير خسائر الجانب الآخر ، فقد قدر السير ارشبالد مورى خسائر الاتراك فى برقيته التى ارسلها عقب الموقعة بما يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ وقدرها فى رسالته التى ارسلها بعد ذلك بثلاثة أشهر حوالى ٨٠٠٠ ، وقدر الأتراك خسائر الانجليز بنحو ٦٠٠٠ وقد أكدوا دفنهم ١٥٠٠ قتيل انجليزى وأسرهم ٢٥٠

ذكر كرس فون كرسنشتاين أن أول تقرير عن القتال وصله فى الساعة الثامنة صباحا وعندها أمر كل القوات التركية الموجودة بالتحرك لميدان القتال . وكان المنتظر أن يصل الالاى القائد من الفرقة ٥٣ التركية (التى قامت من يافا سائرة الى غزه) الى المدجل فى صباح ٢٦ . فأمرت بالتحرك بسرعة لغزه وامرت الفرقة٣ (نحو ٥٠٠٠ بندقية و٣٠ مدفعا) بالتحرك من هوج الى على المنطار والفرقة ١٦ (من ٥٠٠٠ بندقية الى ٦٠٠٠ و ٢٠ مدفعا) بالتحرك الى الشيخ عباس والى جنوب غزه وأمرت قوة بئر السبع (نحو ٢٠٠٠ بندقية وسيف) بالتحرك بطريق الشلال الى خان يونس. وقد مر وقت طويل حتى تحركت القوات ويرجع هذا الى ما اسماه كرس "التأخير التركى البحت" ولذا لم تصل عند حلول الظلام إلا الى منتصف المسافة الى غزه فقط . ولم يكن كرس واثقا من مقدرة مرؤوسية ولا من مهارة القوات ولذا لم يأمرهم بالاشتباك فى عملية ليلية واضطر الى ايقاف العمليات عند حلول الظلام أى عند الوقت الذى كان يعتقد فيه كل الاعتقاد أن غزة أمست فى يد الانجليز . وعندما علم حقيقة الموقف فى اليوم التالى أراد أن يقوم بهجوم عام بكافة القوات التى لديه ولكن جمال باشا رفض التصديق على ذلك الاقتراح .

سبق لفت النظر الى بعض ظواهر هذا الفشل العجيب . فلم يكن الخطأ خطأ القوات التى قاتلت بعزيمة وروح ، ولا خطأ الخطة وضعت بمهارة وجرأة بل كان ضياع الوقت سدى هو السبب الرئيسى للفشل ، ولا يقصد بذلك الوقت الذى ضاع بسبب الشابورة فهذا شيء لم يكن مقدرا ولا يمكن تجنبه، ولا الوقت الذى ضاع بسبب مقاومة الأتراك فهذا شيء لم يكن فى الامكان تغييره ولكن المقصود هو الوقت الذى ضاع لأسباب خاصة كان بالامكان تجنبها لو كان هناك أركان حرب مدربون . ويمكن أن يلقب عمل أركان الحرب فى الميدان بأنه فن توفير الوقت وهو كأى فن آخر يمكن الالمام بة بالتمرين الطويل المستمر .

تلاحظ أوجه الشبه بين هذه العملية وعمليتى رفح والمغضبه ، فقد تكرر أن العمل الذى يسبب النصر لا يقع الى عند اصدار الأوامر بالانسحاب . ففى الحالتين السابقتين كان الميدان محدودا وتيسر للقائد أن يرى فى الوقت المناسب أن الضربة التى ستسبب النصر قد وقعت ليلغى الأمر بايقاف العملية . أما فى غزة فكان القتال منتشرا على منطقة واسعة معقدة لدرجة لم يتيسر معها أن يتأكد من

الموقف ولا أن تصل أخباره بسرعة . وفى الحقيقة فأعوص المسائل المطلوب حلها فى ميدان القتال الحديث هى كيف يمكن الحصول بسرعة وبدقة على أخبار الحوادث وتطورها ، ومن المحتمل ألا تحل هذه المسألة حلا تاما إذ كما أن وسائل المواصلات الداخلية تحسن فان منطقة القتال تزيد .

انتقد قرار سحب القوات الراكبة انتقادا طويلا بطبيعة الحال ، ولكن المعلومات التى كانت لدى الانجليز وقتئذ تبرره ، فكانت نتيجة القتال عند على المنطار مجهولة وكان المفهوم أن الأتراك يضغطون على نطاق الفرسان وكانت الخيول تعبة لقلة المياه . ومن المدهش أن يقدر القواد الثلاثة فشلهم فى وقت واحد ، فالجنرال دوبل أصدر أمره بسحب قواته الراكبة ، وكرس أوقف امداداته المرسلة الى غزة ، ونسف الماجور تيلر قائد غزة الألمانى محطة اللاسلكى وجهز نفسه للاسر . ومن ذلك يرى أن القليل من التفاؤل قد يكون أعظم فائدة فى الحرب من الكثير من الرجال .

أظهرت الفرقة ٥٣ واللواء ١٦١ من الفرقة ٥٤ فى احتلال على المنطار تقاليد المشاة الانجليزية ، فقد كان التقدم فوق أرض مكشوفة ضد عدو مستحصن ومسلح بمدافع ماكينة ومدفعية قوية . وكانت كل مزايا الاختفاء والملاحظة متوفرة للاتراك والمدافع التى ساعدت الهجوم[1] قليلة والتبه الضيقة التى احتلها العدو تحته يصعب اصابتها ، وقد كان من الصعب تمييز خنادق العدو كما كان الجزء الاخير من الاقتحام قتالا أعمى فكانت الجنود صاعدة التل سائرة بين حواجز التين الشوكى ضد مدافع الماكينة والبنادق غير المنظورة ، وقد انهكت شمس الشرق الحارة الجنود الذين كانوا قد ساروا طويلا قبل الفتح للهجوم . ولم يكن هناك ظل ولا ماء ، ورغم كل ذلك استمرت اللواءات الأربعة فى التقدم بسكون وثبات فوق ذلك السهل المكشوف صاعدة تلك التبه الشديدة الانحدار مخترقة سلسلة حواجز التين الشوكى حتى أرغمت العدو ذى الشهرة العالمية بمهارته وجلده فى الدفاع على ترك مواقعة . ولم يكن هناك أبدع من ذلك الاقتحام ، وكان نجاحه نصرا للرزانة والدربة فى قيادة البلاتونات وللشجاعة الحقة المدربة . ويستحق هذا العمل ألا ينسى إذا اراد أحد ما أن يدفعنا الى الاعتقاد بأن المشاة فى الوقت الحالى ضعيفة الحيلة ضد المواقع المحصنة إلا إذا تقدمتها الدبابات أو أمدتها مدفعية كاسحة شديدة بنيرانها .

(١) ٢٤ مدفعا عيار ١٨ رطلا و ١٢ هوتزر قطر ٤٫٥ بوصة و ٦ مدافع عيار ٦٠ رطلا

٣ — موقعة غزه الثانية[1]

حدث قبل موقعة غزه الأولى بأسبوعين حادثان كان لهما أبعد الأثر فى الميدانين الأخرين اللذين كانت تركيا تقاتل بهما وهما أرمينيا والعراق . إذ نشبت الثورة الروسية فى ٩ مارس وتوج الجنرال مود عملياته الناجحة على نهر الدجلة باستيلائه على بغداد فى ١١ مارس . وكان الحلفاء أول الأمر يظنون أن تغيير الحكومة فى روسيا علامة على أنها ستستمر فى الحرب بعنف ولم يعلموا أن جموع الروسيين كانوا متضايقين من الحرب أكثر من ضيقهم بالقيصر . وكانت وزارة الحربية تحاول فى ذلك الوقت أن تشترك عمليات الجنرال مود التالية بعمليات القائد العام الروسى بالقوقاز — الغراندوق نيقولا — الذى وافق على أن يتقدّم على الموصل ، وكان الأمل أن يتم طرد الجيوش التركية من العراق وأن تنتهى الحملات هناك، وكان المستر لويد جورج رئيس الوزراء يحلم على الدوام بتقدّم تركيا طالبه عقد هدنة على حده ، ووصل فى ذلك الوقت التقرير الملطف الذى أرسله الجنرال مورى عن موقعة غزه والذى جعل ذلك الحلم ممكن التحقيق فلو أمكن التقدّم طويلا فى فلسطين فى الوقت الذى يكتسح فيه الانجليز والروسيون الأتراك من العراق فان ذلك يدفع تركيا بكل تأكيد إلى قبول الشروط وخاصه لوكانت ألمانيا فى ذلك الوقت خاسرة فى الميدان الغربى . وكان الأمل وقتئذ عظيما فى أن ينال الحلفاء نصرا حاسما فى فرنسا حيث كان الألمان يتراجعون على واجهة واسعة . كل ذلك جعل مجلس الوزراء متفائلا . ففى ٣٠ مارس أرسلت برقية إلى الجنرال مورى أعطيت له القدس فيها غرضا مباشرا لجيشه .

كان الاتساع الفجائى فى العمل المطلوب من السير أرشبالد مورى بلا شك صدمة له فبين فى رده شكوكه فى إمكان التقدّم بسرعة على القدس ولفت النظر مرة ثانية إلى تقديره السابق بخصوص القوّات اللازمة — خمسة فرق مشاة كاملة — ومع ذلك فكانت عزيمة الوزارة قد صحت على عمل عنيف للتخلص من تركيا . وكان لديها من الأسباب مايجعلها تعتقد أن القوّة الحالية بقيادة الجنرال مورى كافيه وتسمح بتنفيذ التعليمات بالتقدّم السريع . فقد قدر أن أقصى مايمكن أن يكون للاتراك

(١) انظر خريطة ٧

بجنوب فلسطين ٣٠٠٠٠ لم يكن منهم جاهز سوى ٢٠٠٠٠ أو ٢٥٠٠٠ وكانت القوات الانجليزية متفوقة بمالا يقل عن ٥٠٪ فى المشاة والمدافع علاوة على التفوق العظيم فى القوات الراكبة . وكانت مقدرتهم فى القتال كما ذكر قائدهم فى تقريره عن الموقعة تفوق كثيرا مقدرة أعدائهم الأتراك . وأخيرا قبل مورى باخلاص الواجب الملقى على عاتقه ولكن الظاهر أنه كان يرتاب فى إمكان تنفيذه رغم أمله فى الاستيلاء على غزة والقيام بحملة ناجحة فى فلسطين، والحقيقة أنه كان على غير اتصال وثيق بالموقف بالجبهة لوجود رئاسته بالقاهرة وضللت تقاريره بدورها وزارة الحربية .

كانت السكة الحديدية قد وصلت فى أوائل أبريل إلى دير البلح — على بعد ٨ أميال أو ٩ من غزة — التى أصبحت مركز رئاسة الجنرال دوبل . وقد حدد اتجاهها من مدى العمليات التى كان يمكن القيام بها فى الحال فقد أصبح من الضرورة أن تكون بقرب الشاطئ وأن تبدأ باقتحام جديد على غزة لاجدل فى أنه سيكون عملية أصعب من سابقتها . إذ أن المفاجأة انعدمت ولم يكتف الأتراك بتقوية حامية غزة بمد استحكامات المدينة وتقوية تهابل صمموا ايضا على عدم السماح للقوات الانجليزية الراكبة بالنفوذ (المرور) بين أجزاء القوة المختلفة بلاممانعة، فقد أسرعوا بسد الثغرة بين غزة وبيرالسبع بسلسلة من البلانقات تغطى كل الواجهة حتى الشريعة ضد أى اختراق . وبذا يصبح هجوم الجنرال دوبل أماميا بحتا على موقع حصين ويتطلب ذلك ازدياد المدفعية وفى موقعة غزه الأولى كانت كل من الفرقتين ٥٣ و ٥٤ ينقصها لواء مدفعية علاوة على أن نصف المدفعية المتوسطة لم يتيسر احضارها للموقعة . أما فى الموقعة الثانية فكانت المدفعية الميسورة : مع الفرق الراكبة ٣٢ مدفع ميدان ومع اللواء الهجانة ٦ مدافع جبلية ومدفعية[1] الفرق الثلاثة أحداها من ٨ هوتزر ٤,٥ بوصة و ٣٦ مدفعا عيار ١٨ رطلا واثنتان بكل ٨ هوتزر ٤,٥ بوصة و ٢٨ مدفعا ١٨ رطلا [2] فالمجموع ٢٤ هوتزرا ، ٩٢ مدفعا و ٣ بطاريات ٦٠ رطلا —

(١) لم يكن للفرقة ٧٤ مدفعية بعد

(٢) كانت بطاريتان عيار ١٨ رطلا بكل من الفرقتين ٥٣ و ٥٤ ينقص كل منهما صنف

١٢ مدفعا — وبطارية من ٢ هوترز ٨ بوصة و ٢ هوترز ٦ بوصة المجموع النهائى ١٧٠ قطعة مدفعية ١٦ منها من القطع المتوسطة فما فوق . وهـذا العدد أقل مما يكفى واجهة هجوم متسعة كهذه ، وكان هناك علاوة على المدفعية السابقة ثلاثة بوارج إحداها فرنسية مستعدة للاشتراك فى الضرب . واستعمل فى هـذا المسرح لأول مرة سلاحان جديدان وهما الدبابات والغازات . فى الحقيقة فان هذه الموقعة وضعت لتكون قدر الامكان من الطراز العظيم الذى كان متبعا فى الميدان الغربى .

لم يقتصر النقص على الوسائل المـادية بل كانت القوة بوجه عام غير ملمة بحرب الحصار الحديث ولا بأساليبه ولذلك دربت الجنود بسرعة على التعاون مع الدبابات وجهزت خرائط للخنادق وكذلك أدخلت خطط رسمية للمدفعية كانت معقدة بسبب تعاون البحرية والاستخدام الصحيح للستحدثات — الغازات وقنابل الدخان — وكلفت الطائرات القليلة العدد[١] بكثير الواجبات ، أضف الى ذلك التحضيرات الضرورية لذلك الميدان وكان أصعبها المشكل الأبدى مسألة المياه ، من ذلك يرى أن النصف الأول من أبريل سنة ١٩١٧ كان وقت الشغل الشاغل للقوة الشرقية .

أزالت نتيجة غزه الأولى أى نية للانسحاب من غزه و بئر السبع بلا قتال لو أن الأتراك كانوا قد صمموا على شىء من هذا القبيل فقد أصبحت حامية غزه الفرقة ٣ بأكملها وعادت الفرقة ١٦ الى تل الشريعة وأصبحت المجموعة التى بينهما مكوّنة من الفرقة ٥٣ التركية والآلاى ٧٩ . واحتلت بئر السبع حامية مكوّنة من أورطتين و بطارية و بقيت فرقة الفرسان الثالثة بالاحتياط فى هوج وبذا كان مع كرس فى الخط الأمامى ما يزيد عن ١٨٠٠٠ بندقية ٨٦ مدفع ماكينة ١٠١ مدفعا[٢]

كان الخط التركى حول غزه يمتد من البحر فوق كثبان رمليـة لمسافة تتراوح من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ ياردة الى تبه سمسون التى تبعد عن المدينة نحو ميلين وجنوب غربها . يمتد الخط جنوب المدينة مخترقا الحدائق والحقول التى تحيطهـا أشجار التين الشوكى حتى يصل تبه على المنطار عند محل يسمى تل النقط الخارجية

---

(١) لم يوجد سوى ٢٥ طائرة صالحة للاستعمال .

(٢) هذا هو التقرير التركى الرسمى . أما تقرير كرس فكان ٩٠٠ سيف و ١٤١٠٠ بندقيـة و ٨٤ مدفع ماكينة و ٩١ مدفعا

وهو جنوب ريوه على المنطار بنحو ميل ونصف وكانت التبة بين تل النقط الخارجية وعلى المنطار بمثابة قلب الدفاع الحقيق وأعطيت الأسماء الآتية للخنادق الدفاعية التبة ، المعضلة ، المحور التى يفهم منها طبيعة الأرض داخلها وحسن نظام الاستحكامات بها .

تقع شرق على المنطار ثغرة طولها من ٨٠٠ — ١٠٠٠ ياردة مضروبة بالنيران المتقاطعة من التبة المذكورة ومن مجموعة الاستحكامات التالية المسماة " خنادق البيره " وتلى ذلك بلانقة الدبابة الحصينة — كما أسميت فيما بعد — الواقعة على قمة تبة تبعد شرقا عن على المنطار بنحو ٤٠٠٠ ياردة وفوق القمة التالية مجموعة قوية من الاستحكامات اسمها بلانقة عطاوينة وشرقها مجموعتا هريرة والشريعة. ويكون من هذه الاستحكامات موقعا دفاعيا حصينا تحصن فيه الأتراك بمهارتهم المعهودة ومقدرتهم . وكانت طرق التقدم واقعة على ميول مكشوفة ، واختيرت مواقع الاستحكامات بحيث تساعد كل غيرها بالنيران الجنبية ومن ذلك يرى أن عمل الجنرال دويل لم يكن سهلا .

كانت خطة الموقعة سهلة ، فكانت تقع فى مرحلتين ، ففى المرحلة الأولى كان على المشاه أن تحتفظ بخط يجرى من البحر لتبة الشيخ عباس التى تقع على مسافة يمكن منها ضرب دفاعات غزة الأساسية ثم يعزز هذا الخط المحتل تدفع المدفعية الثقيلة للامام قبل أن يبدأ الهجوم الأساسى الذى هو المرحلة الثانية ، وفى هذا الهجوم تقتحم الفرقة ٥٤ ومعها لواء الهجانة الأمبراطورى الجبهة من خربة سيحان إلى خربة البئر وتشمل هذه الجبهة بلانقة الدبابة ومجموعة خنادق البيرة ، وعند ما تستولى الفرقة على هاتين كان عليها أن تلف مرتكزة على يسارها وتهجم على جزء تبة على المنطار الواقع شمال طريق غزة — بير السبع . وكان على الفرقة ٥٢ أن تهجم على جنبى تبه السير إلى على المنطار. والفرقة ٥٣ أن تتقدم بحذاء الشاطئ وتهجم على الدفاعات الجنوبية الغربية للمدينة . أما عمل قول الصحراء الذى كان مكونا فى هذه العملية من فرقتين راكبتين فكان عمل هجوم مثبت على يمين المشاة يمتد حتى هريره وكان عليه أن يكون مستعدا للطاردة إذا أفلح هجوم المشاة ، ويكون الاحتياط العام من الفرقة ٧٤ التى انضمت وقتئذ على القوة ولكن لم يكن معها مدفعية .

بدأت المرحلة الأولى مبكرا فى صباح ١٧ أبريل ، فعبرت الفرقتان ٥٤ ، ٥٢ وادى غزه ووصلتا مواقعهما المعينة — الشيخ عباس — المنصورة — تل الكرد (على تبة السير) بمقاومة بسيطة وخسائر قليلة رغم ان نيران المدفعية أتلفت دبابة. ومضى يوم ١٨ فى تعزيز الموقع والتحضير للمرحلة الأخيرة التى كانت ستقع يوم ١٩ وفى ذلك اليوم فتحت المدفعية نيرانها فى الساعة ٥,٣٠ وساعدتها نيران البحرية. وفى الساعة ٧,١٥ تقدمت الفرقة ٥٣ للهجوم بحذاء الشاطىء ، وبعد ذلك بربع ساعة تقدمت الفرقتان ٥٤ ، و٥٢ ، وعلى يمين المشاة قامت الفرقة الأمبراطورية الراكبة بهجوم وهى مترجلة على استحكامات عطاوينة بينما حمت جنبها فرقة الأتراك الراكبة وقامت بمظاهرة أمام بلانقة هريره .

لا تحتاج الموقعة إلى وصف مطول . فرغم دفع الهجمات المختلفة بكل شجاعة فلم تحز إحداها من النجاح ما كان يوجد أملا فى الاستيلاء على أحد المواقع التركية. ولم تؤثر قنابل الغازات إلا تأثيرا بسيطا ، وتعطلت الدبابات القليلة العدد من نيران المدفعية أوكسرت ، ولم تكن نيران المدفعية على الواجهة الواسعة بكافية لاسكات مدافع الماكينة أو المدافع التركية ، تمكن جزء من اللواء ١٦١ على يمين الفرقة ٥٤ ومعه لواء الهجانة من الوصول إلى بلانقة الدبابة بمساعدة دبابة . وبقيت القوة هناك وقتا ما رغم كثرة العدو وتمكن لواء الهجانة فى اليمين من اختراق الموقع والوصول إلى خربة سيحان . أما شمال الفرقة ٥٤ فقد وصل إلى الخط التركى ولم يتمكن من التقدم بعد ذلك بسبب النيران التركية الجنبية الشديدة من على المنطار . تركز هجوم الفرقة ٥٢ طول اليوم حول تل النقط الخارجية عند منتصف المسافة إلى على المنطار . وتمكنت دبابة من الوصول إليه ولكنها سرعان ما أصيبت بنيران المدفعية واحترقت قبل أن تستفيد المشاة من نجاحها . وفى الساعة ١٠ صباحا تمكن جزء من اللواء ١٥٥ من الوصول للتل وكان موقفه حرجا ، ولم يتمكن من التقدم طول اليوم بسبب مدافع الماكينة المختفية فى حواجز التين الشوكى الكثيفة ، واضطر الأمر لسحبه فى المساء لتجنب وجود بروز خطر فى الخط . اقتحمت الفرقة ٥٣ تبة سمسون الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بعد محاولات عديدة فاشلة ، ولكن لم يمكنها التوغل فى الدفاعات التركية أكثر من ذلك .

ظهر بوضوح بعد الظهر أن الهجوم لا يحتمل نجاحه إلا بامدادات جديدة ، ولا يتأتى من استعمال فرقة جديدة إلا ازدياد الخسائر، فكل المدفعية كانت مشتبكة وكان استيراد الذخيرة يسبب قلقا . لذلك أوقفت العملية فى المساء بنية تكملتها فى فجر ٢٠ بعد ضرب نيران تمهيدية جديدة من المدفعية ، ولكن التقارير التى وصلت للجنرال دوبل ليلا جعلته يعتقد أن الأمل فى النجاح مشكوك فيه لدرجة عظيمة ولذا أصدر أمرا مبكرا فى الفجر ألغى به أمر الاستمرار فى الهجوم وأجرى تعزيز الأرض المكتسبة . وقام الأتراك بهجمات مضادة محلية عنيفة يوم ١٩ ، ووضع كرس خطة للقيام بهجوم عام على طول الواجهة يوم ٢٠ ولكن جمال باشا للرة الثانية لم يوافق.

بلغت خسائر الانجليز نحو ٦٥٠٠ نصفها تقريبا من الفرقة ٥٤ وكانت خسائر الفرقة ٥٢ كبيرة أيضا، ولم تبلغ خسائر الأتراك إلا نحو ٢٠٠٠ وقد أسروا ٦ ضباط و ٢٦٦ عسكريا .

ليس من العجب أن تكون هذه نتيجة الهجوم على موقع حصين يدافع عنه عدو عنيد وكان طول الجبهة التى اقتحمتها المشاة ١٥,٠٠٠ ياردة ولم تزد المدافع التى ساعدتها عن ١٥٠ ، وكانت الدبابات وقنابل الغازات أقل مما يلزم لإحداث النتائج المنتظرة [1] ، وربما كان تجمع مجهود أكثر ضد تبة على المنطار — مفتاح الموقع — يعطى أحسن الفرص للنجاح ، ومع ذلك فاحتلاله يوجد بروزا أكبر من أن يمكن الاحتفاظ به طويلا ، وكان النجاح النهائى متوقفا حينئذ على مدى ما يسببه احتلاله من تسهيلات لسرعة تقدم الجنود على جنبيه .

٤ — الحوادث من أبريل سنة ١٩١٧ الى يوليه

كان الأتراك بلا نزاع يتيهون عجبا لنجاحهم المزدوج ، فقد كان أملهم فى أول السنة فى الوقوف فى طريق غزو الإنجليز لفلسطين ضعيفا كل الضعف . أما الآن فلم يبق هناك معنى لاستمرار الانسحاب ، فاستقروا فى أماكنهم لاتمام مواقعهم وتنظيمها . وكانت تمتد بطول طريق غزة بير السبع حتى الشريعة وكانت بئر السبع نقطة منفصلة . وبدئ فى مد فرع للسكة الحديدية من الطينة إلى

(١) لم يرسل لمصر سوى ٨ دبابات لم تكن بحالة جيدة جدا .

غزه وهوج ، وخطط موقع ثانى على وادى حسى شمال غزه . وأصلحت موارد المياه ، وانضمت لقوة كرس فى أبريل ومايو الفرقتان ٧ و ٥٤ التركيتان و بطارية أخرى نمسوية . احتلت الفرقة ٥٤ التركية وسط الخط بدل الفرقة ٥٣ التى تحركت إلى غزه لتكون الفيلق الثانى والعشرين مع الفرقة ٣ . و بقيت الفرقة ٧ بالاحتياط ، وفى ذلك الوقت قدر السير ارشبالد مورى القوات التركية بنحو ٣٣٠٠٠ بندقية ، ٢٢٠٠ سيف ، ١٣٠ مدفع ماكينة ، ١٢٠ مدفعا ، ويحتمل أن يكون هـذا التقدير صحيحا بوجه التقريب .

بعد موقعة غزه الثانية بقليل حل الجنرال تشتوود محل الجنرال دوبل فى قيادة القوة الشرقية ، وتولى الجنرال شوفل قيادة القوات الراكبة وحل محله فى قيادة فرقة الأنزاك الراكبة الجنرال تشايتور النيوزيلندى . كان الخط الانجليزى يمتد من الشيخ عجلين قرب البحر إلى المنصورة والشيخ عباس مارا بتبه سمسون والتـل الملتهب (جنوب تل النقط الخارجية) وابتعد الخط عن الأعداء عند الشيخ عباس ثم انحرف بزاوية حادة للخلف لوادى غزه عند تل الجمى جنوب غرب المندور . ومن هنـاك إلى الجاملى وضعت مجموعات من النقط المنفصلة . كان الموقع آمنا ولكن روح الجنود المعنوية انحطت ، فقد أثر الفشل المزدوج أمام غزه فى ثقـة الجنود برئاستهم العليـا وفى ثقتهم بأنفسهم . ولم يكن منتظرا من حرب الخنادق القليلة الحركة فى الصيف الحار أن ترفع من الروح المعنوية .

كانت نتيجة عمليـات غزه صدمة لتفاؤل وزارة الحربية . وظهر بوضوح ضرورة ارسال الامدادات الكثيرة لجيش الجنرال مورى لكى يقـدر على التحرك ثانيا . وقد حدد الجنرال فى تقدير للموقف أرسله تلغرافيا بعد نهاية الموقعة الثانيـة الامدادات الضرورية لاستئناف العمليات الهجومية فى فلسطين بفرقتين كاملتين ومدفعية إضافية ، وكان أمام الوزارة أن تختار أحد اثنين ، أما الاقتناع بسلامة مصر كما هو الواقع وصرف النظر عن أى أمل فى غزو فلسطين بنجـاح ، أو زيادة مجهوداتها فى ذلك الميدان . وكانت هناك عدة أسباب تدفعها لاختيار القرار الثانى ، فقد أيد فشل الهجوم الفرنسى فى شامبين فكرة المستر لويد جورج فى البحث عن طريق آخر خلاف طريق الميدان الغربى الذى سد فى وجوههم ، ووصلتهم أنباء جمع الأتراك لقواتهم لاستعادة بغداد وتطلب هذا عملا مضادا . ووجدت هيئـة

أركان الحرب الفرصة السعيدة والعذر لإنقاص القوات الإنجليزية المشتركة فى حملة سالونيكا العـــديمة الفائدة (١) وعلاوة على ذلك فان الشعب الإنجليزى بطبيعتـه لا يقبل أن ينتهى عمله بفشل . لكل هـذه الأسباب صدّقت رئاسة الوزارة على تقوية التجريدة المصرية بجنود من ميدان سالونيكا .

أثناء ذلك لم يقع من الحوادث على حدود فلسطين سوى إتلاف امتداد السكة الحديدية التركية من جنوب بئر السبع إلى العوجه ، فقد أهمل الأتراك استعمالهـا من يناير ولكن المعلومات دلت على أنهم كانوا يأخذون القضبان (التى كانوا فى أشد الحاجة إليها) ليستعملوها فى مد الخط الجديد من الطينة لغزه . فنظم الجنرال تشتوود غارة بالقوات الراكبة لوضع حد لذلك . ودربت جماعات خاصة للتخريب لتساعد المهندسين . عملت الغارة بقولين ففى ليـلة ٢٢/٢٣ مايوسارت أورط المهندسين من فرقتى الأنزاك ، الأمبراطورية الراكبتين يحرسها لواء الفرسان الأسترالية الخفيفة الأول من الشلال إلى أسلوج ، وفى نفس الوقت سار لواء الهجانة ومعه بلوك الميدان من رفح للعوجة. وسترت هاتين الحركتين الفرقة الأمبراطورية الراكبة بالتظاهر أما بير السبع. نجحت الغارة نجاحا تاما . . . فتم بعد ظهر يوم ٢٣ أتلاف قضبان طولها ١٣ ميلا وتدمير ٦ كبارى. ثم إنسحب القولان بلا تدخل من العدو

فى أول يونيه وصل اللواءان ٧ و٨ الراكبان من سالو نيكا وأعيد تنظيم القوات الراكبة كالآتى :

فرقة الأنزاك : اللواءان ١ و ٢ من الفرسان الإسترالية الخفيفة ولواء نيوزيلنده الراكب بقيادة المـاچور چنرال تشتوود .

الفرقة الاسترالية (الأمبراطورية سابقا) : اللواءان ٣ و ٤ من الفرسان الاسترالية الخفيفة واللواء الخامس الراكب بقيادة المـاچور چنرال هودجسون .

(١) لم يصرح بسحب هذه الفرق الا بشروط المستر لويد جورج فلم تجد هيئة الرئاسة ما يقنعـه بارسالهم لفلسطين الا بحجة انهم هناك يعيشون فى جو أفضل وتحت رقابة انجليزية .

فرقة اليومنرى : اللواءات الراكبة ٦ و ٨ و ٢٢ بقيادة الماچور چنرال نارو . وأبقى اللواء الراكب الباقى وهو اللواء ٧ كاراء منفصل تحت رئاسة القوة الشرقية مباشرة .

صدرت أوامر للفرقة ٦٠ والمدفعية الإضافية بالاستعداد للتحرك من سالونيكا أيضا ، ووصلت قوات من الهند وعدن كون منها ومن القوات الأخرى الموجودة بمصر نواة للفرقة ٧٥ . وأضيفت الى قوة التجريدة المصرية قوات فرنسية وإيطاليا أرسلت لأغراض سياسية . والفرنسيون الذين كانت لهم مطالب خاصة بفلسطين وسوريا لم يقبلوا أن تحتل هذه الأراضى قوات انجليزية فقط. وقد استقر الرأى فى الطريقة التى ستتبع نحوهما (فلسطين وسوريا) عند تخليصهما من الأتراك فى معاهدة سايكس بيكو التى عقدت بعد مخابرات سياسية . أما الأيطاليون فكانوا يطالبون بامتيازات دينية وراثية تخص كنائس القدس وبيت لحم ، ولذا أرسلت فصيلة البرساچليرى .

حسنت مواصلات القوة أثناء وصول هذه الأمدادات . فبدئ فى مد الخط الحديدى من رفح للشلال فى نهاية ابريل لتوسيع الواجهة وللتمكن من إجراء أى عمليات على شمال الأتراك . وقد أعيد النظر فى طاقة السكة الحديدية من مصر وكفايتها لازدياد القوة ، فكانت بحالتها الراهنة وافية لخمسة فرق وثمانية لواءات فرسان ولواء هجانه وجميع الحملات وقوات خطوط المواصلات ، أما إذا أرادت رئاسة الوزارة إرسال قوات أكثر من هذه لحملة الخريف فازدواج الخط من القنطرة يصبح شيئا ضروريا يوصى به .

صممت وزارة الحربية عند ما عقدت النية على تجديد غزو فلسطين على تغيير القيادة . فوقع اختيارها على الجنرال السير أدموند اللنبى الذى كان يقود الجيش الثالث بفرنسا والذى اكتسب نصرا باهرا فى أراس. وصل الجنرال مصر فى ٢٧ يونيه وتولى قيادة التجريدة فى ٢٨ منه . وقد نتج عن ذلك مجد عظيم للقائد وللقوات على حد سواء. فقد غطت سلسلة الانتصارات التى حازها الجنرال اللنبى على الأعمال المبكرة التى قام بها الجيش تحت إرشاد الجنرال مورى. ولكن الجنرال اللنبى لم ينس أن يعترف بفضل سابقه فى تمهيد الطريق له . ففى رسالة له أرسلها فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٩ لخص بها حملاته قال :

" أود أن أعرب عن امتنانى من سابق اللفتنانت چنرال السير تشارلز مورى الذى وضع — بربطه مصر بفلسطين بمد الطريق عبر الصحراء — أساس التقدم التالى الذى قامت به التجريدة المصرية . فقد حصدت ثمر بعد نظره وتفكيره الاستراتيجى الذى به وصلت مياه النيل إلى حدود فلسطين ، والذى وضع خطة العمليات العسكرية الباهرة التى تم بها طرد الأتراك من مواقعهم الحصينة بالصحراء أمام الحدود المصرية ، والذى مدت به السكة الحديدية بالاتساع العادى حتى أبواب غزة . فقد تحملت التنظيمات التى أوجدها فى مصر وسيناء كل التجارب وكانت الحجر الأساسى لنجاحى " .

تركيب القوات للموقعة

موقعة غزة الأولى

قول الصحراء

الفرقة الأسترالية والنيوزيلندية الراكبة (الماجور چنرال السير شوفل)

اللواء ٢ من الفرسان الأسترالية الخفيفة .

لواء البنادق الراكبه النيوزيلندى .

اللواء ٢٢ الراكب .

الفرقة الامبراطورية الراكبة (الماجور چنرال هودجسون) .

اللواء ٣ من الفرسان الأسترالية الخفيفة .

« ٥ الراكب .

« ٦ «

الفرقة ٥٣ (ويلز) بقيادة (الماجور چنرال دالاس) .

اللواء ١٥٨ المشاة — الأورطة الأولى من الألايات ٥ ، ٦ ، ٧ الويلش فيوزيليرز ، ١ هرفورد .

اللواء ١٥٩ المشاة — الأورطة الأولى من الألايات ٤ ، ٥ ، ٧ الويلش و ٧ شيشير .

اللواء ١٦٠ المشاة — الأوطة الأولى من ألاى سسكس الرابع والثانية من ألاى وست سورى الرابع والثانى من وست كنت الرابع والثانية من المدلسكس العاشر .

القوات التى تحت قيادة رئاسة القوة الشرقية مباشرة (اللفتنانت جنرال دوبل) .

لواء الهجانة الامبراطورى — الأورطة الأولى الأسترالية والنيوزيلندية البلوكات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٥

الأورطة الثانية (الامبراطورية) البلوكات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

الأورطة الثالثة (الاسترالية والنيوزيلندية) البلوكات ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦

الفرقة ٥٢ (نذرلاند) — بقيادة الماجور جنرال سميث .

اللواء ١٥٥ المشاة — الأورطة الأولى من الالايات ٤ ، ٥ الاسكوتش فيوزيليرز ، ومن الولايات الاسكوتش بوردرز الملكية الرابعة والخامسة .

اللواء ١٥٦ المشاة — الأورطة الأولى من الالايات ٤، ٧ الاسكوتش، ٧، ٨ البنادق الاسكوتش .

اللواء ١٥٧ المشاة — الأوزطة الأولى من الالايات ٥، ٦، ٧ الأراضى الجبلية ٥ " الأرجيل والهايلندرز الجنوبية " .

الفرقة ٥٤ (انجليان الشرقية) — بقيادة الماجور جنرال هير .

اللواء ١٦١ المشاة — الأورطة الأولى من الالايات ٤ و ٥ و ٦ و ٧ الايسكس .

اللواء ١٦٢ المشاة — الأورطة الأولى من الالايات بدفورد الخامسة ونورثامبتون الرابعة ، لندن ١٠ ، ١١

اللواء ١٦٣ المشاة — الأورطة الأولى من الالايات ٤ ، ٥ نورفوك ، ٥ سافوك ، ٨ هامبشير .

الفرقة ٧٤ (اليومنرى) — بقيادة الماجور جنرال جيردوود .

اللواء ٢٢٩ المشاه (البريجادر جنرال هور) الالاى ١٦ ديفونشير، ١٢ مشاه سومرست الخفيفة ، ١٤ هايلندر الملكية .

الوحدات الأخرى المشتركة مع القوة الشرقية .

داورية رقم ٧ السيارات الخفيفة .

بطاريتا السيارات المدرعة ١١ و ١٢

الجناح الخامس سلاح الطيران الملكى .

المدفعية	مدفع ٦٠ رطلا	هاوتزر ٤,٥ بوصه	مدفع ١٨ رطلا	٢,٧٥ بوصه
الفرقة الاسترالية والنيوزنلندية الراكبة (٤ بطاريات خيالى بكل ٤ مدافع ١٨ رطلا	—	—	١٦	—
الفرقة الامبراطورية الراكبة	—	—	١٦	—
(شرحه)				
اللواء الهجانة الامبراطورى (بطارية هجانة محملة ٦ مدافع ٢,٧٥ بوصة ...	—	—	—	٦
الفرقة ٥٢ (لواءان من مدفعية الميدان بكل١٢مدفع١٨رطلا و ٤ هاوتزر ٤,٥ بوصه	—	٨	٢٤	—
لواء مدفعية ميدان١٢مدفع عيار١٨رطلا	—	—	١٢	—
الفرقة ٥٣	—	٨	٣٦	—
(شرحه)				
الفرقة ٥٤	—	٨	٣٦	—
(شرحه)				
قوات الجيش	١٢	—	—	—
(٣بطاريات بكل ٤مدافع ٦٠ رطلا) في موقعة غزه الاولى لم تشترك مدفعية الفرقــة ٥٢ وكان اللواءان الثالثان من مدفعيـــة الفرقتين ٥٣ و ٥٤ باستحكامات القناة ولم يستحضر سوى أربعة مدافع من البطاريات عيار ١٨ رطلا التـابعة للفرقتين ٥٣ و ٥٤ وسوى صنف واحد من كل بطارية ثقيلة				
ولذلك يستبعد	٦	٨	٧٦	—
فاجمالى المدفعية فى غزه الأولى [1] ...	٦	١٦	٦٤	٦

(١) لم يستر تقدم الفرقة ٥٣ فعلا سوى ٦ مدافع ٦٠ رطلا و ١٢ هاوتزرا ٤,٥ بوصـه و ٢٤ مدفعا ١٨ رطلا .

المرحلة الثانية ـ فلسطين

الباب الرابع

موقعـة غزه الثالثة

١ ـ أساس الموقعـة ـ الموقف الاستراتيجى العـام ، جيش يلدرم ، الخطة الانجليزية ، التحضيرات والتدريب ، تحرك جيش يلدرم الى جبهة فلسطين ، قوة القوات المتقاتلة وأوضاعها .

٢ ـ موقعـة بئر السبع ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٧ ـ دفاعات بئر السبع ، خطة الهجوم ، هجوم الفيلق ٢٠ ، عمـل فيلق الصحراء الراكب ، اقتحام اللواء الرابع من الفرسان الاسترالية الخفيفة ، تعليقات على الموقعة .

٣ ـ كسر الخط التركى ـ هجـوم الفيلق ٢١ على دفاعات غزة ، القتال عند تل خويلفة ، الهجوم على موقع الشريعة فى ٦ نوفمـبر ، انسحاب الأتراك ، تعليقات .

تركيب قوات التجريدة المصرية للموقعة ـ أكتوبر سنة ١٩١٧ .

أنظر الخرائط رقم ٨ و ٩ و ١٠ و ١١

١ ـ أساس الموقعـــة

كان لتصميم وزارة الحربيـة على تقوية التجريدة المصرية والقيام بفتح فلسطين نتائج مهمة ، فقد أصبح مسرحنا هذا أهم مراكز القتال خارج أوروبا حتى نهـاية الحرب ، وورط الامبراطورية البريطانيـة فى مضايقات كثيرة وارتباكات عندما انتهت الحرب . وقد ذكر اسباب ذلك القرار بأيجاز ومع ذلك فلا بد من اعادة ذكرها بأسهاب . كان الاصطدام مستمرا طول مدة الحرب بين الشرقيين والغربيين . والشرقيون هم الذين كانوا يعتقـدون أن كلا المتحاربين

لا أمل له فى الميدان الغربى وأن النصر أسهل منالا بضرب أضعف حلفاء ألمانيا وبذلك يزيد الضغط حولها . أما الغربيون فهم دعاة الاحتفاظ بكل جندى وسلاح متيسر وتوجيههم ضد الجيش الرئيسى وتقليل القوات المعينة لما عدا ذلك الى أقل عدد ممكن يضمن السلامة .

كان المستر لويد جورج — الذى أصبح رئيسا للوزارة — أكبر دعاة السياسة الشرقية وأشدهم تحمسا لها . وقد كانت هناك أسباب أخرى تدفعه وقتئذ الى طلب النصر فى فلسطين ، فقد جعل الهجوم العام فى ربيع سنة ١٩١٧ ، الحلفاء يائسون كل اليأس ، وروسيا قد سقطت ، وسبب فشل الفرنسيين فى هجومهم العام فى شامبين هبوط الروح المعنوية ، وأوجدت حرب الغواصات قلقا عظيما . ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت الحرب وقتئذ الا أن مساعدتها العسكرية احتاجت لوقت طويل قبل أن تكون مؤثرة . لذا زال كل أمل فى إنهاء الحرب سنة ١٩١٧ ، اعتقد رئيس الوزراء إن حقا وإن خطأ أنه للإبقاء على تحمل الأهلين فى السنة الرابعة من سنى الحرب لا بد من انتصار عسكرى حاسم . واعتقاده هذا هو الذى قد دعاه لأن يقول للجنرال اللنبي قبل سفره " أريد أن تكون القدس هدية عيد الميلاد للأمة البريطانية " . وقد كرر ذلك فى تلغرافه اليه فى أغسطس الذى أمره فيه أن يضغط على الأتراك " ليقوى الروح المعنوية للانجليز ويحفظ قوة مقاومتهم " ولكن استعمال الجنود استعمالا خطأ لمجرد ادعاء نصر حاسم مسألة لا شك مخالفة لأبسط قواعد الحرب فى نظر العسكريين . ولكنهم لا بد وأن يعترفوا بأن " نفسية الجبهة الأهلية — أى روح الأهالى بالمملكة " — بلا شك عامل لا بد من دراسته ومراعاته فى قتال طويل الأمد كهذا (١)

وكانت هناك أسباب استراتيجية معقولة لتوجيه الضربة بجبهة فلسطين فى ذلك الوقت . فان سقوط روسيا خلص قوات تركية عظيمة . والمعروف أن هذه القوات تجمعت عند حلب تحت إرشاد الالمان وقيادتهم لاستعادة بغداد . وتتيسر

---

(١) قال نابليون فى سنة ١٨١٥ عندما حرض على الانتظار حتى يجمع قواته — " من الضرورى أن أحصل على نصر باهر دون انتظار " .

مقاومة ذلك التهـديد الموجه إلى العراق بهجوم فى فلسطين لأنه أسرع وأوفر عن تقوية جيش الجنرال مود ، وخصوصا لأن الإمدادات ستسحب من مسرح سالونيكا الذى كانت هيئـة أركان الحرب البريطانية ترغب منـذ أمد طويل فى انقاص القوات به . لذا كان غرض الجنرال اللنبى الإستراتيجى الأمامى هو هزم الجيوش التركية بجنوب فلسطين لجذب الاحتياط التركى من حلب لهنـاك ليزول خطر إرسال حملة عسكرية إلى بغداد . وصل الجنرال اللنبى وطلب منه أن يقرر طلباته الاضافية للتجريدة لكى تقوم بواجبها. وكان المنتظر أن تجاب طلبات الجنرال اللنبى لمـا هو معهود فى رئيس الوزراء من الميل إلى الانتصار فى الشرق .

كانت تركيا فى أوائل سـنة ١٩١٧ فى حالة سيئة . ففى النصف الأخير من سنة ١٩١٦ كانت باقى قواتهـا الجيدة قد أخذت لتقاتل من أجل ألمـانيا ضد الروسيا ورومانيا بينما قاست جيوشهـا الجائعة البالية الكثير بجبهة القوقاز بسبب اشتداد برد الشتاء القارص . وهزمت قواتها بالعراق هزيمة حاسمة . أما قواتها بفلسطين فكانت تتراجع أمام التقدم الانجليزى ، أما تجريدتهم لاستعادة مكة ولإخماد الثورة العربية فقد أوقفها تحرك فيصل بحركة التفاف إلى الوجه . وقد أتى شهر مارس بمـا لطف الموقف قليلا ، فقد نشبت الثورة فى الروسيا ، وصد تقـدم الإنجليز على غزه . ولكن بغداد قد سقطت و بسقوطها فقدت تركيا زعيمة الأمم الإسلامية مدينتين من المدن الأربعة المقدسة عند المسلمين وهما مكه و بغداد ، أما المدينة المنورة فكانت محاصرة والقدس مهدده . فلم يقتصر الأمر على خسارتهـا للحرب بل كانت ستفقد نفوذها الدينى أيضا. ولم تكن خسارة الحرب بشئ جديد على تركيا وكان يزعجها أكثر من ذلك فقدانها الأماكن المقدسة .

استقر رأى القيادة العليا الألمـانية على ضرورة إظهار البأس والمقدره لاستعادة ثقة حليفتها المزعزعة . ففى نهاية شهر أبريل أمر الجنرال فولكنهاين بالسفر لتركيا ليتباحث مع القيادة التركية فى مسألة العمليات الحربية لإستعادة بغداد[1] ، وكان فولكنهاين خصما مريعا جبارا فقد ظل الحكم (الحجة) فى الاستراتيجى الألمـانية

(١) كانت بغداد غرضا جذابا لسببين فان حكام تركيا وقتئذ كانوا يحلمون بانشاء عصبة طورانيـة واسعة والألمـان كان لديهم مشروعات السكة الحديدية وأطماعهم .

مدة سنتين من سبتمبر سنة ١٩١٤ — بعد موقعة المارن بقليل — عندما خلف فوق مولتكه كرئيس هيئة أركان الحرب الألمانية العليا حتى خلفه هندنبرج ولودندورف فى أغسطس سنة ١٩١٦ وقد زعزعت موقعه فردون موقفه وقضى عليه دخول رومانيا الحرب . عين بعد ذلك قائدا للجيش الألمانى الرئيسى الذى اشترك فى اكتساح رومانيا . وقد قام بسلسلة من العمليات البديعة التوقيت بالاشتراك مع جيش الدانوب قيادة ماكنزن (المكون من بلغار وأتراك ونمسويين وألمان) ولعب دورا عظيما فى هذه الحملة الباهرة . من ذلك يرى أن القائد الذى وقع عليه الاختيار لانعاش تركيا . كان شهيرا فى الميدان وفى المكاتب ويبين سقوطه مقدار تصلب العقلية الألمانية وتعنتها عند ما تقابل بعوامل غير عادية ومقدار ضعفها عن فهم خواص الأمم ودقة شعورها .

وصل فون فولكنهاين الأستانة فى ٧ مايو . و بدأ طوافه التفتيشى ليزن الخطط المقترحة من الوجهة العملية . فقابل خليل قائد الجيش السادس بالعراق و جمال بسوريا وقرر فى يونيه أن تحريك قوة كافية ضد بغداد مسألة ممكنة اذا جهزت بعناية و بشرط أن تبقى جبهة فلسطين سليمة آمنة .

دارت مخابرات بين الأستانة و برلين وتقرر فيها أن يجمع جيش تركى فى حلب وأن يمد بقوة خاصة من القوات الألمانية (أسميت وحدة الباشا نمرة ٢ — أو فيلق آسيا) وأن تعمل استطلاعات تفصيلية لتحسين خطوط المواصلات بين حلب و بغداد . وقد أسمى الهجوم الذى سيشرع فيه من أجل السرية باسم " يلدرم " أى " البرق " وذلك بمرسوم أصدره أنور باشا وأعلن فى أوائل يونية . ولم يكن ذلك الاسم مطابقا للمسمى به بسبب السرعة التى تتم بها التحضيرات والتحركات بتركيا عادة ، فلم تتوفر به " السرية " أو " التكتم " لأن إدارة مخابرات الحلفاء علمت به فى أول مراحلة . كانت نواة جيش " يلدرم " الفيلقين ٣، ٥ الذين كانا يشتغلان ضد روسيا ورومانيا . كون منها الجيش

السابع الذى تولى قيادته مصطفى كمال[1] الذى سرعان ماوجد نفسه عاجزا عن استساغة السيطرة الألمانية البحته ولذا غر بفوزى باشا الأكثر مرونة .

أهم الوحدات الألمانية التى اشتركت فى هذه الحملة هى :

٣ أورط مشاة (٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣) .

٣ بلوكات فرسان ** .

٣ بلوكات مدافع ماكينة (بكل ٦ مدافع) .

٣ أصناف مورتار خنادق (بكل ٤ مورتار خندق خفيف) **

١ بطارية هوتزر جبلى ** .

١ بطارية مضادة للطائرات .

٤ أسراب طائرات .

وما لزم من المهندسين والاشارة والوحدات الطبية وقولات الذخيرة والتعيين . وإجمالى القوة ٦٥٠٠ ويقودها الكولونيل " فون فرانكنبرج أند بروشلتز " وكان الجنود من المنتقين بعناية ، والظاهر أن الألمان قد تجاهلوا شعور الأتراك من مبدأ الأمر ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وأهملوا فى تقدير الظروف المحلية فلم تستشر بعثة ليمان فون ساندرس — رغم مالها من تجارب فى تركيا مدة ثلاث سنين ونصف عند وضع الخطة ولم ينتفع بأفرادها . وكانت رئاسة جيش يلدرم مكونة من ٦٥ ألمانيا و ٩ أتراك ، وكانت رتب الأخيرين صغيرة واشتغلوا فى أعمال الاتصال فقط . وقد عاملت هيئة أركان الحرب الألمانية هذه المسألة بنفس القواعد الموضوعة للوقت والمحل المستعملة فى المسرح الغربى كأن من سيقوم بتنفيذها ألمانيون . وفاتهم أن أعطاء أى أمر فى تركيا شيء وتنفيذه شيء آخر ، وأن تعطيل تحرك القوات على خطوط المواصلات التركية شيء لاحد له ، فأضاعوا الصيف فى وسط غريب عنهم حيرهم ولم يتموا إلا القليل من العمل .

(١) رئيس جمهورية تركيا الحالى .

** كل واحد منها مع أورطة مشاة فى العادة .

قبل موقعة غزه الثانية كانت هيئة أركان حرب القوة الشرقية تعتبر التقدم من اليمين كوسيلة تبادلية معاقتحام غزه المباشر، ولكن حالة المواصلات لم تسمح بأى انحراف عن الطريق المستقيم المحاذى للبحر. وفى مايو عند ما حل الجنرال تشتوود محل السير تشارلزدوبل ترك له أمر تحسين فكرته والتفكير فى الخطة التى سنرى أن الجنرال اللنبي اتبعها ونفذها بتعديلات بسيطة .

أوضح طرق التقدّم إلى فلسطين كان طريق غزه مع السير قرب البحر، ويضمن هذا الطريق تعاون البحرية التام، ويستر خط المواصلات الرئيسي بطريق مباشر. وصعوبات المياه به أقل نسبيا ولكن دفاعات غزه أصبحت أقوى من أن تتكسر إلا بعملية حصار بطيئة كثيرة التكاليف ، والنجاح نفسه حتى لو تم لا يعطى الفرصة للقوّات الراكبة التى انحصر فيها تفوّق القوّات الإنجليزية على التركية . أما وسط الأتراك فقد كان قويا أيضا وكانت الأرض بين وادى غزه والمليح داخل المثلث الواقع بين تل الجمى ، وبير أفطيس والجاملى سهلا مكشوفا مسطحا تحكمه استحكامات الأتراك فى التبه شماله . وصعوبات المياه تزيد هناك زيادة عظيمة ، ولا يتيسر للقوّات الراكبة أن تظهر كل فائدتها . بقى شمال الأتراك الذى ارتكز على قاووقه على بعد ١٠ أميال تقريبا شمال غرب بئر السبع . فكانت الدفاعات هناك أضعف وأقل استكمالا ، وكانت طبيعة الأرض مناسبة للهجوم . وإذا ثبتت أى قوّة شمال غرب بئر السبع فإن الأرض التى هناك وهى أكثر ارتفاعا من التى بها الاستحكامات التركية تسمح بملاحظة هذه الاستحكامات . ويعطى الجانب المكشوف الفرصة للقوّات الراكبة .

كانت خطة الجنرال تشتوود أن يزيد طول الصيف من حملات النقل والتحسينات الإدارية التى تسمح بدفع قوّة إلى الأرض المرتفعة بين هريره وبئر السبع . وكان يعلم أنه لكى يمكن البدء فى مهاجمة شمال الأتراك لا بد من القيام بعملية أولية ضرورية للإستيلاء على بئر السبع التى وضع الأتراك بها قوّة منفصلة . وبالنسبة لقلة أرض المناورة الكافية بين بئر السبع وشمال الأتراك أصبح إمتلاك المياه عند بئر السبع ضروريا للعمليات التالية .

قبـل الجنرال اللنبي خطة الجنرال شتوود — بعد أن مرّ على الجبهة وفحصها فحصا دقيقا عقب توليه القيادة — وتقديره للقوات المطلوبة وهى سبعة فرق وثلاثة فرق راكبة [١] وبعـد أسبوعين من وصوله — أى فى ١٢ يوليه أبرق لحكومته موجزا باقتراحاته وطلباته من الجنود الإضافية وأهم بنودها هى :

(ا) فرقتان كاملتان .

(ب) مدفعية ميدان ليكمل بكل فرقة ٣٦ مدفعا عيار ١٨ رطلا و ١٢ هوتزر ٤٫٥ بوصه .

(ج) مدفعية رئاسة الفيلق بمعدّل ٤ مدافع عيار ٦٠ رطلا ، ٨ هوتزر متوسط (٦ بوصة أو ٨) و ٤ مدافع مضادة للطائرات لكل فرقة .

(د) خمسة أسراب طائرات .

(ه) بلوكا مهندسى رئاسة الجيش .

(و) الإشارة والوحدات الطبية الإضافية .

وقد قبلت كل هذه الطلبات عدا المدفعية فلم يمكن تكملتها كالمطلوب تماما . وأكملت الفرق باستحضار الفرقة ١٠ من سالونيكا وبتشكيل الفرقة ٧٥ من الأورط الإقليمية الإنجليزية والوحدات الهندية بمصر ، ألغيت القوّة الشرقية وأعيد تنظيم القوّات إلى ثلاث فيالق كالآتى :

فيلق الصحراء الراكب بقيادة الجنرال شوفل ويشمل فرق الأنزاك والإسترالية واليومنرى الراكبة .

الفيلق ٢٠ بقيادة الجنرال تشتوود ويشمل الفرق ١٠ ، ٥٣ ، ٧٤

» ٢١ » بالفين » ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٥

(١) قدّرت القوّات التركية فى ذلك الوقت ٦ فرق وفرقة فرسان المجموع ٤٦٠٠٠ بندقية و ٢٨٠٠ سيف و ٢٥٠ مدفع ماكينة و ٢٠٠ مدفع

أما القوات الآتية فكانت تابعة للرئاسة العامة وهى :

لواء الهجانة الإمبراطورى .

اللواء ٧ الراكب

لواء فرسان الخدمة الإمبراطورية .

اللواء ٢٠ الهندى[١] .

وتكون من الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكب (عدا فرقة) الجناح "الضارب" الذى يقوم بالضربة الأساسية ضد شمال الأتراك . ويقوم الفيلق ٢١ بهجوم ثانوى على غزة . وتستر فرقة الفرسان الثغرة فى الوسط بين الجناحين وطولها نحو ٢٠ ميلا وقد يظهر لأول وهلة أن الثغرة الواسعة بين الفيلقين خطيرة ولكن الحقيقة أنه بالنسبة لأن الأرض فى الوسط مسطحة ومكشوفة فإن أى عملية هجومية مضادة يقوم بها الأتراك لا ينتظر أن يكون لها إلا القليل من التأثير . وتنحصر صعوبات الخطة الحقيقية فى ثلاثة أشياء : الحملة ، المياه ، التكتم .

لم تكن هناك طرق مدكوكة صالحة جنوب الخط غزة — بئر السبع . وفى الحقيقة كانت الطرق معدومة . وهذا منع استعمال الحملات الميكانيكية بين رأس السكة الحديد والقوات التى أصبحت تعتمد فى تعييناتها على الحملة التى تجرها الخيول وعلى جمال الحملة[٢] وكانت القوة الضاربة ستشتغل على مسافة بعيدة من رأس السكة الحديد فالمسافة من الشلال إلى بئر السبع تزيد على ١٥ ميلا . وقد زاد العدد الكبير للحيوانات المطلوبة لنقل التعيينات من صعوبة المشكلة الأساسية الثانية وهى مشكلة المياه .

كانت الأرض بين وادى غزة و بير السبع و بين هريرة وشمال الأتراك من الوجهة العملية خالية خلوا تاما من المياه ، ومعنى ذلك أن كل قطرة ماء لازمة للأفراد

(١) أنظر آخر الباب لمعرفة تفاصيل ترتيب القوات للمعركة .

(٢) وجد أنه من الممكن فعلا استعمال الحملات الميكانيكية لحد محدود أثناء العمليات بين رأس السكة الحديد عند كرم و بين بئر السبع ولكن لم يكن يعتمد على ذلك عند وضع الخطة .

لا بد وأن تحمل وأن الحيوانات لا يمكن سقياها بين القواعد . وتظهر خطورة المسألة إذا علمنا أن المياه اللازمة للقوة الضاربة بلغت ٤٠٠,٠٠٠ جالون وأنه لا بد من حمل ربعها (يبلغ وزنه ٥٠٠ طن) .

وبعد أن فحصت مسألة الحملات والتعيينات فحصا دقيقا وجد أن العوامل الحاكمة (المسيطرة) هى الآتى :

إذا استعملت جميع الحملات الممكنة ومنها حملات الفرق الثلاث التى أمام غزه يمكن حمل ما يلزم للقوة الضاربة من مؤونة وذخيرة إلى بئر السبع ولمسافة مسيرة واحدة بعدها ولكن لا تحمل المياه اللازمة إلا للوصول لبئر السبع فقط ، ويتوقف تقدمها الثانى على موارد المياه عند بئر السبع . وبذلك أصبحت سرعة الإستيلاء عليها الركن الأساسى للخطة بأجمعها .

أما الصعوبة الثالثة الأساسية فكانت فى تجميع القوة الضاربة الكافية للتغلب على حامية بئر السبع بسرعة ثم لتهاجم شمال الأتراك بشرط أن يتم كل ذلك قبل أن يحذر الأتراك الخطة وعمل ما يقابلها أو تجنب الضربة . ولم يكن إخفاء التحضيرات التى ستعمل للتحرك إلى بئر السبع وشمال الأتراك إخفاء تاما بشىء ممكن ولكن كان الإنجليز يؤملون أن يعتقد الأتراك أن هذه الحركة إن هى إلا خدعة وأن الهجوم الأساسى سيوجه مرة أخرى ضدّ غزه ، ولذا فلن يكتفى بإظهار الإستعدادات أمام غزه بل ولا بد من القيام بهجوم فعلى على دفاعاتها .

ولذا فان موجز الخطة يمكن اجماله فى الآتى :

تجمع قوة ضاربة من أربعة فرق وفرقتى فرسان أمام شمال الأتراك وبئر السبع مع مراعاة التكتم قدر الإمكان ويصير الإستيلاء على بئر السبع بسرعة وامتلاك موارد المياه هناك ، ثم تقتحم دفاعات الجنب التركى الأيسر بكل سرعة ممكنة ويطوى الموقع التركى فى اتجاه غزه ويحتفظ بالفرسان على تمام الاستعداد للإندفاع نحو موارد المياه بوادى حسى لمنع انسحاب الأتراك من غزه أو مضايقتهم أثناءه . ويقوم الإنجليز طوال هذه العمليات بتوجيه التفات الاتراك إلى غزه بكل وسيلة ممكنة بما فيها ضربها بنيران المدفعية ضربا شديدا وتوجيه هجوم تثبيتى يعمل بعزم .

كان من أول قرارات الجنرال اللنبي تحريكه مركز رئاسته من القاهرة إلى معسكر أم الكلاب قرب رفح، وقد كان لهذا التحرك ولوجود الجنرال اللنبي بالجبهة دواما تأثير عظيم على روح الجيش المعنوى. وإن شخصيته المشجعة ووصول القوّات والمواد الجديدة — مما أكد صدق العزيمة على القيام بالمجهود الجديد — قد أزالتا بسرعة ما سببه الفشل السابق من تيبس فى الجيش. وقد كان أكثر المستلزمات فى هذه العملية صدق الإيمان بحسن نتيجة العملية الجديدة إذ أن الصيف كان مجهدا للأجسام، فقد كانت درجة الحرارة دواما ١١٠° ، ولم يكن هناك ظل ، وكانت رياح الخماسين اللافحة تهب من الصحراء من وقت لآخر أياما عديدة وتجعل الحياة لا تطاق، وكانت الجروح أو الخدوش تتعفن بسرعة فى هذا الجو وقد تألم الكثيرون من ذلك ، وكان هناك أيضا ما يسمى "حمى ذبابة الرمل" التى تسبب للمصاب تعبا وعرجا لعدة أيام ، وأعطت أيام الأجازة القليل من الراحة من عناء ميدان القتال . ولم يرى الكثير من الجنود بلادهم لمدة سنتين أو أكثر لبعد انجلترة ولندرة وسائل السفر . وحتى الأجازات للقاهرة كانت محدودة لشدة الضغط على السكة الحديدية .

كان أمام الإنجليز الكثير من العمل . فمن إنشاء وحدات جديدة وتسليحها ، إلى إدغام الوحدات الواصلة حديثا من الخارج بالتشكيلات الجديدة وتعويدها على الطقس ، إلى تكوين مستودعات للمؤن والذخائر بأنواعها . وكانت معظم أجزاء خطوط المواصلات فى حاجة إلى إعادة تكوينها لتكفى القوّة بعد زيادتها . أما فى الجبهة فكان كل جزء من تفاصيل الخطة يحتاج إلى بحث وإتقان ، والقوّات تتدرب لتقوم بدورها فى هذه الخطة ، ولم تسمح الظروف أثناء الصيف إلا بأقل ما يمكن من النشاط فى كل فروع الجيش ومصالحه .

أصبحت القنطرة ميناء ذات مراسى صالحة لرسو بواخر المحيط بها وتفريغ حمولتها . ونشأت هناك بالصحراء قاعدة عظيمة ذات مئات الأميال من الطرق المدكوكة والمعسكرات الكبيرة والمبانى والورش وأكداس المؤن والمخازن الكبيرة بأنواعها . وسار ازدواج الخط الحديدى إلى دير البلح بسرعة . ومد من فرع سكة حديد الشلال خط إلى الجاملى . وعملت الاستعدادات لسرعة مد السكة الحديدية لتتبع التقدّم ، ودرّبت لذلك الغرض جماعات خاصة من العمال . وزيد من مد

مواسيرالمياه وتحسينها ، وحفرت آبار جديدة وأنشئت مخازن للميـاه . وأصبحت الشلال القاعدة الأساسية للميـاه لمـا بها من الينابيع العديدة وبنى بهـا خزان يسع ٥٠٠٠٠٠ جالون من المياه جهز بحيث يمكن ملء ٢٠٠٠ فنطاس وتحميلها على الجمال فى ساعة واحدة . وحسنت المواصلات بالإشارة ورسمت خرائط للأرض .

بينما كانت كل هـذه التحسينات جارية فى أجزاء الجيش كانت وحداته تمرن تمرينا منظما لتتمكن من القيام بواجبها . واحتلت إحدى فرق الفرسان الثلاثة القطاع بين الشلال والجاملى وقامت بمراقبة الأراضى المتسعة بين الخطين على ذلك الجنب المكشوف . وفرقة أخرى بالأمداد عند عبسان الكبير تبق مستعدّة لتتحرك بعد إعلانهـا بنصف ساعة فقط . وقد اختبر[1] ذلك الاستعداد من وقت لآخر ليلا ونهـارا ، أما الفرقة الثالثة فبقيت بمعسكر التدريب على شاطئ البحر عنـد خان يونس . وكانت الفرق تتبادل مواقعها كل شهر ، وبذا قامت فرقتان بالتمرين بينما تزداد الثالثة صقلا بالتجارب العملية والعـمل الشاق فى الجبهة . وأصبح الجنود والخيول لائقين جاهزين قبل نهاية الخريف[2] .

لم يكن موجودا مدة الصيف من المشاة سوى خمسة فرق ، الفرق الأربعة التى اشتركت فى موقعة غزة الثانيـه (الفرق ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤) والفرقة ٦٠ التى وصلت للجبهة فى يوليـة أما الفرقة ١٠ فلم تصل إلا فى سبتمبر والفرقة ٧٥ فلم تكمل إلا فى أكتوبر . ولم يكن بالخط إلا فرقتان وجزء من الثالثة أما باقى الفرق فكانت بمعسكرات التـدريب قرب البحر ، وعملت طوال فصل الصيف غارات ومشروعات على خنادق العـدو عند غزه قامت بها القوات الموجودة بالخط . وكان يرمى من التدريب الجارى خلف الخط إلى الاسـتعداد للحروب الخفيفة

(١) احتفظت بطارية خيالى بالرقم القياسى اذا اصطفت بهيئة السير الكامل بالذخيرة والتعيينات والمخازن بعد استلامها الأمر بأحد عشر دقيقة فقط .

(٢) صرف لكل رجل فى العمليات التاليه زوج من القبور (شانطة) الضباطى لتوضع بها تعييناته لمدة ثلاثة أيام . وعلق بكل سرج مخلى عليقه بكل ١٩ رطلا من الحبوب (عليقة يومين) وتحمل عليقة اليوم الثالث بعربات حملة الأورطة ولم تحمل الكبابيدولاالبطاطين .

(المتنقله) وازدياد خفة الحركة . و بذلت عناية كبيرة لتبقى القوات صالحة للسير الطويل على الأراضى الثقيلة وعودت القوات أيضا على العمل بالقليل من المياه (تعيين محدود منه يعادل نصف جالون للجندى الواحد يوميا) .

أثناء ذلك كانت تفاصيل الخطة آخذة فى النضوج ، وانحصرت الصعوبة فى امكان خدع الأتراك فى المحل الموجه عليه الهجوم ، ولم يكن من السهل اخفاء التحضيرات الإدارية العظيمة اللازمة والتى تمكن قوة كبيرة من العمل عند بئر السبع أى على بعد ١٥ و ٢٠ ميلا من رأس السكة الحديدية ، وكان الأتراك متفوقين فى القوة الجوية جزءً كبيرا من الصيف . وسهل الجنب المكشوف اقتراب جواسيس الأتراك من المنطقة الواقعة خلف الخطوط الانجليزية وملاحظة توزيع القوات ومحلات المستودعات ، وكان معظم هؤلاء الجواسيس من الوطنيين أو فى ملابس وطنية ، وقد بلغت الجرأة بأحد الألمان منهم أن يدخل فى المعسكرات متنكرا كضابط انجليزى أو استرالى .

من المفيد ذكره الخطوات التى خطاها الانجليز لخدع الاتراك كان من الصعب إخفاء الاستعدادات أمام بئر السبع . ولكن إخفاء حجمها ومداها كان ممكنا . لذا بقيت معظم القوات أمام غزه الى اللحظة الأخيرة ثم حركت بسرعة و بتكتم للجنب الآخر . وقد أجل مدّ السكة الحديدية ومواسير المياه عبر وادى غزه الى "الأرض الحرة" حتى المراحل الأخيرة من البرنامج ، ولم يخصص لتكديس المخازن الا القليل من الأرض والوقت ، وأظهرت المخابرات الإنجليزية براعة تامة فى جعل الأتراك يعتقدون أن نشاط الإنجليز أمام بئر السبع وشمال الأتراك أن هو ألا خدعة يقصد منها سحب الاحتياط من غزه ، فمثلا عمل تدبير ماهر لتقع بيد الأتراك مذكرات " مفقودة " تخص أحد اركان الحرب تبين محتوياتها إستحالة تغلب القائد الإنجليزى على صعوبات المياه والحملات اللازمة لقوة كبيرة فى الأرض المجاورة لبئر السبع ، وكانت فرقة الفرسان الموجودة بالخط ترسل مرة كل نصف شهر طول الصيف قوات لتقوم بالاستطلاع حتى إقرب بئر السبع ، وكان لهذه الاستطلاعات فائدة مزدوجة فقد يظن الأتراك بسبب تكرارها أن مجهود الإنجليز فى تلك الجهة سيقتصر على التظاهر ، وكان الإنجليز يأملون أن يكون هجومهم

الحقيقى على بئر السبع مفاجئا للأتراك لسبب ظنهم أن ذلك الهجوم هو عملية استطلاع أخرى . وقد دفعت المخابرات الأنجليزية الأتراك بمهارة إلى الإعتقاد بذلك فى الوقت المناسب بأرسال إشارات لأسلكيــة رمزية (شفرية) بقصد أن يقرأها الأتراك ، وأما الفائدة الثانية فهى استعمال هــذه الاستطلاعات نصف الشهرية كستار يساعد القواد وأركان الحرب على الألمــام بالأرض الصعبة الواقعة بينهم وبين بئر السبع وعلى وضع التحضيرات اللازمة للاقتراب من دفاعات الأتراك ومهاجمتها .

انتفع بسيادة بريطانيا للبحار فى خدع الأتراك الذين كانوا بطبيعتهم قلقين على جنبهم الأيمن . ونشرت المخابرات الانجليزية اشاعات أوجدت شكا عند الأتراك فى أن الانجليز قد يحــاولون انزال قوّات للبر خلف غزه وتعمدوا أن ترى القطع البحرية الانجليزية وهى تسبر غور المياه قرب الشاطئ ، وجمع أسطول من القوارب الصــغيرة أمام البــلاح ايظن أنه جمع لنقل القوّات التى ستنزل برا . وأخيرا فان مراحل العملية المختلفة وضعت لها أوقات خاصة تخدع العدو . فكان "يوم الصفر" هو اليوم الذى تهاجم فيه بئر السبع ومع ذلك فكانت العملية تبدأ قبله "يوم الصفر" بأسبوع بضرب استحكامات غزة بالمدفعية ضربا يزيد شدة تدريجيا وتساعدها فيه مدافع البحرية ، وعند ما يتم تثبيت اهتمام الأتراك بغزه بهذه الوسائل تنقل القوّة الضاربة بسرعة وبطريقة سرية للجنب الثانى ، وبعد الاستيلاء على بئر ســبع وفى الفترة التى يتطور فيها الهجوم على شمال الأتراك يهاجم الفيلق ٢١ جزء من استحكامات غزه ، وكان الأمل أن يؤيد تسلسل الحوادث هذا اعتقاد الأتراك أن غزه هى موطن الخطر أو على الأقل أن يبقوا فى شك من الجزء الذى سيوجه عليه الهجوم الأساسى .

اولا وصــول أسراب جديدة وطائرات إنجليزية حديثــة حرمت الأتراك من تفوقهم الجوى الذى تمتعوا به حتى ذلك الوقت لقلت أهمية الوسائل السابق ذكرها فى خداع الأتراك . وبعــد اقتناع الطيارون الألمــان بأن الطائرات المقاتلة ماركة بريستول قد تفوقت عليهم فى السرعة والعمل لم يحاولوا الطيران إلا على ارتفاع عالى ، ثم اختفوا نهائيــا من الجو عند إبتداء العمليات .

كانت النية معقودة فى الأصل على عمل الهجوم فى سبتمبر لكى يتبقى أطول ما يمكن من الموسم المناسب للقتال وهو الفترة بين حرارة الصيف وأمطار الشتاء ، ولكن لتأخير وصول بعض الوحدات لم يكن من المتيسر تدريب القوات ولا تجهيز التحضيرات الإدارية إلا متأخرا فى أكتوبر ، ففضل الجنرال اللنبى أن يؤجل عملياته مع ما فى ذلك من مجازفة عن أن يقوم بالهجوم بخطة غير ناضجة وبقوات غير مناسبة. فقد تتحول سهول فيلستيا إلى بحر من الطين عقب أمطار نوفمبر وما قد يترتب عليه من تعطيل التقدم ، أو قد يقوم الأتراك — الذين اتضح لهم الخطر الذى يهددهم — بحركة مضادة تعيق الهجوم الانجليزى .

فى أوائل أكتوبر أبلغت وزارة الحربية الجنرال اللنبى أملها فى أن تخرج تركيا من الحرب بأجمعها وعرفته أنه فى الإمكان إرسال فرق أخرى إضافية إليه من فرنسا فى نوفمبر تكفى لجعل احتلال القدس شيئا مؤكدا . وكان المستر لويد جورج الخصب العقل يميل إلى سحب جزء من الاحتياط بالميدان الغربى مدة شهور الشتاء التى يصعب فيها إجراء أى عمليات جدية وإرساله إلى الأجواء الدافئة حيث يكتسب نصرا يعود بعده إلى فرنسا قبل ابتداء موسم العمليات أى فى الربيع. ولكن الجنرال اللنبى أوضح الصعوبات الإدارية لمثل ذلك المشروع ولذا صرف النظر عنه [1]

فى الوقت الذى كانت الخطة الإنجليزية تجهز فيه وتصقل كان الأتراك منقسمين مضطربين ، فكان تجمع الجيش السابع عند حلب بطيئا وأبطأ منه وصول الوحدات الألمانية . ففى أوائل سبتمبر وصل فيلق أسيا الى حيدر باشا وظل هناك حتى نوفمبر وحتى نهاية الصيف وجد من جيش البرق (يلدرم) المزعوم أربعة رئاسات (يلدرم ، الجيش السابع والفيلقان ٣ ، ١٥) ومع ذلك فلم يصل منه إلا ثلاثة فرق فقط . ونشأت شكوك جدية فى استحالة مشروع اسرجاع بغداد من الوجهة العملية فقد أظهرت الاستطلاعات التالية صعوبات غير منتظرة ، وكانت تجارب فون فولكنهاين وأركان حربه فى الوسائل التركية للتنظيم للحرب قد هزته وأغضبته ، ووردت أثناء ذلك عن الحالة بجبهة فلسطين أسوأ التقارير التى أوجدت شكوكا خطيرة فى إمكان

(١) أعيد البحث وفتش فى مشروع انزال قوات للبر بخليج اياس عند الاسكندرونة لكن صرف النظر عنه باعتبارة مشروعا غير عملى .

الوقوف أمام الهجوم الإنجليزى بلا تقويات . وظهر بوضوح أن الإصرار على مشروع بغداد لا قيمة له إلا إذا كانت جبهة فلسطين آمنة ، فسقوطها يعرض حلب والمواصلات للعراق. وعرض كل من الشخصيات الثلاثة القائدة — أنور ، جمال ، فون فولكنهاين — حلولا مختلفة للمسألة المطروحة للمناقشة للوصول إلى أنسب الطرق الواجب اتباعها ، فكان أنور راغبا كل الرغبة فى عدم ترك مشروع بغداد ولو مؤقتا وأصر على تنفيذه بأى ثمن بينما طالب جمال بالتقويات الضرورية يمكنه الثبات بجبهته وأظهر رغبته فى عدم تدخل الرئاسة الألمانية لجيش يلدرم فى منطقة نفوذه. أما فون فولكنهاين فقد رأى عن حق عدم الفائدة من مشروعات غير كاملة وذكر أن سلامة جبهة فلسطين التى زارها يومى ٩ ، ١٠ سبتمبر يجب أن تكون الاعتبار الأول واقترح نقل كل جيش يلدرم إلى فلسطين والقيام بعملية هجومية قبل الهجوم الإنجليزى ، ويظهر من ذلك أنه ما زال قاصرا عن فهم مدى طاقة خطوط المواصلات التركية واستحالة نقل أى قوة بسرعة من نقطة لأخرى كما تعود فى أوروبا (١) .

انتصر فون فولكنهاين فى النهاية ، ووقع على عاتق أنور عملا دقيقا هو تسليم العمليات بفلسطين الى جيش يلدرم دون أن يؤذى شعور جمال الذى كان ذا شهرة سياسية عظيمة ، فوجد حلا وسطا هو أن تكون جميع القوات جنوب القدس وغرب البحر الميت تابعة لجيش يلدرم مع احتفاظ جمال باشا بالقيادة فى سوريا والحجاز . ولم يكن هذا رأيا سديدا إذ أن مواصلات جيش يلدرم أصبحت تحت سيطرة جمال الذى كان شديد الغضب للانتقاص من سلطته ولم يكن يميل كل الميل لمساعدة مشروعات فون فولكنهاين بحماس .

استقر الرأى بعد ذلك القرار فى منتصف سبتمبر وابتدأ ترحيل الجيش السابع من حلب الى جبهة فلسطين (٢) وكون من القوات التركية التى كانت بفلسطين وقتئذ

(١) أنظر مثلا نقل الفيلق الألمانى التاسع على الجبهة الروسية فى أكتوبر وفى نوفمبر سنة ١٩١٤

(٢) أثناء ذلك تمكن عملاء المخابرات الانجليزية من نسف مستودعات الذخيرة لجيش يلدرم فى حيدر باشا فى ٦ سبتمبر

الجيش الثامن بقيادة كرس فون كرسنشتاين . وكان التصميم أن يتجمع الجيش السابع عند بير السبع ليضرب الجناح الانجليزى الأيمن ولكن ذلك جاء متأخرا كل التأخير إذ قبل أن يصل الجيش الى الميدان وجه اللنبي ضربته .

من ذلك يرى أن الخطر الذى كان يهدد بغداد قد زال قبل أن تطلق طلقة واحدة ، وابتدأ الهجوم الانجليزى فى الوقت الذى كانت خطط القائد العام التركى ناقصة غير كاملة وكان تنظيمه فى دور التطور والقائد نفسه وأركان حربه بالسكة الحديدية ما بين حلب والقدس (قام فون فولكنهاين فعلا من حلب فى نوفمبر) فكان هذا نصرا للاستراتجى الانجليزية .

شغلت المراحل الاخيرة لتوزيع القوات الانجليزية للهجوم على بئر السبع الاسبوع الأخير من أكتوبر ووعين يوم ٣١ أكتوبر كيوم الصفر ، وكان المطلوب أن يتجمع فيلق الصحراء الراكب والفيلق ٢٠ على الجناح الأيمن وأن تمد السكة الحديدية ومواسير المياه ومواصلات الاشارة نحو بئر السبع قدر الامكان وأن تحفر الآبار وتصلح عند النقطة التى اختيرت لتفتح القوة نهائيا عندها قبل تقدمها للهجوم . تركت كل هذه الأشياء حتى آخر لحظة ممكنة حتى لا يعرف الاتراك قوة الضربة التى ستهدد جنبهم الأيمن ، واختير يوم الصفر ليستعين الجنود بضوء القمر عند سيرهم ليلا وعملهم الليلى فى هذه المرحلة الأخيرة ، وصار الاقلال من التحركات النهارية قدر الامكان ، وأبقيت دوريات جوية مقاتلة بالجو لابقاء الطيارين الألمان الطفيليين عن بعد .

أجرى فتح فيلق الصحراء الراكبة والفيلق ٢٠ للتقدم على بئر سبع بسلسلة من الخطوات الجنبية للجنوب الشرقى ، والفرقة ٦٠ التى بالخط عند الجاملى تحركت الى بير العصنى والمعاقة وأبو غليون ، والفرقة ٧٤ التى كانت بالمنطقة خلف غزه حلت محلها فى الجاملى ثم تحركت فى ٢٩ أكتوبر الى كسيفه ، وتحركت الفرقة ١٠ الى الشلال ثم الجاملى ، وأثناء ذلك تحركت الفرقة الأخيرة من الفيلق وهى الفرقة ٥٣ من المنطقة خلف غزة الى الجنب الأيمن واتخذت يوم ٢٥ أكتوبر خط النقط الخارجية عند جوز القليب لتحمى انشاء السكة الحديدية التى كانت تمد بالاتساع العادى من الشلال الى كرم بطريق عماره وخط آخر ضيق من الجاملى الى كرم

أيضا ، وحمى لواء من الفرسان الفرقة ٥٣ التى بالنقط الخارجية باحتلاله موقعا على التبه الواطئة التالية لوادى حنافيش من البقار — النقطة ٧٢٠ — النقطة ٦٣٠ النقطة ٥٥٠.[1] ففى ٢٥ أكتوبر احتل اللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة الخنادق التى على هذه التبه وفى يوم ٢٧ أكتوبر عندما احتل اللواء الثامن الراكب (يومنرى لندن الذى وضع مؤقتا تحت قيادة الفرقة ٥٣) هذه الخنادق هاجمت الاتراك فجأة بقوة كبيرة فاستقتلت الفرسان فى الدفاع ببسالة . واجتاح الأتراك القوة عند النقطة ٧٢٠ وهم راكبون بعد أن فشلوا فى اقتحامهم مترجلين ، ولم يعش من هـذه الحامية الا ثلاثة فقط . أما القوة عند النقطة ٦٣٠ فقاومت حتى وصول اللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة والفرقة ٥٣ وعندها انسحب الاتراك ، وبعد هـذا الحادث احتلت الفرقة ٥٣ الخط البقار — وادى حنا فيش بدلا من القوات الراكبة .

أتم فيلق الصحراء الراكب (عدا فرقة اليومنرى) فتحه ليلتى ٢٨/٢٧ و٢٩/٢٨ اكتوبر . ففى الليلة الأولى سارت فرقة الانزاك الراكبة من عبسان الكبير الى الخلصه وسارت فى الثانية الى اسلوج ، وتحركت الفرقه الاسترالية الى الخلصة . وقبل ذلك بعدة أيام كان مهندسو الفيلق يحميهم لواء من الانزاك منهمكين فى حفر الآبار بهذين المحلين .

بقيت جميع المعسكرات غير المأهولة عند غزة قائمة وكانت تضاء ليلا . وكانت القوات تختفى نهارا بعناية . ولذا لم ير طيارو الاتراك أى تغيير فى أوضاع الانجليز بسبب اضطرارهم للطيران على ارتفاع عال لتفوق الطائرات الانجليزية عليهم فى السرعة ولوجود المدفعيـة المضادة للطائرات . وقـد علم الانجليز من أمر وقع بأيديهم فيما بعـد أن الاتراك حتى يوم ٢٩ اكتوبر كانوا يعتقدون أن ستة فرق انجليزية كانت أمام غزه وأنه لم يخش على بئر السبع الا من هجوم فرقة واحدة وفرقة فرسان واحدة[2] .

---

(١) لاتظهر احدى هذه النقط بالخرائط الحديثة اذ ظهر من عمليات المساحة التالية أن الارتفاعات غير حقيقية .

(٢) كان الاتراك كما جاء بالتاريخ الرسمى يدعون أنهم كانوا يعلمون أولا بأول كافة التحركات الانجليزية .

كان توزيع القوات الانجليزية المقاتلة ليلة ٣٠ اكتوبر سنة ١٧ كالآتى :

	المحل	بندقية	سيف	مدفع
الجناح الضارب				
فيلق الصحراء الراكب				
فرقة الانزاك (تشتوود)	اسلوج	—	٥٠٠٠	١٢
القرقةالاستراليةالراكبة (هودجسون)	الخلصة	—	٥٠٠٠	١٢
لواء الفرسان السابع (ملحق) ...	العصنى	—	١٠٠٠	٤
الفيلق ٢٠				
الفرقة ١٠ (لونجلى)	الشلال	‡٩٥٠٠	—	٤٨
« ٥٣ (موتت)	جوز القليب	١٢٠٠٠	—	٤٨
« ٦٠ (شى)	العصنى	١٢٠٠	—	٤٨
« ٧٤ (جيردود)	كسيفة	١٢٠٠٠	—	٤٨
لواء الهجانة الامبراطورى (ملحق)	الشلال	٥٠٠٠	—	٦
مدفعية الفيلق	—	—	—	١٦
اجمالى الجناح الضارب		٤٧٠٠٠	١١٠٠٠	٢٤٢
القوة الساترة بالوسط				
فرقة اليومنرى الراكبة (بارو) ...	عسلوج الكبير	—	٥٠٠٠	١٢
الجناح الأيسر أمام غزة				
الفيلق ٢١ :				
الفرقة ٥٢ (هيل)	أمام غزة	١١٠٠٠	—	٤٨
« ٥٤ (هير)	»	١١٥٠٠	—	٤٨
« ٧٥ (بالين)	الشيخ عباس	٩٥٠٠	—	٤٨
القوة المركبة (اللواء ٢٥ الهنـدى ولواء الخدمة الإمبراطورية ...	المندور	٣٠٠٠	١٠٠٠	٨
مدفعية الفيلق	—	—	—	٦٦
مجموع الفيلق ٢١	—	٣٥٠٠٠	١٠٠٠	٢١٨

المجموع النهائى للقوة : ٧٥ ألف بندقية و ١٧ ألف سيف و ٤٧٥ مدفعا .

‡ أصيبت هذه الفرقة بالملاريا بسالونيكا وكان بالاسبتالية من رجالها حتى ذلك الوقت ٣٠٠٠

أمضى الأتراك الصيف والخريف بجبهة فلسطين فى حالة سيئة ، فلم تستطع المواصلات نقل التعيينات المطلوبة ، وكان الجيش تنقصه المؤن والمهمات . وذكر فون كرسنشتاين أنه لم يكن بالإمكان تحريك الكثير من المدافع لقلة الحيوانات (الخيول) ، وكثرت الأمراض وحوادث الهروب ، وابتدأت دانات المدفعية الإنجليزية تحدث خسائر جمة ، ولم يصل للأتراك إلا القليل من الامداد بينما كان الإنجليز يزدادون كثيرا . وصلت الفرقتان التركيتان (٢٤ و ٢٦) فى أغسطس وسبتمبر . وعندما بدأت الموقعة كانت هناك إمدادات أخرى فى طريقها . ولم يبدأ تنفيذ التنظيم الجديد — الذى قسمت بموجبه القوة إلى الجيشين السابع والثامن ووضعها تحت قيادة فون فولكنهاين — إلا قبل الهجوم الإنجليزى . ولم تصل رئاسة الجيش السابع إلى حبرون إلا فى ٢٧ أكتوبر وكذلك فولكنهاين فإنه لم يصل إلى القدس من حلب إلا فى ٥ نوفمبر .

وعندما بدأ الهجوم على بئر السبع كانت القوات التركية الموجودة فعلا بالميدان مكونة من ٩ فرق وفرقة فرسان موزعة كالآتى :

الجيش الثامن (كرس فون كرسنشتاين) :

الفيلق ٢٢	— غزة	الفرقتان ٣ و ٥٣
« ٢٠	— الشريعة	الفرق ١٦ و ٢٦ و ٥٤
احتياط الجيش		الفرقتان ٧ و ١٩

الجيش السابع (فورى باشا) :

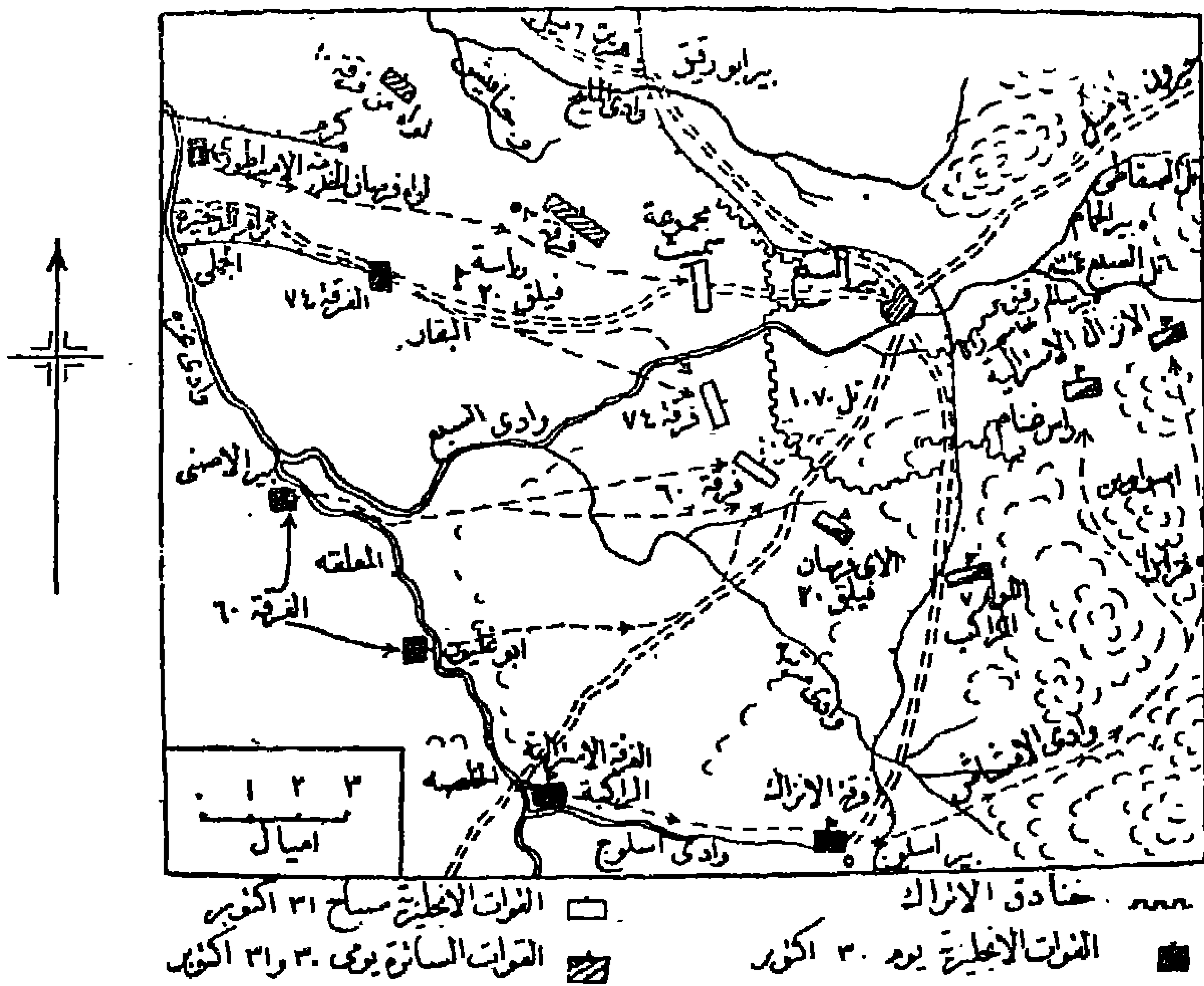
الفيلق ٣	— قاووقه	الفرقة ٢٤
«	— بئر السبع	« ٢٧ وفرقة الفرسان ٣

وكانت الفرقة ٢٠ مكونة من الفيلق ١٥ فى طريقها جنوبا من حلب وفى ٦ نوفمبر وصلت الرملة . وكانت قوة الفرق تتراوح بين ٤٥٠٠ و ٥٠٠٠ بندقية . وكان

إجمالى القوّات التركية بالخط فى نهاية أكتوبر ما بين ٤٠٠٠٠ و ٤٥٠٠٠ بندقية و ١٥٠٠ سيف و ٣٠٠ مدفع(١) وقد ظهر أن هذا التقرير مضبوط تقريبا .

الخريطة نمرة ٩

موقعة بير السبع



٢ — موقعة بئر السبع ، ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٧

تقع بلدة بئر السبع بسفح تلال يهوذا على وادى السبع الذى هو مصرف مياه المنحدرات الجنوبية لهذه التلال ويجرى غربا حتى يتصل بوادى غزه عند العصنى ، وحول البلدة من الشمال والشرق والجنوب تلال صخرية شديدة الانحدار ، أما من الغرب فالأرض مسطحة مكشوفة نسبيا وتصلها السكة الحديدية من هذا الاتجاه . ولم يكن للبلدة قبل الحرب إلا القليل من الأهمية التجارية أو غيرها . ولوفرة المياه

(١) قدر كرس القوّات التى تحت قيادته — أى الجيش الثامن فقط — بنحو ٢٤٠٠٠ بندقية و ٦٠٠ سيف و ٣٩٠ مدفع ماكينة و ٢٣١ مدفعا وإجمالى التعيينات ٧٢٠٠٠ واعترف أن عدد العساكر تقريبى لأنه مأخوذ من اليوميات التركية . أما عدد المدافع ومدافع الماكينة فمضبوط

بها أصبحت مركزا للتجارة لمنطقة قاحلة . وقد بذل الألمان بعض المجهود لتحسين مظهرها الخارجى فى نهاية سنة ١٩١٤ عند ما اختيرت قاعدة للعمليات التركية على القناة . فبنوا قليلا من المبانى الحديثة ليظهروا للأهالى جاه ألمانيا وقدرتها وفيما عدا ذلك بقيت البلدة كما هى أى قرية عربية كبيرة قذرة نوعا .

جهز الأتراك دفاعات حول بئر السبع فحفروا سلسلة من البلانقات المنظمة بأسلاك جيدة على خط المرتفعات البعيدة عن البلدة من الجنوب الغربى والجنوب بنحو ثلاثة أميال أو أربعة . انتخب موقع هذه الاستحكامات أحسن انتخاب وكانت تحكم ماجاورها ومنها يسهل ملاحظتها كل الملاحظة . وكانت متينة التحصين ذات ملاجئ وسواتر لأعلى الرأس و بعض الأسلاك . وعيبها قلة العمق إذ كانت فى معظم أجزائها خطا واحدا . أما فى شمال البلدة وشرقها فكانت الخنادق المحفورة أضعف و بلا أسلاك إذ لم يكن منتظرا أن يحصل أى هجوم من هذين الاتجاهين وكانت الأسلاك نادرة الوجود عند الأتراك .

طبقا لخطة فون فولكنهاين — التى مازالت سارية المفعول إسميا — كان على الجيش السابع أن يتجمع عند بئر السبع للقيام بالهجوم على يمين الانجليز . ولكنه حتى يوم الواقعة كان ناقصا مبعثرا . وكانت الحامية عند بئر السبع وحولها التابعة للفيلق الثالث (قيادة عصمت بك) مكونة من الفرقة ٢٧ (عربية) و بعض وحدات من الفرقتين ١٦ و ٢٤ وفرقة الفرسان ٣ ومجموعها ٣٥٠٠ — ٤٠٠٠ بندقية و ١٠٠٠ سيف و ٤ بطاريات و ٥٠ مدفع ماكينة .

إذا قيست هذه القوة بالقوة الانجليزية التى أرسلت إلى بئر السبع (فرقتى فرسان وثلاثة فرق مشاة) لظهر الفرق الهائل بينهما ، ولكن روح عملية بئر السبع كانت منحصرة فى سرعة الوصول إلى قرار فكانت الخطة مبنية بفكرة الوصول إلى نجاح ساحق سريع حتى لايتمكن الأتراك من تدمير الآبار التى كانت أهم ما بالمدينة .
وكانت خطة الهجوم كالآتى : تهاجم فرقتان (٦٠ و ٧٤)الاستحكامات جنوب البلدة بين طريق الخلصة — بئر السبع ووادى السبع و يواجه (يغطى) لواء الهجانة ومعه أورطتان من الفرقة ٥٣ الدفاعات شمال وادى السبع . أما باقى الفرقة فتستر الجناح الشمالى للهجوم وتمنع أى تدخل من القوات التركية قرب هريرة .

كان الغرض من هجوم المشاة تثبيت حامية بئر السبع الأساسية لتعطى الفرصة لفيلق الصحراء الراكب ، كما كان الأمل ، بالانقضاض على البلدة والآبار من أضعف جهاتها . وكان على فرقتى الفرسان أن تسيرا ليلا ٣٠ ميلا مبتدأتين من الخلصة وأسلوج وأن تكونا مبكرا فى الصباح بشرق البلدة و بعدأن تسدا طريق حبرون الذى يدخل البلدة من الشمال الشرقى كان عليهما أن تدخلا البلدة بسرعة قدر الإمكان وتحتلا الآبار وتقطعا خط تقهقر القوات المشتبكة غرب البلدة مع المشاة الانجليزية . وكان على اللواء السابع الراكب أن يقوم بعمليات ضد الدفاعات الجنوبية مشتغلا كحلقة اتصال بين المشاة والفرسان .

أرسلت جماعة مستقلة من عرب الحجاز — قويت بانجليز من جنود المدافع الماكينة ومدافع لويس — لتقوم بغارات فيما وراء الفرسان وتولى قيادتها اللفتنانت كولونيل نيوكومب من المهندسين ، وكانت تركب الجمال . قامت هذه الجماعة بحركة التفاف واسعة شرق القوات الراكبة وكلفت بقطع طريق حبرون شمالا قدر الإمكان لمضايقة أى إمدادات تركية تقوم من حبرون لبئر السبع أو أى قوات من حامية بئر السبع تحاول الهروب إلى حبرون . وقد ترتب على نشاط هذه القوة المنفصلة الصغيرة أشياء مهمة .

سارت ليلة ٣١/٣٠ أكتوبر قوة تبلغ ٤٠٠٠٠ من جميع الأسلحة لتتخذ محلاتها المعينة للهجوم على بئر السبع . واختيرت هذه الليلة لتستعين القوات بضوء القمر على سيرها الليلى وكان الطقس حارا رطبا راكد الهواء وغيمت سحابة كثيفة من التراب على القولات أثناء سيرها ، وكان على المشاة المهاجمة أن تكون بمحلاتها على بعد ٢٠٠٠ — ٢٥٠٠ ياردة من دفاعات العدو — قبل الساعة ٤ صباحا وكان عليها أن تسير نحو ثمانية أميال فوق أرض وعرة . وقد اقتيدت المشاة والمدافع وغيرها للموقعة بلا عقبة ويرجع ذلك إلى حسن الترتيبات التى وضعها أركان الحرب وإلى الاستطلاعات الأولية الوافية التى قام بها كافة القواد . وقبل الساعة ٣ صباحا كانت جميع جنود الفيلق بمواقعها .

كانت جبهة هجوم الفرقتين ٦٠، ٧٤ أكثر بقليل من ٥٠٠٠ ياردة موزعة بالتساوى بينهما ووضعت كل فرقة لوائين فى الأمام ، وكان أمام الفرقة ٦٠ دفاعات

أمامية خارجية قوية تقع على مرتفع حاكم، يسمى التل ١٠٧٠[1] يبعد نحو نصف ميل عن موقع الأتراك الأساسى . وعلاوة على أن هــذه الدفاعات تسد طريق تقدم الفرقة ٦٠ للخط الأساسى فانها تمنع بطاريات الفرقة ٧٤ من التقــدم للرمى المناسب لقطع موانع الأسلاك .

لذا كان اقتحام اللواء ١٨١ من الفرقة ٦٠ التل ١٠٧٠ هو المرحلة الأولى للهجوم ففى الساعة ٥ والدقيقة ٥٥ صباحا وقع التل تحت نيران المدفعية الشديدة، ولركود الهواء ركودا تاما فسرعان ماأحاطت بالتل سحابة كثيفة من التراب استحال بسببها على المدفعية مراقبة تأثير نيرانها . فوجد من المناسب إيقاف ضرب نار المدفعية ٣/٤ ساعة حتى يهبط الغبار ، وفى الساعة ٧ والدقيقة ٤٥ صباحا أعيد فتح النيران وقام اللواء الساعة ٨ ونصف صباحا باقتحام التل واحتلاله بخسائر قليلة .

كانت أورط المشاة الأخرى المهاجمة الموجودة فى أجزاء الجبهة الأخرى أثنــاء المرحلة الأولى تتقــدم نحو الخط التركى . وبمجرد سقوط التل ١٠٧٠ تقدمت البطاريات تحت نيران المدفعية الشديدة وابتدأت فى العمل على مرمى قطع موانع الأسلاك . واستمرت نيران المدفعية الانجليزية فى هــدم دفاعات الأتراك من الساعة ١٠ ونصف صباحا إلى الظهر وزحفت المشاة تدريجيا إلى أن أصبحت على مسافة الاقتحام . وكان الترتيب الموضوع أن قائد الفرقة ٦٠ هو الذى يقرر وقت الاقتحام عندما يرى أن موانع الأسلاك على جبهته أصبحت مقطوعة بدرجة مناسبة. تقرر أن تكون ساعة الاقتحام السـاعة ١٢ و ١٥ دقيقة ووافق على ذلك قائد الفرقة ٧٤ رغم أنه لم يكن متأكدا من درجة تقطع الأسلاك على جبهته . وقد ظهر فيما بعد أنها ما زالت متماسكة ولزم الحال قطعها باليد ، ومع ذلك فـلم يقابل هجمات المشـاة الانجليزية إلا القليل من الأتراك . تم احتلال الموقع بأجمعه بين طريق الخاصة ووادى السبع وتعزيزه قبل الساعة الواحدة والنصف مساء ووضع خط للنقط الخارجية على بعد ألفى ياردة من جهة الشرق .

وجه الالتفات بعد ذلك إلى الاستحكامات الواقعــة شمال الوادى التى كان لواء الهجانة يراقبها ومعه أورطتان من الفرقة ٥٣ ، وكانت خطة الفيلق إذا ظل الأتراك بمحلاتهم بعد سـقوط المواقع الواقعة جنوب الوادى أن يهاجمهم اللواء

(١) اسمى التل ١٠٦٩ بالخرائط الحديثة .

الاحتياط للفرقة ٧٤ متجها شمالا وفى نفس الوقت يهاجمهم هجوما أماميا لواء من الفرقة ٥٣ ، حصل تأخير فى التأكد من بقاء الأتراك بمحلاتهم أو تركهم اياها. وأخيرا تمكن لواء الفرقة ٧٤ فى الساعة السابعة مساء من احتلالها بعد مقاومة بسيطة جدا من قليل من الرماة .

بذا تم عمل المشاة ، ولم يكن مطلوبا منها مطاردة الأتراك إلى بئر السبع إذ أن احتلالها كان متروكا للفرسان ولذا فلم يذهب إليها من قوات الفيلق ٢٠ ليلة ٣١ إلا القليل من المهندسين لإصلاح المياه .

كانت خسائر الفيلق ٢٠ أقل من ١٢٠٠ وهى نسبة مدهشة جدا بالنسبة لأن الهجوم كان على ثلاثة أميال من المواقع الدفاعية المحصنة ولم تكن نيران المدفعية المساعدة عظيمة جدا بأى وجه من الوجوه إذ كان متوسط ما خص كل مدفع ٥٠ ياردة ، وبلغ عدد الاسرى ٥٠٠ تركى و ٦ مدافع ميدان .

قامت مقدمة فرقة الأنزاك الراكبة من اسلوج الساعة ٦ مساء يوم ٣٠ وسارت شمالا بشرق على درب حجرى وعر يسير فى مجرى وادى الامشاش، وقامت الفرقة الامبراطورية الراكبة من الخلصة إلى اسلوج تابعة فرقة الأنزاك ، وبعد أن سارتا نحو ١٥ ميلا انقسم القول فسار اللواء القائد من فرقة الأنزاك (اللواء الثانى الاسترالى الخفيف) الذى سيكون يمين الهجوم الى بئر عرارا ثم الى بير السقاطى على طريق حبرون مارا ببئر الحمام ولفت باقى فرقة الأنزاك والفرقة الامبراطورية لليسار وسارتا شمالا الى خاشم زانا — ٦ ميل شرق بئر السبع — مارة باسواوين. وهناك تنتهى الجبال وتنحدر الى السهل المكشوف والى وادى السبع المتسع الأجوف الذى يجرى للبلدة التى كانت منظورة واضحة . لم يحصل بالسير الليلى أى حادث سوى مقابلة داورية تركية دفعتها جانبا الجنود القائد للقول الأساسى عند ما كان جنوب اسواوين . ولم تكن قيادة القولات ليلا على تلك الأرض المجهولة غير المكتشفة لمسافة تتراوح بين ٢٥ ميلا و ٣٠ ميلا بلا عطل أو كارثة بأمر يخلو من المهارة .

عندالساعة ٨ صباح ٣١ أكتوبر وصلت فرقةالانزاك الراكبة ومعها اللواء الثانى من الفرسان الأسترالية الخفيفة على اليمين ولواء نيوزيلنده على اليسار الى الخط بئر حمام — بير سالم أبو رقيق . وكانت الأغراض التالية لهذين اللواءين هى تل السقطى وتل

السبع على التوالى . أما اللواء الثالث من الفرقة (اللواء الأول من الفرسان الاسترالية الخفيفة) فكان متبعا لواء نيوز يلنده ، سارت الفرقة الأسترالية الى خلف خاشم زانا كاحتياط للفيلق . أثناء ذلك تحرك اللواء السابع الراكب من الأصنى وفتح امام رأس غنام جنوب بئر السبع . وكان صوت قتال المشاة مسموعا عند مركز رئاسة الجنرال شوفل الموجود على تل كبير قرب خاشم زانا وكانت الدانات الانجليزية ترى عنده منفجرة على خط المرتفعات التى تقع عليها الدفاعات التركية ومنه أيضا كانت حركات الحامية التركية والفرسان الانجليزية منظورة بكل سهولة .

حوالى الساعة ٩ تقدمت فرقة الأنزاك الراكبة للقيام بالمرحلة التالية من برنامج فيلق الصحراء الراكب وهى امتلاك الدفاعات التركية شرق بئر السبع وشمال شرقها . وتقع هذه الدفاعات حول موقع قوى يقع على تل السبع الواقع شمال الوادى وعلى بعد ٣ أميال شرق البلدة. وطول هذا التل ٤٠٠ ياردة وعرضه ٢٠٠ وسطحه حجرى مسطح. وجنبه المجاور للوادى جرف والأجناب الأخرى شديدة الانحدار . حفرت به خنادق للشاة ومدافع الماكينة وكان ببعض أجزائه صفان منها كانت نيرانها تكتسح مجرى الوادى والسهل المكشوف وبذا كان اقتحامه بالفرسان عملا مخيفا فقد كانت الأرض المكشوفة تمنعهم من الاقتراب راكبين ، ولواء الفرسان وهو مترجل تعادل نيرانه نيران أورطة مشاة فقط ، وعلاوة على ذلك فالدانات الخفيفة التى تضربها مدفعية الفرسان لم يكن لها إلا القليل من التأثير على مدافع الماكينة المحمية كل الحماية وهى على التل . وقد سبق لهؤلاء الفرسان أن حلوا مسائل مشابهة لهذه عند رفح المغضبة ولكن الحل فى هاتين العمليتين احتاج الى الوقت والوقت فى هذه العملية ذو أهمية .

تقدم لواء اليمين — الثانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة — من بئر الحمام قاصدا تل السقاطى على طريق حبرون سائرا بأسرع خطوة ممكنة ، وبمجرد وصوله للسهل وقع تحت نيران الشرابنل التى أطلقتها المدفعية التركية شمال الطريق ثم وقع أيضا تحت نيران المدافع الماكينة والمشاة . سار اللواء بسير المضاعف وبذا نجا من الخسائر الجمة بفضل سرعته . وأرغم على الترجل قبل وصوله الطريق ثم على التقدم مشاة (مترجلا) بعد ستر الخيول وبذا أصبح التقدم بطيئا . ولم يتم احتلال اللواء لتل السقاطى والآبار القريبة منه ولطريق جبرون الا الساعة الواحدة مساء بعد قتال عنيف وبقى هناك باقى اليوم لحماية الجنب الأيمن للفيلق .

أثناء ذلك كان تل السبع مانعا منيعا للواء نيوزيلنده . تقدم هـذا اللواء بعد الساعة ٩ صباحا شمال وادى السبع بفكرة تتطوق التل من الشرق والشمال ، وكان ألاى كانتربرى على اليمين وألاى أوكلند على الشمال وكانت تسترهما بطارية سومرست على مرمى قدره ٣٠٠٠ ياردة . تقدّمت القوّة راكبة الى أن أصبحت على بعـد نصف ميل من التل وهنـا أصبحت نيران مدافع المـاكينة شديدة فترجلت القوّة وكانت متقدّمة ياردة فأخرى . وفى الساعة ١١ صباحا قوى الجنرال شوفل هذه القوّة بالآلاى الثالث من الفرسان الأسترالية الخفيفة من لواء الاحتياط ومعه بطارية انفرنس ثم بعد ذلك أمدها بالآلات الثانى من الفرسان الاسترالية الخفيفة سار هذين الآلايين بسير المضاعف بحذاء شاطئ الوادى الجنوبى ثم اخترقا السهل المكشوف حتى أصبحا مبتعدين عن غرضهما بمسافة ١٥٠٠ ياردة ثم ترجلت الجنود وتقدمت على جنب التل الجنوبى تقدّمت بطاريتا سومرست وانفرنس بمهارة وبسالة وابتدأتا فى العمل على بعـد من ١٥٠٠ ياردة الى ٢٥٠٠ فقط من التل لكى تتغلبا على مدافع المـاكينة التركية . وهكذا كان القتال بالنيران حاميا وأثناءه اقترب اللواءان تدريجيـا من التل اللواء الأسترالى من الجنوب والنيوزيلندى من الشرق وخفف تقدّم الأستراليين من الضغط على النيوزيلنديين فتمكن هذا فى الساعة ٢ و ٤٠ دقيقة بعد الظهر من اقتحام الموقع التركى بعنف وكان آلاى أوكلاند قائدا . وفى الساعة ٣ تم سـقوط تل السبع بيد الانجليز وكان الجنرال شوفل لقلقه من التأخير الذى حل بخطته لمقاومة الأتراك الطويلة قد أرسـل قبيل الساعة ٣ اللواء الثالث من الفرسان الأسترالية الخفيفة وبطاريتين من الفرقة الأسترالية لتشتغل على يمين لواء نيوزيلنده . ولكن التل سقط قبل أن يكون لمساعدتهم أى تأثير .

فى الساعة ٣ و ٣٠ دقيقة أرسل اللواء الثالث من الفرسان الأسترالية الخفيفة وعلى يساره اللواء الأول ضدّ أغراض شمال بئر السبع مباشرة لعزل البلدة واتمـام احتلالها ورغم ذلك فقد اتضح للجنرال شوفل أن النجاح التدرجى لبطئه لايساعده على تنفيذ الأوامر التى لديه الخـاصة بالاستيلاء على بئر السبع وآبارها قبل حلول الظلام. وكان الجنرال اللنبي قد كرر هذه الأوامر بعد الظهر ؛ ولذا رأى أن يترك هذه الطريقة وأن يجـازف ، وكان معه لواءان من الفرقة الأسترالية كاحتياط فأمر أحدهمـا — اللواء الرابع من الفرسان الأسترالية الخفيفة قيادة البريجـادير جنرال جرنت بالقيام بالهجوم وهو راكب على المدينة .

كان ذلك اللواء بالاحتياط عنـد ذيل التل قرب خاشم زانا . وأقرب الطرق من محـله لبئر السبع يقع على منحدر طويل خفيف الميل طوله أربعة أميـال من الأرض المكشوفة الصالحة للسير المضاعف . وقد أظهرت الصور الفوتغرافيـة الجوية أن الأتراك قد حفروا خنادق بعرض السهل لستر مدخل البلدة من ذلك الجنب . وأظهرت هـذه الصور أن الخنادق خالية من الأسلاك ورغم ذلك فقد كانت مختفية جيدا عن الملاحظة الأرضية ، ولم يمكن معرفة محلها بدقة ولا التأكد من قوتها . ولم يبق من ساعات النهار إلا ساعة واحدة . كان لواء جرانت مبعثرا فأحد آلاياته كان بخدمة النقط الخارجية ، وكانت الخيول غير مسرجة . ولذلك لم يبتدئ اللواء فى التحرك إلا الساعة الرابعة ونصف مساء سائرا بسير الغـار ثم فتح الآبين فى الجبهة — الرابع من الفرسان الاسترالية الخفيفة على اليمين والثـانى عشر على اليسار — وسار كل آلاى فى ثلاثة خطوط متوالية بكل خط أورطة والمسافة بين الأورطة والأخرى ٣٠٠ ياردة ، وكانت الفواصل بين أفراد الأورطة ما بين ٤ خطوات و٥ ولم يكن الجنود مسلحين بسيوف فاكتفوا بقبض السونكيات بأيديهم ، وكان الآلاى الأخيروهو الحادى عشر فى الاحتياط ، سارت أورطة مدافع الماكينة الخيالى بأجمعها خلف آلاى اليسار القائد وعلى يساره إذ كان معروفا أن الخنادق التركية موجودة على الجنب الايسر فقط. وساعدت الهجوم بطاريتان على مرمى ٢٥٠٠ ياردة وقدمتا مساعدة قيمة بالاشتباك ببعض مدافع المـاكينة التركية على الجنب الأيسر .

أمر اللواء الباقى من الفرقة الاسترالية وهو اللواء الخامس الراكب بأن يتبع لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الرابع كامداد . وأمر كذلك اللواء السابع الراكب الذى كان موجودا جنوب المدينة بأن يتقدم وهو راكب. علاوة على ذلك كان اللواءان الأول والثالث من الفرسان الأسترالية الخفيفة كما سبق متحركين كالأوامر السابقة قاصدين الخط شمال بئر السبع و بذا سارت فرقتان من الفرسان تقريبا على البلدة وكان اللواء الرابع فى الأمام كسن الحربة ، ولذا فلا بد وأن تكون الضربة سريعة قاتلة .

فتحت المدفعية التركية نيرانها على خطوط الفرسان عند ظهورها بالوادى ولكن الاستراليون اكتسحوها بخسائر طفيفة لسرعة حركتهم ومرونة تشكيلاتهم وعندئذ فتحت بعض مدافع المـاكينة نيرانها من الجنب الأيسر وسببت خسائر حتى أسكتتها

المدافع الانجليزية مستعينه باللهب على معرفة محلاتها، تلت ذلك نيران المشاة التركية السريعة المستمرة من الخنادق التى كانت فى الواجهة . سقط بسببها أول الأمر عددمن الخيول والجنود بالخطوط الأمامية ، ورغم هـذه الخسائر استمرت الخطوط على السير مضاعفا فاصبحت النيران طائشة ومن مئات الياردات الأخيرة أصبحت عديمة الخطر . وقد ظهر فيما بعد أن الأتراك اذهلتهم سرعة الاقتحام ففاتهم تصحيح أو أحكام النشانكاهات، اذ كانت معظم البنادق محكمـة على ٨٠٠ ياردة وكذلك فشلت المدفعية فى انقاص مرماها بالسرعة المناسبة ولذ مرت معظم داناتهـا فوق الرأس .

عبرت القرسان القائدة خطين من الخنادق بالسير المضاعف ثم ترجل معظمهم ونظفوا الخنادق بالسونكيات وسار الباقون الى بئر السبع مارين بمدفعية الأتراك وحملاتهم وقولاتهم المتقهقرة. وقد سبب هذا الاقتحام لهم تغييرا فجائيا فى حظهم فقد كانوا يعتمدون على الظلام المنسدل وعلى مقاومة الدفاعات التى مازالت تقاوم بشرق البلدة وشمالها لكى ينظمو انسحابهم بعد تمام تخريب الآبار ولكنهم بحلول الظلام انحل نظامهم أمام الاستراليين المقتحمين الذين أسرو معظمهم . وقد أسر فيلق الصحراء فى ذلك اليوم نحو ١٥٠٠ أسـير و ٩ مدافع أسر معظمهم اثناء الاقتحام وبعده . وقد نجا عصمت بك قائد الفيلق التركى قبل ذلك بدقائق قليلة .

كانت خسائر جرانت فى ذلك الاقتحام خفيفة لدرجة مدهشة، فقد قتل ٣٢ وجرح ٣٢ ومعظم هذه الخسائر حصلت فى القتال المتلاحم عند الخنادق بعد ترجلهم .

كانت مفاجأة الأتراك عنـد بئر السـبع تامة ولم تكن فى الهجوم نفسه بل فى قوته واتجاهه غير المنتظرين . فقد كانوا لسبب ضرب غزه بنيران المدفعية المتزايدة تدريجيا منذ يوم ٢٧ أكتوبر ولظهور بوارج الحلفاء يعتقدون أن الهجوم الأساسى سيوجه كالمعتاد على يمينهم وكانو لاينتظرون إلاهجوما مخادعا على بئر السبع بفرقة وفرقه فرسان . وبذا نجحت خطة اللنبى لخدع الأتراك نجاحا تاما . وترتب على المفاجأة (أولا) أن الأتراك عند هريره لم يحاولوا التدخل فى القتال عند بئر السبع ولم يضايقوا حرس الجنب الأيسر الانجليزى و (ثانيا) فقدت حامية بئر السبع شجاعتها عندما تحققت من مقـدار القوة المشتغله ضدهم المجهولة كل الجهل وعجزت عن الانتفاع بموقعها الحصين كل الانتفاع . فمن المؤكد أن معظم المشاة التركية لم

تقاتل باستماته كالمعتاد ، وكان الجزء الأساسى من الحامية وحدة عربية (الفرقة ٢٧) وهؤلاء لا يعادلون أتراك الأناضول . وقد أجادت المدفعية التركية فى ضربها .

رغم ضعف المقاومة لا ينسى ماقامت به مدفعية الفيلق ٢٠ ومشاته . وقد سبق وصف قوة الموقع التركى . تركبت المدفعية التى ساعدت الفرقتين ٦٠و٧٤ من ٦٧ مدفعا عيار ١٨ رطلا و ٢٤ هوتزرا قطر ٤ ونصف بوصة و ٨ مدافع عيار ٦٠رطلا و ٨ هوتزر قطر ٦ بوصة المجموع ١١٦ مدفعا ، كانت كلها قطعا خفيفه عدا ١٦ مدفعا . وكان مطلوبا منها الضرب على واجهة تزيد عن ٥٠٠٠ ياردة وللضرب على مدفعية الأتراك . وهذه هى نفس النسبة التى تخصص لها عادة المدفعية فى التنظيم الحديث لفيلق من فرقتين يشتغل بعمليات حربية متنقلة ، وهى ضئيلة جدا إذا قورنت بالنسبة لفرنسا ، فقد كانت العادة منذ سنة ١٩١٦ أن يخصص مدفع لكل عشرة ياردات من جبهة الهجوم . أما المشاة فقد كان منهم من الجنود الذين اعتادوا الجو الكاملى التدريب نسبة أكبر من النسبة الممكنة بفرنسا حيث كانت الخسائر الشديدة تسبب دوام سد النقص المترتب عنها . أضف الى ذلك أنه كان من الممكن تدريب الجنود تدريبا خاصا للموقعة لمدة طويلة . لهذه الأسباب فإن الهجوم على بئر السبع ونتائجه يستحقان الدرس بعناية ، فقد أظهرا أن هجوم القوات المدربة على المواقع المحصنة شىء أكثر إمكانا مما كان يظن بعد تجارب الميدان الغربى .

إن الصعوبات التى لاقتها القوات الراكبة فى تغلبها على مقاومة تل السبع تؤيد دروس عمليتى رفح والمغضبة التى يفهم منها الحاجة إلى مدفعية إضافية ذات دانات ثقيلة تكمل نيران الفرسان ، ولو أن الدبابات استعملت فى هذه العملية لأفادت القوات الراكبة أعظم فائدة ولأمكن بسببها الاستيلاء على بئر السبع بسرعة وبخسائر أقل. وظهر بوضوح تعرض القوات الراكبة فقد كانت معظم خسائر فيلق الصحراء متسببة من الهجوم الجوى ، ولهذا السبب كانت أورط لواء جرانت مبعثرة لتتجنب الملاحظة الجوية . واستغرق جمعها للاقتحام النهائى وقتا طويلا .

كان ذلك الاقتحام عملا كله بسالة يستحق كل المدح الذى قيل فيه ، وقد برهن مرة أخرى على ما لسرعة التحرك من الفائدة العظيمة فى الوقاية من النيران ،

وقد يقال أن ضرب نار الأتراك كان رديئا ولكنه لم يكن أسوأ من ضرب الكثير من غيرهم فى حالات مشابهة ، وأن تصحيح أحكام النشانكاهات بهدوء و إنتاج تأثير جيد للنيران عند ما تكون الفرسان مقتحمة تحتاج إلى وحدات راقية التدريب جيدة الضبط والربط . ويلاحظ أن سحب التراب التى أثارتها أورط الفرسان القائدة كانت فى هـذا الاقتحام كما فى الاقتحامات الأخرى التى حصلت بهذه الحملات — بمثابة ستار لتشكيلات الوحدات الخلفية وتحركاتها ومنعت العدو من تقدير المسافة اليهـا تقديرا مضبوطا ومن الضرب عليهـا . وأكثر لحظات الاقتحام خطورة فى العـادة هى اللحظة التى تصل فيهـا القوة المقتحمة لغرضها وتفقد قوتها الدافعة ، ولذا وقعت معظم خسائر الاستراليين فى القتال حول الخنادق عندما وقفت الجنود وترجلت ، ولحسن الحظ كان معظم الأتراك قد فقدوا قواهم المعنوية بسبب الهجوم الفجائى وسلموا أنفسهم فى الحال .

كانت نتائج الاقتحام المعنوية أهم بكثير من المـادية ، فقد كانت الخطوات القائـدة لجميع الحملة العسكرية وألهمت اللواء الذى قام به الاعتداد العظيم بالنفس ، وأوجد بباقى القوات الراكبة روح الغيرة والتنافس ولا جدال فى أن مقدرة الفرسان على الوصول لمواقع أعدائهم مشاة قد أثرت على أعصاب الأتراك .

٣ — كسر الخط التركى

كان الاستيلاء على بئر السبع وآبارهـا سليمة وهلاك الفرقة ٢٧ الراكبة فاتحة حسنة لعمليات الجنرال اللنبى . ولكن الأزمة الحقيقية انحصرت فى الأيام القليلة التالية ، وقد سبق القول إن الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكب طلب منهما أن يضربا الموقع التركى الرئيسى وجنبه الأيسر بأقل تأخير ممكن بعد احتلال بئر السبع قبل أن يتمكن الأتراك من تقوية جناحهم المهدد أو سحبه ، وكان المتوقع أن تنظيم مياه بئر السـبع ، واستطلاع دفاعات الأتراك التى لم تكن قد نظرت حتى ذلك الوقت إلا من الجو ، وتحريك القوات والمدافع لمحلاتها ، وإتمـام الاستعداد للهجوم ، تحتاج إلى فترة ضرورية تقدر بثمـانية وأربعين ساعة على الأقل . وقد جاء بالخطة أن هـذه الفترة تملأ بهجوم الفيلق ٢١ على غزة لاستلفات نظر القيادة التركية العليا ، وقد ترك تحديد وقت هذا الهجوم حتى الاستيلاء على بئر السبع . وكان

المفروض أن يسبق الهجوم الأساسى على شمال الأتراك بما يتراوح بين ٢٤ ساعة و ٤٨ إذ أن تاريخ هذا الهجوم الأخير كان متوقفا كل التوقف على نجاح تنظيم المياه فى بئر السبع ولذا كان أول مايقرر هو تحديد وقت الهجوم الرئيسى على شمال الأتراك .

كانت أولى التقارير عن المياه جيدة، فهم منها أن الكميات المطلوبة ستتيسر بعد وقت قصير، وكان من الضرورى أن يكون هناك احتياط علاوة على الكميات المطلوبة يوميا حتى تتمكن القوة الضاربة من التقدم من بئر السبع بعد سقيا جميع الحيوانات و بعد أخذ تعيين يوم واحد من المياه .

رغم أن جميع آبار البلدة كانت قد جهزت للنسف إلا أن الأتراك فوجئوا ودفعوا بسرعة لم تيسر لهم معها أن يشعلوا إلا قليل من العبوات وهذا ما دعى القائد العام إلى الأمل فى عدم وقوع ما يعطل الحصول على الكميات اللازمة ، ولذا صمم فى صباح اليوم التالى للموقعة على أن يقع الهجوم على شمال الأتراك يوم ٣ نوفمبر أو مبكرا فى صباح يوم ٤ منه ، وحدد ليلة ١/٢ منه لهجوم الفيلق ٢١ على غزة بناء على ذلك .

وقعت جبهة الهجوم المنتخبة على التلال الرملية المجاورة للشاطئ وعلى أشجار التين الشوكى المنيعة التى تمنع دخول غزه من الجنوب . يتراوح ارتفاع هذه التلال بين مائة قدم وألف و ربعمائة قدم ، و رمالها ثقيلة غير متماسكة تجعل تحرك المشاة بطيئا جدا وهذا ما دعى إلى عمل الهجوم تحت ستار الظلام ، وكانت دفاعات الأتراك قوية ذات عمق كبير وأسلاك جيدة ، وكانت الخنادق ذات تكسية جيدة من أكياس الرمل والخشب . امتدت جبهة الهجوم إلى أكثر من ٥٠٠٠ ياردة من تل الشمسية للبحر ، و يتراوح العمق المطلوب اختراقه ما بين ١٠٠٠ ياردة فى اليمين عند تل الشمسية وما يزيد على ٣٠٠٠ ياردة فى أقصى اليسار حيث كان الغرض الشيخ حسن الذى يرى من عنده مرسى مدينة غزة ، وكان الخط الإنجليزى يبعد عن التركى ٥٠٠ ياردة عند تل الشمسية وألف ياردة فى اليسار .

بدئ فى ضرب غزة بنيران المدفعية يوم ٢٧ أكتوبر واستمر الضرب فى شدة متزايدة، وكانت مدفعية الفيلق ٢١ مركبة من ٦٦ مدفعا متوسطا (١٦ مدفعا عيار ٦٠

رطل ، ٣٨ هوتزر قطر ٦ بوصة و ١٠ هوتزر قطر ٨ بوصة) ومدفعين قطر ٦ بوصة ، و ١٠٨ مدفع عيار ١٨ رطلا ، و ٣٦ هوتزر قطر ٤,٥ بوصة (مدفعية الفرق ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٥) و ٨ مدافع جبليه — المجموع ٢١٨ قطعة ، وعلاوة على

الهجوم على غــزا
يومى ١ و ٢ نوفمبر

الخط الانجليزى
الخنادق التركية
ياردات

الخريطة نمرة ١٠

ذلك قام طراد وأربع بوارج وقطع أخرى بحرية بضرب الأغراض المهمة خلف الخط التركى وقامت الفرقة ٥٤ (قيادة الماجور جنرال هير) ومعها اللواء ١٥٦ من الفرقة ٥٢ بالهجوم ، وتم فى مرحلتين .

المرحلة الأولى ، وبدأت الساعة ١١ يوم أول نوفمبر وشملت اجتياح تل الشمسية الذى كان يبرز عنده الخط التركى مهددا جنب المتقدمين الى الخنادق التركية الواقعة فى الغرب . تم اقتحام التل بنجاح بالأورطة السابعة البنادق الاسكتلندية التابعة للواء ١٥٦ فى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ مساء ، وأمر بفترة سكون مدتها أربعة ساعات بين المرحلتين ليستقر الأتراك بعد الهجوم على تل الشمسية وليعتقدوا بأنها عملية منفصلة . وقد كان فى ذلك ما فيه من المجازفة ، ولكن ضمان سلامة تل الشمسية كان ضروريا لأى تقدم آخر يعمل غربه ، ورؤى أن فترة الأربعة ساعات كافية ليعتقد الأتراك أنه سوف لا يقع هجوم آخر تلك الليلة . وقد صح ما توقعه الانجليز ، واستمر نشاط المدفعية التركية عدة ساعات بعد سقوط تل الشمسية وأخيرا سكنت قبيل الساعة ٣ صباحا وهى الساعة المحددة للمرحلة الثانية . وفى الساعة ٣ عمل الهجوم الرئيسى تحت ستر نيران المدفعية الحامية التى فتحت نيرانها عشرة دقائق ، وقد ساعدت ستة دبابات مساعدة قيمة رغم عدم صلاحية الأرض لها . وتم الاستيلاء على أقصى الأغراض وهو الشيخ حسن فى الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ صباحا . وقد وصلت القوات الى الأغراض النهائية المحددة لها الا فى الوسط حيث ظلت بعض الخنادق الخلفية التركية تقاوم اقتحام اللواء ١٦٣ وكان الأتراك قد جهزوا فى بعض أجزاء هذه الجبهة ألغام أرضية تنفجر بالتماس أهلكت الموجة الأمامية للأورط المقتحمة .

أسر حوالى ٥٥٠ أسيرو ٣ مدافع ، ٣٦ مدفع ما كينة ودفن بالميدان فيما بعد ١٠٠٠ تركى ، وكانت خسائر الفيلق ٢١ كبيرة وقد بلغ عدد القتلى ٢٥٠ والمفقودين ٣٥٠ والجرحى ٢٠٠٠

كانت خطة الهجوم محكمة ، وتم الهجوم نفسه ببسالة ونفذ الغرض منه وهو تثبيت حامية غزه وإرغام الأتراك على تقويتها ، وطوق احتلال الشيخ حسن جنب جميع استحكامات المدينة وهو الموقع التركى تهديدا جديا ، وكانت خسائر الأتراك أثناء نيران المدفعية والهجوم كبيرة لدرجة أرغمتهم على سحب فرقة من احتياطهم وارسالها لغزه .

نرجع الآن إلى الجناح الأيمن . لم يكن من الممكن قبل الاستيلاء على بئر السبع إلا تقرير موجز عمليات الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكب التالية ، وكان تصميم

الجنرال تشوود أن يتقدّم بفرق فيلقه بنفس النظام المتبع عند بئر السبع إن كان ذلك ممكنا . فكان على الفرقة ٥٣ فى الشمال أن تقوم بهجوم أمامى على مجموعة استحكامات قاووقه بينما خصص أقصى يسار المواقع التركية للفرقتين ٦٠ ، ٧٤ (الثانية على يسار الأولى) وكان عليهما مهاجمة جنب هذه المواقع ومؤخرتها متحركتين إلى تل الشريعة . وتبقى الفرقة ١٠ بالاحتياط . وفى الشمال (البحرى) أمر فيلق الصحراء الراكب بالتقدّم على تل النجيل ، وكان المعتقد أن به مياه كافية . وكان على لواء الهجانة أن يحمى جنب الفيلق ٢٠ وأن يصل بينه و بين الفرسان . ما سبق هو مجمل خطة القوّاد الانجليز للرحلة الثانية للعمليات ضد الجناح التركى الأيسر ، وهذا لا يمنع من تعديلها طبقا للظروف .

فمثلا كان المتوقع أن لواء الهجانة والقوات الراكبة الأخرى قد تحتاج إلى مساعدة المشاة عند قيامها بعملها وهو وقاية يمين الفيلق ٢٠ ، وقد اقتنع الجنرال تشتوود بعد دراسة بسيطة للأرض بضرورة وضع قوة قوية على التلال شمال بئر السبع لتحمى الجنب الأيمن للهجوم على الشريعة ، ولذا فنى يوم أول نوفمبر أى اليوم التالى للاستيلاء على بئر السبع تحركت الفرقة ٥٣ وعلى يمينها لواء الهجانة إلى طوال أبو شروال التى تبعد ٦ أميال شمال بئر السبع وتحركت الفرقة ١٠ من الشلال لتحل محل الفرقة ٥٣ عند أبو رقيق .

أما فيلق الصحراء فقد تحركت فرقة الأنزاك فى أول نوفمبر بثبات شمالا بين طريق حبرون وطوال أبو شروال بأمل العثور على ماء كافى بهذه المنطقة لتخفيف الضغط عن بئر السبع حيث بقيت الفرقة الاسترالية بالاحتياط . أما فرقة اليومنرى الراكبة فبقيت عند الشلال لمراقبة الوسط .

توقفت الحوادث التى وقعت على الجنب الأيمن فى الأيام التالية على شيئين ، أولها تصميم الأتراك على استخدام احتياطهم فى هجوم مضاد شمال بئر السبع ، وثانيهما أن كمية المياه ببئر السبع وحولها لم تكن كما توقع القواد الانجليز أول الأمر .

أمرت هيئة أركان حرب جيش يلدرم بمجرد سماعها بنتيجة القتال عند بير السبع أن يستعيدها الجيش السابع يساعده الجيش الثامن اذا لزم ، ولم يكن لدى أركان حرب يلدرم أو الجيش السابع أى فكرة عن حقيقة الموقف لأنهما وصلا حديثا

للجبهة . أما كرس فون كرسنشتاين الخبير قائد الجيش الثامن فانه كان ملما ببعض الالمام بما يرمى اليه القائد الانجليزى ، وكان يعلم الخطر الذى يهدد الجناح التركى الأيسر ، فأسرع بارسال الفرقة ١٩ من احتياطيه لليسار لمساعدة الجيش السابع فى صد التهديد ، ولكن القيادة التركية كانت بعيدة كل البعد عن فهم قوة الضربة التى ستقع واتجاهها ، فقد ضللها نشاط داوريات أورط الأنزاك التى وصلت إلى الظاهرية على طريق حبرون ونشاط القوة المغيرة بقيادة الكولونيل نيوكومب التى كانت شمال الظاهرية ، فقد ظن الأتراك أن الانجليز ينوون القيام بحركة التفاف واسعة شمال بئر السبع أو بغارة تقوم بها الفرسان على طريق حبرون تجاه القدس.

وقفت قوة نيوكومب — التى كانت قوتها أقل من ١٠٠ جندى — على جنبى الطريق وعلى بعد بضعة أميال من جيرون جنوبا ، وقد أزعجت الأتراك لدرجة أنهم أرسلوا ضدها ما لا يقل عن ستة أورط — ٣ من آلاى الأساس بحبرون ، ٣ من الشريعة — وقد اضطرت القوة الى أن تسلم نفسها يوم ٢ نوفمبر بعد مقاومة عنيفة ، ربما كان لوجودها تأثير على اتجاه الضربة التركية المضادة .

فى يوم ٢ نوفمبر أثناء استكمال الجنرالين تشتوود شوفل لهجومهما على الشريعه كانت قوة تركية تجمع بسرعة لرد حرس الجنب الانجليزى الأيمن إلى بئر السبع ، تكونت هذه القوة من فرقة الفرسان الثالثة والفرقة ١٩ وجزء من الفرقة ٢٤ و بقايا الفرقة ٢٧ ، تركز القتال حول مرتفع عال شمال بئر السبع بنحو عشرة أميال اسمه تل خو يلفه يتيسر للذى فوقه رؤية كافة الأراضى المجاورة والتحكم فى أحسن موارد المياه القريبة منه ، وقد علم قائد فيلق الصحراء الراكب أهمية هذا التل من هاتين الوجهتين فأمر اللواء السابع الراكب بالتقدم مبكرا فى صباح ٢ نوفمبر لاحتلاله ، قوبل اللواء بمقاومة عنيفة وفشل فى الاستيلاء عليه ، ولذا صدرت الأوامر للفرقة ٥٣ ولواء الفرسان الاسترالية الخفيفة الأول ليلة ٢/٣ نوفمبر بالتقدم صباح ٣ منه والتغلب على مقاومة الأتراك . ولكن الأتراك كانت قد وصلتهم امدادات أيضا . ولذلك بقى الموقف كما هو بعد قتال يوم كامل .

أثناء ذلك كانت مشكلة المياه تسبب قلقا خطيرا لقائد الفيلقين الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكب ، وقد كذب عاملان الاعتقاد السابق الخاص بالمياه ، أولهما أن الانجليز كانوا يأملون أن يستقى ولو جزء من القوات الراكبة شمال بئر السبع

وشمال شرقها حيث أفادت تقارير المخابرات وجود المياه بكميات وافرة ، ولكن الاستطلاع جاء بنتائج سببت اليأس ، وأخيرا اضطرت كافة القوّات الراكبة للعودة لبئر السبع للسقيا ، وثانى العوامل أن المياه عمل حسابها بفكرة أن القوّات سيصرف لها نصف التعين العادى من المياه ، وقد حدث أن هبت فى الأيام التالية للاستيلاء على بئر السبع رياح شديدة خماسينية حارة ، وزادت سحب التراب الدقيق كثيرا من ظمأ الجنود والحيوان ومن استهلاك المياه حتى أصبحت مسألة المياه مشكلا حادا ، ولذا اضطر الحال إلى اصدار أمر للفرقة الاسترالية يوم ٤ نوفمبر بالعودة إلى كرم للسقيا ، وفى نفس اليوم استقر الرأى نهائيا على تأجيل الهجوم الأساسى على هريرة والشريعة حتى ٦ نوفمبر . وقد قرر القائد العام ذلك التأجيل على مضض لأنه يعطى الأتراك الفرصة لتجنب الضربة بالانسحاب إلى خط آخر بالخلف . ولما كانت المياه عاملا مهما طول هذه الحملات فكان أى تقدم بقوّة يعد عقيما مالم تكن هنالك قاعدة للمياه مضمونة عند بئر السبع .

استمر القتال حول تل خويلفه يومى ٤ و ٥ دون فائدة كبيرة للتحاربين ، فقد فشلت المحاولات التركية المتكررة لطرد القوّات الانجليزية الراكبة من رأس النقب وهو مرتفع شرق تل الخويلفه ، كما فشلت الفرقة ٥٣ فى امتلاك التل والثبات عنده . وكان القتال مرا مفككا كانت الميزة فيه للمدافع فقط . وقد أضيفت لمتاعب القوات التى أنهكت قوة تحملها للنهاية صعوبات إرسال التعيينات اليومية والمياه والذخيرة من بئر السبع إلى خط الجبهة على درب حجرى طوله ١٢ ميلا .

أصبح من الصعب جدا تنظيم أى مجهود منسق بسبب الصعوبات الإدارية والحاجة إلى دوام غيار القوات الراكبة ليتيسر لها العودة لبئر السبع لسقيا الخيول ، فرأس النقب الذى احتله أول الأمر اللواء السابع الراكب احتله فيما بعد اللواء الأوّل من الفرسان الاسترالية الخفيفة ثم اللواء الخامس الراكب فلواء نيوزيلنده فلواء الهجانة الامبراطورى . وأخيرا استقر الرأى على تنظيم هجوم مشترك على المواقع التركية عند الخويلفة فى صباح يوم ٦ نوفمبر فى نفس الوقت الذى يقع فيه الهجوم الرئيسى للفيلق ٢٠

إبتدأت مجموعة الاستحكامات التى يتكوّن منها يسار الأتراك عند الشريعة عند بلانقة هريرة القوية ، واستمرت جنوبا بشرق لمسافة ٧٠٠٠ ياردة تقريبا

مارة بمجموعة خنادق رشدى وقاووقه حتى السكة الحديدية جنوب الشريعة، وقد ازدادت هذه الاستحكامات مناعة تدريجيا وحسنت طول الأشهر الستة. وكانت ذات عمق كبير ومجهزة بموانع الأسلاك وتحكم ميدان ضرب نار متسع فى السهل المكشوف أمامها. وكان أقصى الجناح يرتكز أول الأمر على السكة الحديدية مباشرة من الغرب، ولكن الموقع مد فيما بعد لمسافة ٦٠٠٠ ياردة، وكانت الاستحكامات فى هذه المسافة خطا واحدا من الخنادق التى حفرت شرق السكة الحديدية والتى أنتخبت مواقعها بعناية، ولم تكن محمية بموانع أسلاك.

أتمت ليلة ٥/٦ نوفمبر القوة الانجليزية الضاربة (الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكب) أتخاذ أوضاعها للهجوم الحاسم وكانت كالآتى :

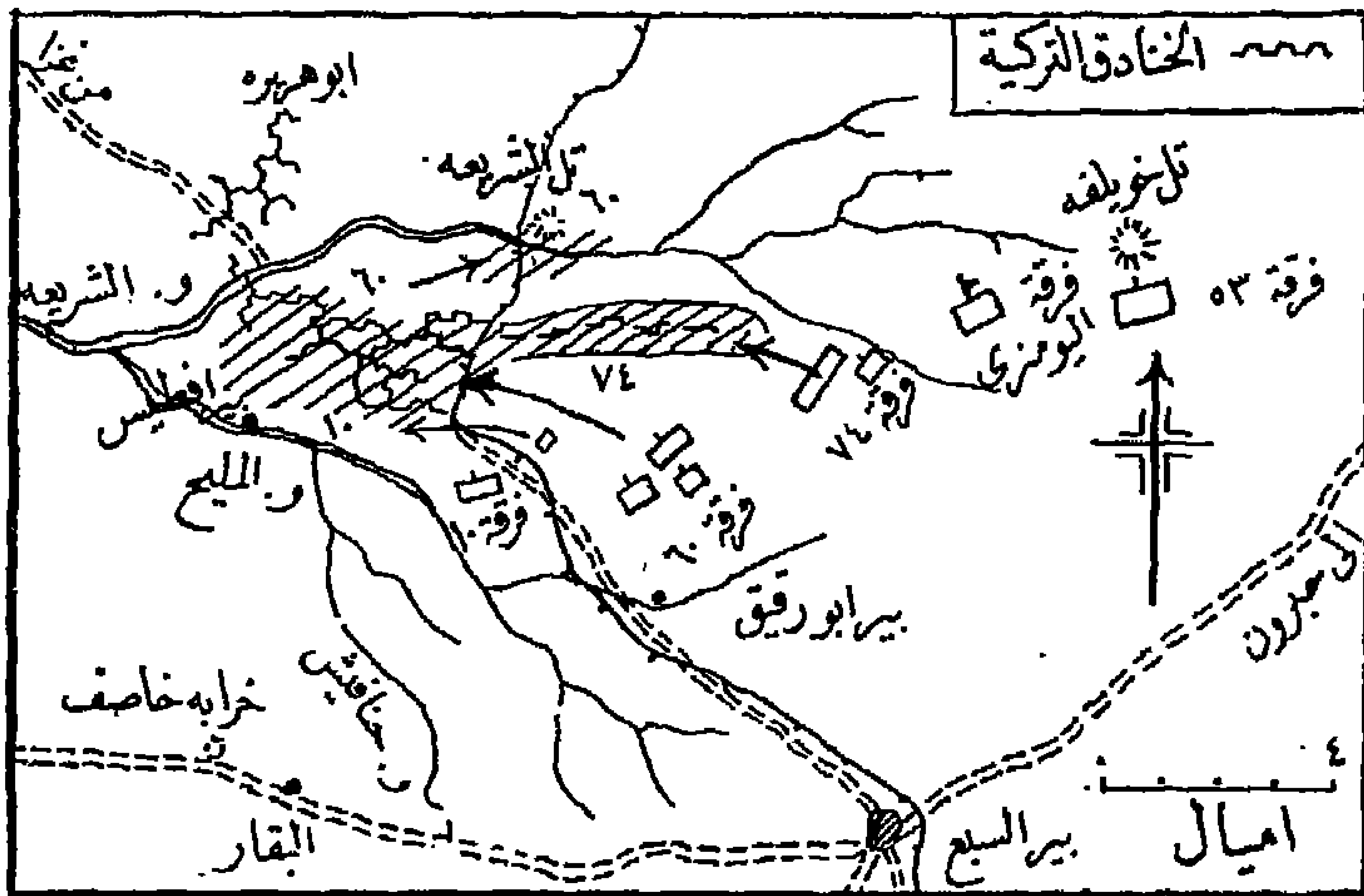
تحركت فرقة اليومنرى الراكبة (الجنرال بارو) — بعد أن حلت محلها بالشلال الفرقة الأسترالية — الى سفح التلال يسار خط الفرقة ٥٣ وهناك غيرت الفرقة ٧٤ التى تمكنت بذلك من التجمع للهجوم. وفى مساء ٦ نوفمبر شكلت قوة منفصلة بقيادة الجنرال بارو للدفاع عن الجنب الأيمن. وكانت مركبة من فرقة اليومنرى الراكبة والفرقة ٥٣ ولواء الهجانة ولواء نيوزيلنده التابع لفرقة الأتراك، وكان باقى هذه الفرقة عند بير السبع[1]، وتقدمت الفرقة ٦٠ ا.ن ما بين الفرقتين ٧٤، ١٠ وقامت الفرقة الأسترالية على يسار الفرقة ١٠ بمراقبة الثغرة الواسعة بين الفيلقين ٢٠ و ٢١ والتى يبلغ طولها ١٥ ميلا.

كان الاتجاه العام لهجوم الفيلق ٢٠ من الجنوب الشرقى للشمال الغربى لكى يكون على جنب الخنادق التركية قدر الامكان ولطى الخط من الشرق للغرب. وكان على الفرقة ٧٤ باليمين أن تبدأ المعركة بالهجوم جنبيا على خط الاستحكامات التركية الواقعة شرق السكة الحديدية. وأثناء ذلك الهجوم تقترب مشاة الفرقة ٦٠ ومعها لواء من الفرقة ١٠ من مجموعة خنادق قاووقة قدر إمكانها لتمكن مدفعية الفرقة من الاقتراب من خنادق الأتراك لمرمى قطع الأسلاك، وكان على الفرقة ٧٤

(١) لم تكن هناك قيادة موحدة للعمليات حول تل الخويلفة حتى يوم ٦ نوفمبر. وكانت الفرقة ٥٣ تابعة للفيلق ٢٠ والقوات الراكبة تابعة لفيلق الصحراء عدا لواء الهجانة الذى كان يلحق أحيانا بالفرقة ٥٣ وأخرى بفيلق الصحراء وأحيانا كان جزء منه يتبع الفرقة وآخر يتبع الفيلق.

عند وصولها للسكة الحديدية أن تحمى يمين الفرقة ٦٠ وأن تساعدها بنيران كل ما يمكن الاستغناء عنه من مدفعيتها ، وأن تمتلك الشريعة وموارد مياهها . وكان على الفرقة ٦٠ ومعها لواء من الفرقة ١٠ أن تقتحم استحكامات قاووقة بمجرد أن يقرر القوّاد أن تحضيرات المدفعية قد أتت بفائدة وتأثير ، ثم تلف الفرقة ٦٠ شمالا لمساعدة الفرقة ٧٤ فى تثبيت أقدامها بالشريعة . والأرض المرتفعة شمالها التى

هجوم الفيلق ٢٠ فى ٦ نوفمبر سنة ١٩١٧



الخريطة نمرة ١١

يجب أن يتم احتلالها بأى ثمن قبل حلول الظلام فى نفس اليوم . وفى يوم ٧ نوفمبر تشتغل الفرقة ٦٠ تحت أوامر فيلق الصحراء من تقدّمه على هوج بينما تقوم الفرقة ١٠ — التى كان منها لواءان باحتياط الفيلق يوم ٦ منه — باتمام هزم يسار الأتراك بالاستيلاء على مجموعة رشدى و بلانقه هريره.

كان على فيلق الصحراء عندما يرى أن مقاومة الأتراك قد تحطمت أن يتقدّم بكل سرعة قاصدا هوج وجمامه وهما من أهم مناطق المياه خلف الخط التركى . وقد صرف النظر عن حركة الالتفاف الواسعة التى أمرت الفرسان بالقيام بها

بطريق تل النجيل لورود تقارير أفادت بأن المياه غير كافية هناك . ويلاحظ بعثرة قوات فيلق الصحراء التى سببتها حالة المياه وهجوم الأتراك المضاد شمال بئر السبع .

بدأت الفرقة ٧٤ تقدمها الساعة الخامسة صباح يوم ٦ نوفمبر بثلاث لواءات بهيئة تدريج من الشمال وكان على اللواء الخلفى أن يحمى بنوع خاص الجنب الأيمن . تحملت الفرقة صدمة القتال طول اليوم وكان عملها شاقا وبلغت المسافة من نقطة ابتدائها للسكة الحديدية خمسة أميال على أرض مكشوفة خالية كل الخلو من أى ساتر . وكانت دفاعات الأتراك منتخبة بمهارة ومدافع عنها بكل عناد . ولم يكن من الممكن عمل الترتيب لدوام مساعدة المدفعية للمشاة التى تقدمت بسرعة والتى ما كانت تعتمد فى أغلب الأحيان (الأوقات) الا على النيران الساترة من من مدافع الماكينة . ولم يكن من السهل إيجاد مواقع استحكامات العدو، وكان أحدثها غير مبين (مرسوم) على خرائط الخنادق التى رسمت من الصور التى التقطتها الطائرات . ورغم ذلك فقد تمكن اللواء القائد من قطع ميلين أو ثلاثة قبل الساعة ٨,٣٠ وحوالى الساعة ١,٣٠ مساء تم احتلاله الأغراض كلها . وقد أظهرت هذه الفرقة التى تشكلت من اليومنرى المترجلة بسرعتها فى هجومها أنها ما زالت محتفظة بروح الفرسان .

تقدمت أثناء ذلك الفرقتان ٦٠ و ١٠ الى مجموعة قاووقة الأساسية، ثم فتحت مدفعيتها النيران عليها بطريقة منظمة ، وأصبحت الأسلاك بعد الظهر بقليل مقطوعة بدرجة تسمح بالاقتحام ، فاكتسح الانجليز مجموعتى قاووقة ورشدى بسرعة ، وفى الساعة ٤,٣٠ مساء تحول لواءان من الفرقة ٦٠ سائرين شمالا قاصدين الشريعة التى كانت الفرقة ٧٤ سائرة اليها . وكانت النية معقودة على اقتحام تل الشريعة الذى يحكم الوادى بهجوم ليلى بالسونكى . ولكن بالنسبة لاشعال الأتراك النيران بمستودعات المؤونة والذخيرة قبل إخلائهم محطة الشريعة فقد رؤى أنه من الحكمة تأجيل المحاولة لأن ضوء اللهب كان يظهر خطوط التقدم بالوادى .

استمر القتال شديدا فى منطقة خويلفة يوم ٦ منـــه . وقام اللواء ١٥٨ من الفرقة ٥٣ ومعه الأورطة الثالثة من لواء الهجانة بالاقتحام بخرا وحاول أن يثبت أقدامه على تبة خويلفه الأصلية ، فقام الأتراك بهجمة مضادة عنيفة ردت بعض الانجليز المهاجمين لا كلهم ،وكان هذا آخر مجهود بذلوه . استمرت الحرب سجالا فى هذا الجزء من الميـدان بين القوتين المتقاتلين المنهكة القوى دون أن يقع أى تغيير ولكن الأتراك انسحبوا على مضض فى المساء لانسحاب قواتهم انسحابا عاما .

لم تحز فرقة الأتراك والفرقة ٥٣ والهجانة فى القتال العنيف الذى دام ستة أيام الا القليل من الكسب والكثير من الصدمات ، ولكن كان لجلدهم واستماتتهم أمام المتاعب والمشقات ، التى سببتها التلال الوعرة القاحلة ، أعظم الفوائد واليها يرجع الفضـل فى انتصار خطة الجنرال اللنبي لدرجة كبيرة إذ لم يتبق مع الأتراك من الاحتياط ما كان يمكنهم أن يسدوا به الثغرة التى فتحت عند الشريعـة والتى إزدادت اتساعا عند فجر يوم ٧ باستيلاء الفرقة ٦٠ على تل الشريعة والفرقة ١٠ على بلانقه هريرة القوية .

تقدم الفيلق ٢١ فى يسار الخط مبكرا فى صباح ٧ بمقاومة بسيطة مخترقا الدفاعات التركية المنيعة التىسدت الطريق إلى فلسطين طويلا ،فقد سقط على المنطار الشهير مفتاح غزه بعد فجر يوم ٧ بقليل ،وفى الحقيقة كان الأتراك قد أخلوا غزه وتقهقروا تقهقروا تاما .

كانت نتيجة القتال الذى دام أسبوعا أن الجيوش التركية دفعت للعراء متكبدة خسائر جمه وأرغمت على ترك الخط غزه — بئر السبع الذى جهزوه بعنـاية تامة واستمسكوا به بعناد فى الأشهر التسعة السابقة ، وأصبحت المرحلة الثانية استغلال الانجليز لنجاحهم الذى ستقوم فيه القوات الراكبة بالدور الرئيسى .

أهم مظاهر موقعـة غزة — بئر السبع من الوجهة البريطانية هى التحضـير الطويل الدقيق للضربة ، ونجاح الوسائل المتبعة لخدع الأتراك فى الاتجاه الحقيق للضربة الرئيسية والغرض منها ، وتأثير المياه فى هذه العمليات ، وقد سبق الكلام عن كل ذلك فيما سبق .

يصح النظر للموقعة من وجهة النظر التركية ، فقد كان موقعهم الذى كان أطول مما تكفيه قوتهم — مختارا طبقا لما أملاه عليهم اتجاه السكة الحديدية ووجود المياه عند بئر السبع . و يرجع السبب فى قلة عمق دفاعاتهم فيما عدا غزة إلى أن قوادهم لم يتصوروا أن فى إمكان الخدمات الإدارية الانجليزية التغلب على صعوبات تموين قوة كبيرة تشتغل فى التلال القاحلة حول بئر السبع ويسارهم .

كانت الضربة المضادة التى عملت فى شمال بئر السبع حركة كلها جرأة من نوع الاستراتيجى الألمانى لا التركى . وقد كان نجاحها متوقفا على تحول القائد الانجليزى عن خطته الأصلية وانجذابه للاشتراك فى قتال أساسى على أرض لم يختارها لنفسه . ولم يكن الجنرال اللنبي بالقائد الذى يحود بسهولة عن طريق رسمه لنفسه ، لذا لم يخصص الا القليل الكافى من قواته لمقابلة التهديد . ورغم فشل تلك الضربة التركية المضادة فى غرضها الرئيسى الا أنها كما سيرى فيما بعد أثرت بعض التأثير فى حل التنظيم الموضوع للتحضيرات المضادة [1] .

كان من الممكن أن تأتى ضربة مضادة تركية موجهة لجنب الفيلق ٢٠ الآخر ومواصلاته إلى كرم والشلال بفائدة أعظم ، ولكن الأرض كانت مكشوفة جدا و يصبح جنب القوة التى تقوم بهذه الحركة فى العراء .

ولو أن الأتراك تركوا لأنفسهم لربما بدأوا الانسحاب مبكرا بوقت طويل ، ولو فعلوا ذلك لزادت الصعوبات أمام الانجليز كثيرا . ولكن القواد وأركان الحرب الألمان لم يقبلوا أى اقتراح بهذا المعنى وأصروا على الهجوم المضاد ، وستتكرر فى العمليات التالية محاولتهم ادخال وسائل القتال التى يتبعونها الى جيش تختلف إجراءاته التكتيكية الطبيعية كل الاختلاف .

---

(١) قال بعض الشهود الأتراك أن حركات الجنود التركية شمال بئر السبع كانت لأغراض دفاعية لا هجومية .

تركيب قوات التجريدة المصرية للموقعة
أكتوبر سنة ١٩١٧ — موقعة غزة الثالثة

فيلق الصحراء الراكب (اللفتنانت جنرال السير شوفل)

فرقة اليومنرى الراكبة (الماجور جنرال بارو)

اللواءات الراكبة ٦ و ٨ و ٢٢

اللواء ٢٠ المدفعية الخيالى الملكية

الفرقة الأسترالية والنيوزيلندية (الماجور جنرال تشيتور).

اللواء ١ و ٢ من الفرسان الأسترالية الخفيفة ولواء نيوزيلندة الراكب.

اللواء ١٨ المدفعية الخيالى الملكية

الفرقة الأسترالية الراكبة (الماجور جنرال هودجسون)

اللواءات ٣ و ٤ من الفرسان الأسترالية الخفيفة واللواء الخامس الراكب.

اللواء ١٩ المدفعية الخيالى الملكية.

اللواء السابع الراكب (البريجادير جنرال ويجان).

لواء الهجانه الأمبراطورى (البريجادير جنرال سميث).

الأورطة الثانية (الأمبراطورية).

الأورطة الثالثة (الاسترالية النيوزيلندية).

بطارية هجانة هونج كونج وسنغافورة.

الفيلق ٢٠ (اللفتنانت جنرال السير تشتوود).

الفرقة ١٠ (ايرلندية — الماجور جنرال لونجلى).

اللواءات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ المشاة

الفرقة ٥٣ (ويلسن — الماجور جنرال موتت).

اللواءات ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ المشاة.

الفرقة ٦٠ (لندن — الماجور جنرال شى) .

اللواءات ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ المشاة .

الفرقة ٧٤ (اليومنرى — الماجور جنرال جيردود) .

اللواءات ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ المشاة .

آلاى فرسان الفيلق .

آلاى ٢/١ يومنرى مقاطعة لندن .

مدفعية الفيلق — مجموعة المدفعية الثقيلة رقم ٩٦ .

البطاريات الثقيلة ١٥، ٩١ ، ١٨١ (بكل ٤ مدافع ٦٠ رطلا) .

بطاريات الحصار ٣٧٨ ، ٣٨٣، ٤٤٠ (بكل ٤ هوتزر قطر ٦ بوصة).

الفيلق ٢١ (اللفتنانت جنرال بالفين) .

الفرقة ٥٢ (الأراضى الواطئة — الماجور جنرال هيل) .

اللواءات ١٥٥,١٥٦,١٥٧ المشاة .

الفرقة ٥٤ (انجليان الشرقية — الماجور جنرال هير) .

اللواءات ١٦١,١٦٢,١٦٣ المشاة .

الفرقة ٧٥ (الماجور جنرال بالين) .

اللواءات ٢٣٢,٢٣٣,٢٣٤ المشاة .

ألاى فرسان الفيلق .

ألاى يومنرى مركب .

مدفعية الفيلق .

مجموعة المدفعية الثقيلة رقم ٩٧ .

البطاريات الثقيلة ١٩٥,١٨٩ (بكل ٤ مدافع عيار ٦٠ رطلا) .

بطاريات الحصار ٣٠٠,٢٠١(بكل ٢ هوتزرقطر٨ بوصة و ٢ هوتزر قطر ٦ بوصة) .

بطاريات الحصار ٣٨٠,٢٠٥ (بكل ٤ هوتزر قطر ٦ بوصة) .

مجموعة المدفعية الثقيلة رقم ١٠٠ .

البطارية الثقيلة ١٠ (بها ٤ مدافع عيار ٦٠ رطلا) .

بطاريات الحصار ٤٢٢,٣٧٩,١٣٤ (بكل ٤هوتزر قطر ٦ بوصة) .

بطارية الحصار ٤٢٣ (٤ هوتزر قطر ٨ بوصة) .

بطارية الحصار ٤٣ (٢ هوتزر قطر ٦ بوصة ماركة ٧) .

مجموعة المدفعية الثقيلة رقم ١٠٢

البطارية الثقيلة ٢٠٢ (بها ٤ مدافع عيار ٦٠ رطلا)

بطاريات الحصار ٢٠٩ و ٤٢٠ و ٤٢١(بكل ٤ هوتزر قطر ٦ بوصة)

بطارية الحصار ٢٩٢ (٢ هوتزر قطر ٦ بوصة) .

بطارية الحصار ٤٢٤ (٤ هوتزر قطر ٨ بوصة) .

اللواء المشاة الهندية نمرة ٢٠ (بريجادير جنرال واطسون) .

تكوين سلاح الطيران الملكى بفلسطين فى المدة من ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ إلى ٧ نوفمبر (مدة العمليات ضد غزه و بئر السبع) : —

لواء فلسطين و يتركب من : —

الجناح نمرة ٥ فى دير البلح .

السرب ١٤ سلاح الطيران الملكى فى دير البلح .

السرب ١١٣ سلاح الطيران الملكى فى الشيخ نوران .

بلوك بالونات نمرة ٢١ و يتركب من : —

صنف البالونات نمرة ٤٩ فى الشيخ الشباسى .

صنف البالونات نمرة ٥٠ فى وادى غزه .

ملاحظة :

خصص السرب ١٤ للفيلق ٢١ و ٢/٣ السرب ١١٣ للفيلق ٢٠ والثلث الباقى لفيلق الصحراء .

رئاسة الجناح ٤٠ فى دير البلح .

السرب ٦٧ سلاح الطيران الملكى فى الشيخ نوران .

» ١١ » » » فى دير البلح .

سرب خاص أنشىء من جناح التدريب بأبى قير :

علاوة على ما سبق أنشىء سرب الخدمة الخاصة فى ٢٤ أكتوبر للخدمة عند نوران ووضع تحت قيادة لواء فلسطين مباشرة لأغراض العمليات .

وقد عهد الى هذا السرب عمل غارات لضرب معسكرات الأتراك ومستودعاتهم وخنادقهم ومواقع بطارياتهم بالقنابل .

مخزن الطيران :

كان بالعباسية المخزن رقم ١٠ وأنشىء منه صنف المخازن الأمامى بالقنطرة وكان مسؤولا عن تمويه سلاح الطيران الملكى بفلسطين .

الباب الخامس

المطاردة فى فيلستيا وأخذ القدس

١ — المطاردة فى فيلستيا — بدء المطاردة ، تقدم بطىء ، اقتحام الفرسان عند هوج ، القتال بوادى حسى ، التقدم الى محطة المواصلة ، عملية المغار ، احتلال يافا .

٢ — المحاولة الأولى للاستيلاء على القدس — التصميم على التقدم فى الحال على القدس ، الخطة ، فشل المحاولة الأولى .

٣ — الاستيلاء على القدس — الهجمات التركية المضادة ، هجوم الفيلق ٢٠ ، سقوط القدس ، نتائج الحملة .

٤ — شتاء سنة ١٩١٧ — ١٩١٨ — عبور نهر العوجة ، الهجوم التركى المضاد على القدس ، تقدم الفيلق ٢٠ ؛

(أنظر الخرائط ٨ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥)

١ — المطاردة فى فيلستيا

أفضل استغلال للنجاح بالقوّات الراكبة هو الجزلا المطاردة . ويكون القصد منه لا ضرب مؤخرة القول المتقهقر موطن قوته بل ضرب أضعف أجزائه وقاية كأجنابه أو رأسه ، ويقصد منه أيضا قطع خط مواصلاته فى أفضل الأوقات وعند أنسب المحلات — تفضل المضايق — واستباق أكبر عدد ممكن من العدو المنسحب وحجزه حتى تصل المشاة فتجهز عليه . هذه هى المناورة التى كان اللورد اللنبي يفكر فيها كتكملة لكسر الخط غزه — بئر السبع بواسطة المشاة والمدفعية وهذه هى الأغراض التى حث قائد فرسانه عليها طالما بقى أمل فى تنفيذها .

كان يوما ٧ و ٨ نوفمبر يومين عصيبين ظن فيهما أن قوة تركية كبيرة تكاد تكون فى قبضة القوات الراكبة ويمكن منعهما من الإفلات للشمال . ويصح ذكر قصة هذين اليومين بإسهاب .

صدرت الأوامر مبكرا بعد ظهر يوم ٦ نوفمبر لفيلق الصحراء بالتحرك استعدادا للانتفاع بنجاح الفيلق ٢٠ المنتظر . فكان على فرقة الأنزاك أن تسير من بئر السبع إلى موقع خلف فرقة اليومنرى التى كانت تحرس جنب الفيلق ٢٠ الأيمن ، وعلى الفرقة الأسترالية أن تتقدّم من كرم إلى خراية المليح خلف الفيلق ٢٠ مباشرة . تركت كلتا الفرقتين (الأنزاك والاسترالية) لواء فى الخلف . فبقى من الأولى فى بئر السبع لواء نيوزيلندة كاحتياط للقوة المنفصلة الواقيـة — قيادة بارو — وبقى من الثـانية اللواء الثـالث الاسترالى الخفيف ليستمر فى مراقبة الثغرة يسار الفيلق ٢٠ ، وفى المساءعندما وصل نبأ نجاح هجوم المشاة صدرت أوامر الى الجنرال شوفل الى بالتقدم جمامة وهوج بكافة القوات الميسورة ووضعت تحت قيادته الفرقة ٦٠ من الفيلق ٢٠ لمساعدة تقدّمه . فأصـدر أمره قبيل منتصف ليلة ٦/٧ بأن تتقدّم فرقة الأنزاك على محطة العميدات كغرض أول وأن تتجمع الفرقة الاسترالية عند الشريعة حيث أمر اللواء الثالث الاسترالى الخفيف بالانضمام إليها[1] ويلاحظ انه كان من نتيجة الضربة التركية المضادة شمـال بير السبع ان أرغمت القوات الراكبة على اختراق ثغرة بدلا من الالتفاف حول الجنب ، الشئ الأكثر سهولة وأقوى مفعولا .

ومنذ أول الأمر ألقت الظروف عبئا ثقيلا على عاتق الجنرال شوفل ، فقد كان أنسب طريق له هو طريق السكة الحديدية شمالا مارا بتل النجيل ومنها غربا حتى المجدل — أوشمال ذلك — حيث يسبق الأتراك المتقهقرون ، ولكن ذلك الطريق كان محرما لانعدام المياه الكافية به وكان ينقصه فرقة بارو (اليومنرى) ولواء من الأنزاك كانا يشتغلان بأعمال الوقاية فى التلال شمال بئر سبع ، وكانت فرقة الأنزاك فى قتال شاق وسير مجهد منذ ٣١ أكتوبر أما الفرقة الأسترالية فلو أن قواها لم تنهك كفرقة الأنزاك إلا أنها لم تسترح الاقليلا ، وقد سارت كلتاهما ما بين ١٥ و ٢٠ ميلا ، وكانت عليقة الخيول ومرتبها من المياه مخفضة طول الأسبوع .

(١) عند ما صدر ذلك الأمر كان المعتقد أن الفرقة ٦٠ قد انتهت من الاستيلاء على تل الشريعة

كان التقدم فى ذلك اليوم مماسبب كل اليأس ، فقـد استولت فرقة الأتراك على محطة العميدات وأسرت ٤٠٠ أسيرا ومؤنا كثيرة الا أن مؤخرة الأتراك عند تل أبو ديلاخ (شمـال المحطة ببضعة أميال) أوقفتها باقى اليوم ، ويلاحظ أن جنب فرقة الأتراك الأيمن كان معرضا للقوة التركية الكبيرة بالتلال والتى واجهت قوة بارو . أما الفرقة الأسترالية فلم تتقدم طول اليوم تقريبا . ولم يتم للفرقة ٦٠ احتلال تل الشريعة إلا بفجر يوم ٧ كما سبق القول ، و بعدها احتل الاتراك موقعا دفاعيـا قويا على الأرض المرتفعة الواقعة شمالا بنحو ميل ومنعوا المشاة الانجليزية من التقدم . فأمر اللواء القائد من الفرقة الإسترالية بازالة المقاومة من أمام واجهة الفرقة ٦٠ ، ولكن الإتجاه الذى أعطى اللواء جعل هجومه أماميا بحتا أوقف أمام خط المشاة بمئات قليلة من اليـاردات حيث بقى حتى الغروب عندما دفع اللواء احتياط الفرقة ٦٠ فأمكنه طرد الأتراك من مواقعهم . ثم أوقف حلول الظلام باقى العملية .

تقدم الجنرال بالفين أثنـاء ذلك فى اليسار مطاردا بنشاط الأتراك المنسحبين من غزه بقدرما سمحت له حملاته . فأرسل الفرقة ٥٢ للإمام بحذاء الشاطئ فوصل لواءها القائد ١٥٧ وادى حسى وعبره عند مصبه عند حلول الظلام . وتبعه اللواء ١٥٥ الذى عبر الوادى ليلا . أما الفرقة ٥٤ فاحتلت دفاعات غزه نفسها ، وتقدم لواء فرسان الخدمة الإمبراطورى بجوار غزه قاصـدا بيت حنون ولكنه أوقف أمامه عند حلول الظلام .

ثبتت مؤخرة تركية طول اليوم فى بلاتقى الدبابة وعطاوينه — الجزء الوحيـد من الجبهة الذى بقى سليما متماسكا — ولم يزعجها وجود القوات الانجليزية خلف جناحيها ، وقد أطلقت مدفعيتها الدانات الاحتياطية التى لم يكن بوسعهم الاضربها أو تركها . وقد أزعجت هذه الدانات القوات بغزة كل الإزعاج . وكان لوجود المؤخرة التركية تأثير آخر فعال إذ عطل سير قوات الحملة التى أرسلت بسرعة من الفيلق ٢٠ للفيلق ٢١ ليتمكن هذا من التقدم على السهل الساحلى .

كانت أوامر يوم ٨ نوفمبر لفيلق الصحراء الركب تشمل تقدم سريع على هوج وجمامة أو من هناك يسير شمالا بغرب لسد الممر الضيق الذى ما زال مفتوحا لانسحاب المؤخرة التركية عند عطاونيـة ولعزل القوات التركية الأخرى المشتبكة بالفرقة ٥٢ عند وادى حسى . ولكن القوات التركية الساترة قاتلت بعناد منتفعة كل الانتفاع بالتسهيلات التى أعطتها السهولة المكشوفة أثناء قيامها بعمليات التعطيل ، ورغم أن الفرسان الانجليزية قد تقدمت كثيرا وأسرت العديد من الأتراك إلا أنها لم تنجح فى حجز قوات تركية كبيرة ، وطلبت إلى قوة بارو التى كانت بأقصى اليمين ألا تستمر فى مطاردة الأتراك الذين انسحبوا من الخويلفه . وأمرت فرقة اليومنرى ولواء الهجانة بالانضمام إلى فيلق الصحراء الراكب وأن يبقى لواء نيوزيلنده عند بير السبع وقويت فرقة الأتراك باللواء السابع الراكب بدل لواء نيوزيلنده المذكور ولكنها لم تصل جمامة إلا عند الساعة ٣ مساء . ولم تتمكن الفرقة الاسترالية والفرقة ٦٠ من من احتلال هوج الا بعد ذلك .

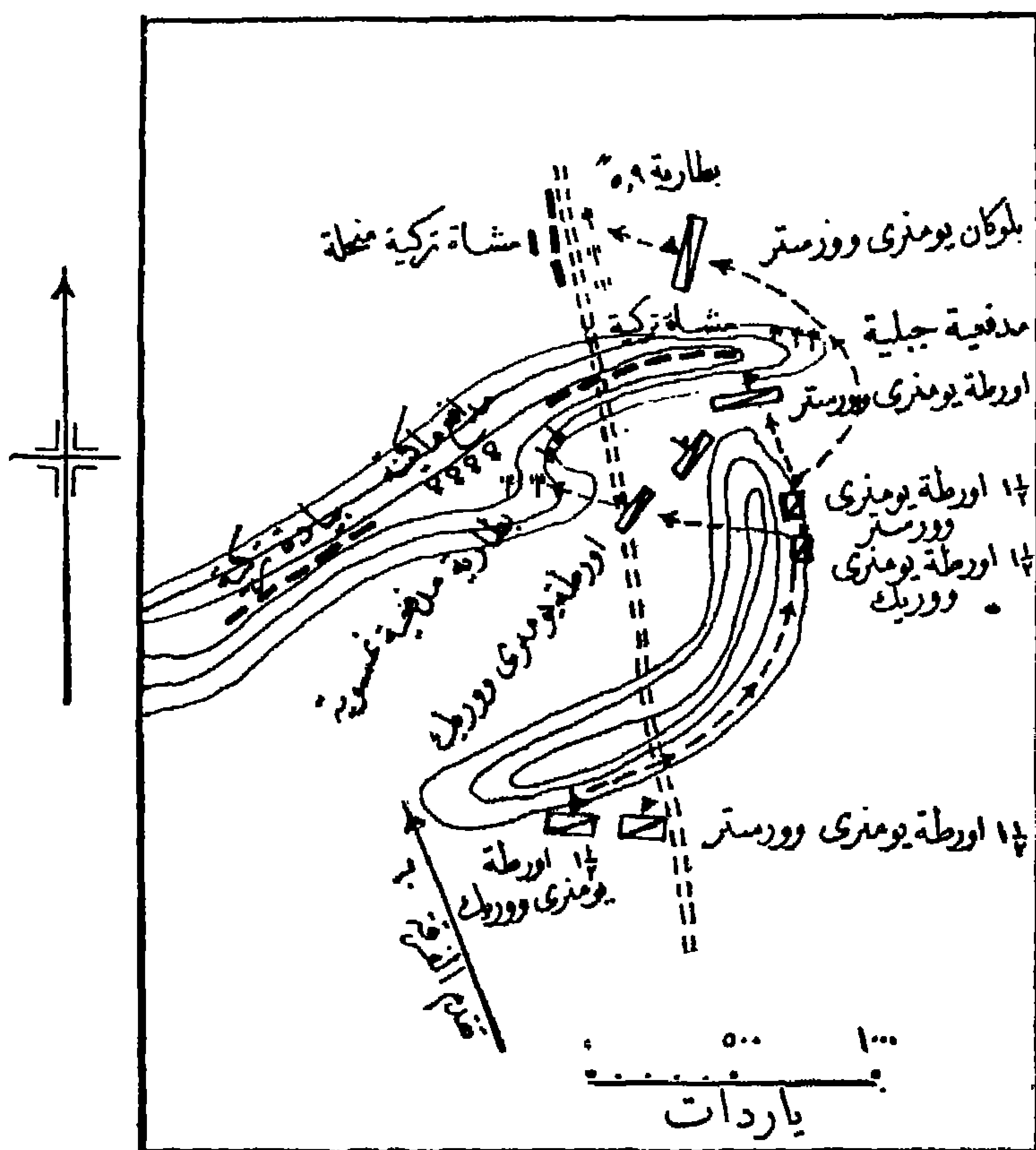
كانت أهم الحوادث بقتال اليوم الاقتحام البديع الذى قامت به قوة بسيطة من اليومنرى استمر ضغط الفرقة ٦٠ طول اليوم تجاه هوج ، فتغلبت على مقاومة المؤخرة التركية بالعزيمـة والتحمل اللتين أظهرتهما قوات مدينة لندن دواما فى القتال . وحوالى الساعة ٢ مساء وقفت البلوكات القائدة تحت النيران المباشرة الشـديدة للمدفعية ، فقد وضع الأتراك بطاريات عديدة يحميها حرس قوى من المشاة ومدافع المـاكينة على تبة حاكمة لتحمى جلاء رئاسة الجيش الثامن ولتعطى الوقت الكافى لتدمير مخازن المؤونة والذخيرة التى لم يمكن نقلها .

كان المـاجور جنرال شى قائد الفرقة ٦٠ فى الأمام مع قواته الأماميـه راكبا سيارة مدرعه استعارها من فيلق الصحراء للاستطاع ، رأى الجنرال أن الاقتراب من المواقـع على الأرض المكشوفة لا بد وأن يكون بطيئا وأن يكبد المشاة كثيرا فطلب مساعدة أقـرب القوات الراكبة على يمينه وهو يومنرى اللواء الخامس من

الفرقة الاسترالية . جمع اللفتنانت كولونيـل تشيب من آلاى يومنرى ووريكشير أورطه ونصف من آلايه وأورطه ونصف من آلاى يومنرى وورسترشير (المجموع ١٠ بلوكات) وقاد الجميـع فى الحال إلى المدافع . ولسوء الحظ لم تتيسر أى نيران لستر هجومهم لأن أورطة مدافع المـاكينة الخيالى و جميـع حيوانات تحميل مدافع الهوتشكس كانت قد أرسلت لاسقيا مبكرا فى الصباح ولم تعد . أما بطاريات المدفعية الخيال المسلحة بمدافع ١٨ رطلا فلم تتمكن من السير بنفس السرعة .

اقتحام اليومنرى عند هوج

٨ نوفمـبر ١٩١٧



الخريطة نمرة ١٢

وصلت اليومنرى مستعينة بسترتبه صغيرة (أنظر الخريطة) إلى موقع يبعد عن جنب المدافع بنحو ١٠٠٠ ياردة . وهنا وقعت تحت نيران المشاة حرس المدافع . اقتحمت أورطة الورسترشير القائدة المشاة التركية وفرقتها . ثم انقلبت على المدافع واقتحمتها من جنب . وأثناء ذلك سارت أورطة الوريكشير يساعدها بلوكا الوريسترشير الباقيان مباشرة نحو المدافع ومدافع الماكينة الساترة لها . واقتحم بلوكا الوريكشر الباقيان بعضا من الأتراك المنسحبين من الموقع . تمت الهجمات الثلاثة وأسرت الفرسان ١١ مدفعا و ٤ مدافع ماكينة و٧٠ أسيرا وقتل بالسيف كثير من أفراد أطقم مدافع البطاريات (ألمان ونمسيون وأتراك). الذين ثبتوا بجوار مدافعهم حتى النهاية . وكانت خسارة اليومنرى كبيرة جدا فقتل من الإثنى عشر ضابطا قواد الأورط الثلاثة وجرح ٦ آخرون . ومن المائة ثمانية وخمسين عسكريا ٢٦ وجرح ٤٠ وقتل ١٠٠ حصانا من ١٧٠ .

يعتبر نجاح ذلك الإقتحام مثالا جيدا لقوة خفة الحركة فى الهجوم ، فيرجع نجاح اليومنرى للسرعة وثبات العزيمة . فلم تساعدهم نيران ساترة كما سبق القول ولم يستعينوا بالمفاجأة التامة ، فرغم أن تدخلهم كان فجائيا وغير منتظر إلا أنه لم يفت الأتراك إذ كان تقدمهم على الألف ياردة الأخيرة معرضا كل التعرض لنيران المدافع ومدافع الماكينة والمشاة التركية ، ورغم كل ذلك وصل الاقتحام لغرضه ولم يكن الأتراك الذين اقتحموهم مطاردين أو هاربين فاقدى القوى المعنوية بل كانوا ثابتين — بعضهم ألمان ونمسويون — أبقوا مشاة عدوهم المقابلة لهم بعيدة بلا صعوبة .

يجب عند البحث فى ترقية فرسان المستقبل — وهى السيارات المدرعة الخفيفة — ألا تنسى الدروس المستفادة من كافة الحروب وهو أن السرعة ستثبت فى النهاية أنها تفضل الدروع فى الوقاية ، فقد كان الفارس منذ ٦٠٠ سنة تحميه دروعه من المقذوفات ، ولذا لم يكن فى حاجة للسرعة فى ميدان القتال حتى أصابته السهام التى تخترق الدروع فى سريسى . فلو أن فرسان الفرنسيين بهذه الموقعة أمكنهم أن يسيروا بخطوة أسرع من التى ساروا بها لما تمكن أقوى رماة السهام من الاحتفاظ بصفوفهم سليمة متراصة . وقد فكر الفرنسيون فى ذلك الدرس عشرة سنوات

وانتهوا إلى زيادة ثقل دروع فرسانهم وهجموا بالخطوة المعتادة فى موقعة بواتيير وتلقوا ضربة أشد ، ولا جدال فى أن من عاش منهم قد لام صانعى دروعهم وربما شنقوا بعضهم ...

قاتلت الفرقة ٥٢ أثناء ذلك ببسالة قتالا عنيفا فى عملية صغيرة شمال غزه ، وكما سبق القول كان لواءان منها قد عبرا وادى حسى عند مصبه قبل صباح ٨ نوفمبر ولما قابلتهم بعض المقاومة ثبتا على كثبان الرمال فى الشمال أمام عسقلون ، وتقع على يمينهما تبه طويلة (اسمهاتبة السجق) تمتد من بربيره إلى دير سنيد أى لمسافة ثلاثة أميال ، إحتل الأتراك هذه التبة بقوة لأنها تحمى الطريق والسكة الحديد من غزة شمالا . تقدم اللواء ١٥٨ بعد ظهر يوم ٨ على هذه التبه وقبل أن يبتدئ اقتحامه النهائى هدده هجوم مضاد على يساره فاضطر للوقوف ومواجهة الشمال لمقابلة ذلك الخطر . وقد أمكن دفع اللواء ١٥٧ على جنوب التبه بسبب وصول اللواء ١٥٦ إلى وادى حسى وكان قد ترك الشيخ عجلين الساعة ٥,٣٠ صباح ذلك اليوم ، تمكن اللواء ١٥٧ من الوصول إلى التبه عند حلول الظلام ولكنه صد أربعة مرات بسبب الهجمات التركية المضادة العنيفة وتمكن أخيرا من أن يجمع قواه للقيام باقتحام نهائى تمكن به من قذف الأتراك نهائيا من مواقعهم فى الساعة ٩ مساء . وخسر هذان اللواءان فى هذه العملية نحو ٧٠٠ رجلا . وقد كان نقص الخرائط المضبوطة محسوسا فيها كما كان فى العمليات الأخرى .

انتهت المرحله الأولى من استغلال النجاح فى مساء يوم ٨ نوفمبر ، فشلت القوات الراكبة فى حجز قوات تركية كبيره . وعاد بطء تقدم فيلق الصحراء الراكب يومى ٧ ، ٨ إلى صعوبات المياه بنوع خاص . ولا جدل فى أن تسليح لواءين فقط من الستة لواءات المتيسره بالسيوف كان له تأثير على تكتيكاتهم وسرعتهم عند اشتغالهم ضد مقاومة المؤخرات التركيه .

كان موقف الأتراك حرجا رغم أنهم نجوا من الفناء السريع . ونتج من عمل الفرقة ٥٢ أن حرم الأتراك من أى أمل فى الثبات عند وادى حسى ، وكان أنسب الخطوط الطبيعية التالية للدفاع هو نهر سكرير الذى يبعد شمالا بنحو ١٥ ميلا . وقد تفرقت المؤخرات الأصلية التى كونت جبهة قوية امام المطاردين وأصبحت منهوكة

القوى . وقد استمر سلاح الطيران الملكى فى إزعاج قولات الأتراك المتقهقرين بقنابلة ومدافع الماكينة وظهر من تقاريره أن انحلال الجيوش التركية وفقدها القوى المعنوية قد قارب النهاية ، وأن المطاردة حتى ولو كانت المباشرة منها إذا أجريت بضغط لاهوادة فيه قد تحل هذه الجيوش حلا تاما . لذلك أصدر الجنرال اللنبي الأوامر ليوم ٩ نوفمبر وجه فيه القوات الراكبة على التينة و بيت دوراس بكل سرعة لتطويق خط نهر سكرير .

لكن فيلق الصحراء كان وقتئذ عاجزا عن القيام بأى مجهود مشترك أو مستمر فلم تتمكن سوى فرقة واحدة من سقيا حيواناتها ليلة ٩/٨ وهى فرقة الانزاك التى أجهدت فى العمل وكانت وحدها المستعدة للتقدم صباح ٩ ، أما الفرقة الاسترالية فلم تحصل إلا على القليل من المياه فى الثمانية والأربعين ساعة . وأما فرقة اليومنرى فلم تصل هوج إلا بعد ظهر ذلك اليوم بعد سير طويل لم تستق فيه على الاطلاق . لذلك أبقيت هاتين الفرقتين للسقيا وأرسلت فرقة الانزاك للأمام للدجل أولا ثم إلى بيت دوارس واسدود ، فأسرت الكثير من الأتراك الذين كانت مقاومتهم ذلك اليوم أضعف منها فى كافة أيام الانسحاب . ولو أن الفرق الثلاث تمكنت من التقدم لوقع معظم الجيش التركى فى أيديهم . وقد ذكر كرس فون كرسنشتاين الذعر الشديد الذى حل بمعسكر الجيش الثامن بعد الظهر عند ورود تقرير يدل على اختراق الفرسان الانجليزية ، فقد تبعثرت القوّات وقولات الذخيرة والحملات بلا نظام وأتلفت كافة وسائل المواصلات بين رئاسة الجيش والقوّات .

التقطت رسالة لاسلكية تركية يوم ٩ أفادت أن الجيش السابع أمره فوالكنهاين بالقيام بهجوم مضاد من حبرون على جناح الانجليز الأيمن ومواصلاتهم عند تقدمهم فى السهل . ولاعتقاد الجنرال اللنبي أن انحلال نظام قوّة حبرون لن يدفعه إلى تخصيص جزء كبير من قوّته لمقابلتها صمم على تجاهل هذا التهديد واكتفى بتحريك اواء الهجانة من بئر السبع إلى النجيلة ليكون على جنب أى هجوم يوجه ضده من التلال . وقد ظهر فعلا فيما بعد أن قوّة حبرون انسحبت إلى بيت جبريل بعد أن قامت بمظاهرة غير مؤثرة يوم ١٠

نقصت سرعة المطاردة يومى ١٠ و ١١ وزادت رياح حارة مجهدة من تعب الجنود والحيوان كما زادت كثيرا صعوبة دفع التعيين للقوات المتقـدمة ، وكانت السكة الحديدية قد مدت للأمام بسرعة قدر الامكان ولكنها لم تصل دير سنيد الا يوم ٢٨ نوفمبر، وقد عرقلت قلة العربات استعمال الخط التركى من غزه وبذلت البحرية أقصى مجهود فى المساعدة بانزال مخازن بالبر عنـد مصب وادى حسى ثم وادى سكرير بعد احتلالها . ورغم ذلك فلم يتيسر الا بكل صعوبة ارسال فرقتين من الفيلق ٢١ لامداد فيلق الصحراء الراكب .

تمت التحركات الآتية يومى ١٠ و ١١ ووصلت القوات للمحلات الآتيـة مساء يوم ١١ :

" فيلق الصحراء الراكب" : سارت الفرقة الاسترالية من هوج ليلة ٩/١٠ (السير الليلى الوحيد مدة المطاردة) ووصلت على يمين الأتراك قرب عرق المنشية وفالوجه. ووصلت فرقة اليومنرى الى ذلك الجنب ليلة ١٠ ولكنها أمرت يوم ١١ بالتحرك للجنب الآخر لكى تكون على يسار فرقة الأتراك ، وكان لواء الهجانة ولواء نيوزيلانده متحركين الى ذلك الجنب ايضا . وقد أنشأت فـرقة الأتراك رأسا للكوبرى على نهر سكرير عند جسر أزدود يوم ١٠ ثم زادت فيه يوم ١١

" الفيلق ٢١ " : تحركت الفرقتان ٥٢ و ٧٥ الى الخط بيت دوراس اسدود وقد قاتل اللواء القائد للفرقة ٥٢ قتالا عنيفا فى عملية صغرى أمام اسدود يوم ١٠ وثبتت الفرقة ٥٤ ولواء فرسان الخدمة الامبراطورى عند غزه .

"الفيلق ٢٠": اتخذت الفرقة ٥٣ ومعها ألاى فرسانها موقعا على التلال شمال بئر السبع ، ووقفت الفرقة ٦٠ عند هوج والفرقتان ١٠ و ٧٤ عند كرم . ازدادت مقاومة الأتراك فى هذين اليومين وظهر أنهم ينوون الثبات ليستروا مواصلة سكة حديد القدس مع السكة الحديدية الأصلية . وقـد وضع الأتراك قوات منفصلة أمامية على طول نهر سكرير لتعطى الوقت اللازم لتنظيم الموقع الأساسى على وادى سرر ونهر روبن واحتلاله . صمم الجنرال اللنبى على تطويق الجنب الأيمن لموقع الأتراك المذكور الذى كان يمتد شمالا وجنوبا من الكبيب إلى بيت جبريل، فأوكل

إلى الفرقة الاسترالية حراسة جنبه الشرقي واستلفات نظر الأتراك إليها بقدر إمكانها، وأمر المشاه بمهاجمة يمين وسط الأتراك بينما تطوق القوات الراكبة الأخرى جناحهم الأيمن .

وصلت القوة ليلة ١٢ إلى مواقع الهجوم . ففي الشرق كانت الفرقة الاسترالية متقدمة على تل الصافي ولكن أربعة فرق تركية هاجمتها هجوما عنيفا مضادا وصدتها لمسافة ما ، أما في الجنب الآخر فإن الفرقة ٥٢ قاتلت قتالا عنيفا عند برقة شمال وادي سكرير، وكلفها استيلاؤها عليها خسائر تزيد على ٤٠٠ ولكنها فتحت طريقا للتقدم في اليوم التالي إلى موقع الأتراك الأساسي .

قد لا تزيد قوة الاتراك الذين قاموا بالمحاولة الأخيرة لانقاذ فرع سكة حديد القدس عن ٢٠٠٠٠ مقاتل ،وكان موقعهم رديئا من الوجهة الاستراتيجية إذ أن واجهتهم كانت موازية لخط المواصلات الرئيسي للشمال وكان جنبهم الشمالي يكاد يكون مطوقا ويرجع ذلك بنوع خاص الى السير الشاق والقتال الذي قامت به الفرقة ٥٢ التي ساعدت القوات الراكبة . ورغم عدم ملاءمة الموقع التركي تكتيكيا لامتداده على واجهة واسعة بلغت ٢٠ ميلا فانه كان قويا من الوجهة الطبيعية وهذا ما عوض بعض الشيء عن ضعفه ، والأرض فضاء تصلح للزراعة ولكنها كانت وقتئذ خالية مكشوفة . وكانت القرى العديدة المبنية عادة فوق ربوات صخرية وتحيط بها حواجز التين الشوكي بمثابة مراكز قوية للمقاومة وكانت هيكلا قويا للموقع التركي ، وأهم هيئات ميدان القتال المهمة قريتان هما قطره والمغار الواقعتان على مرتفعات حاكمة يفصلهما وادي الجاموس الذي يصل بين وادي سورر ونهر روبن؛ وتمتد الأرض المرتفعة التي تقع عليها المغار شمالا نحو زرنوكه والكبيب وكانت العمود الفقري لدفاع الأتراك عند جنبهم الأيمن المهدد .

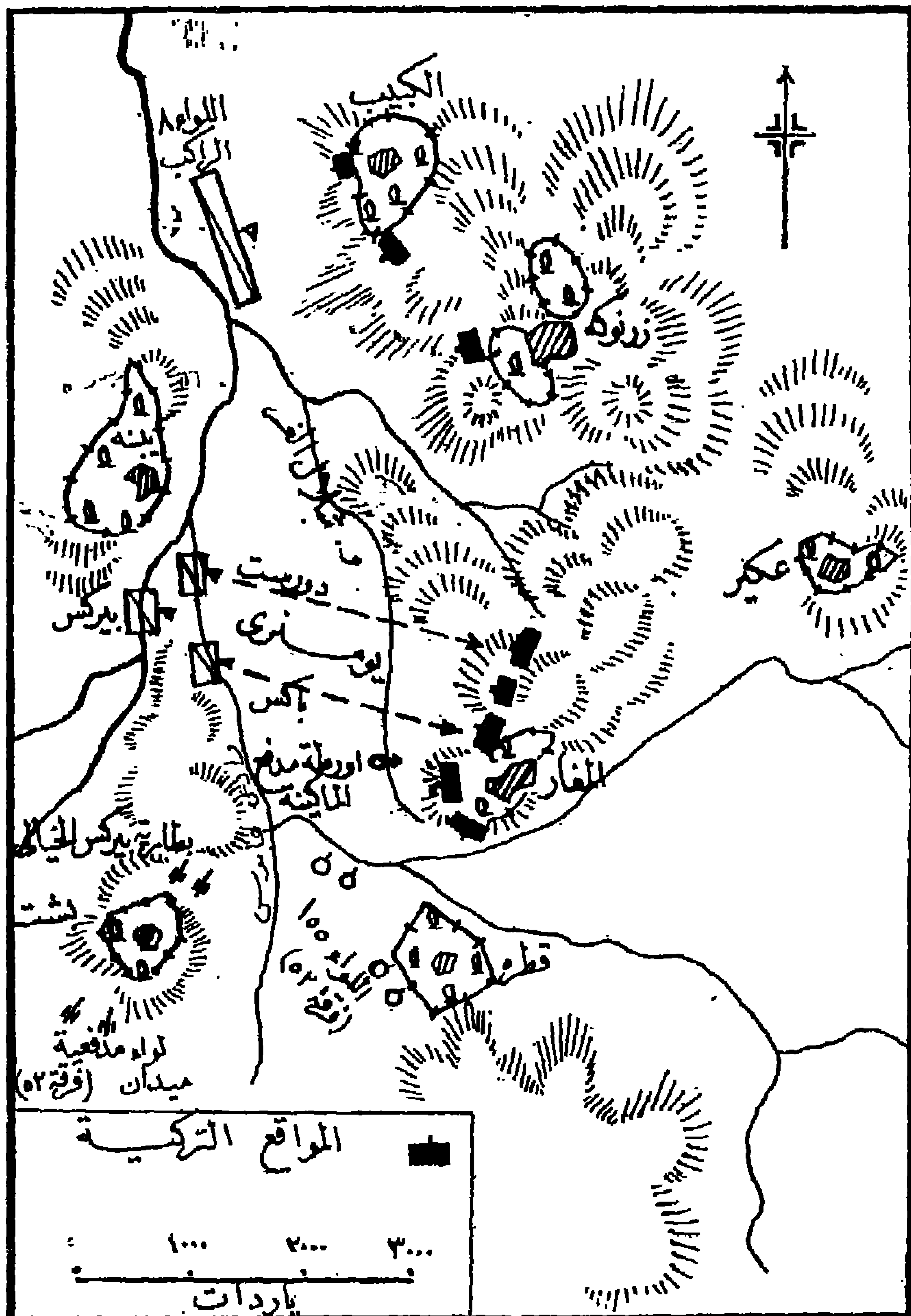
أمر الجنرال اللنبي الفرقة الاسترالية أن تهجم جنوب الطريق العمومي غزه — محطة المواصلة ،وأن يقوم الفيلق ٢١ (الفرقتان ٧٥ و ٥٢) بالهجوم بين الطريق وقطره قاصدا محطة المواصلة والسكة الحديدية شمالها مباشرة . وأن تهجم فرقة

(١) يحتمل جدا أن تكون محل مدينة غات القديمة .

(٢) قصد فولكنهاين أن تكون هذه العملية ضربة مضادة كبيرة ولولا مقاومة الفرق الاستراليه وتعب الأتراك لأصبح الموقف خطرا .

اليومنرى تساعدها فرقة الأنزاك على يسار الفيلق ٢١ ويشتغل لواء الهجانة على التلال الرملية الممتدة بجوار الشاطئ وعند الوصول الى محطة المواصلة والسكة الحديدية تلف القوات الراكبة شمالا لتستولى على الرملة واللد ولتقوم بالاستطلاع الى يافا .

اقتحام اليومنرى عند المغار



الخريطة نمرة ١٣

بدأ الهجوم الساعة ٧ صباح ١٣ نوفمبر . وقبـل الساعة ١٠ صباحا استولت الفرقة ٧٥ — التي تحركت مع الطريق العام — على تل الترمس وكستنه بمقاومة بسيطة واسـتولت الفرقة على ٥٢ بشت واليومنرى على يبنه — ثم بدأ القتـال العنيف فجاهدت الفرقة ٧٥ للوصول الى مسمية ، أما الفرقة ٥٢ فأوقفت نهائيا أمام قطره والمغـار ، ولم يكن لليومنرى أى تأثير على قريتى زرنوكة والكبيب القو يتين وعند الساعة الثانية والنصف اتفق قائدا الفرقتين ٥٢ واليومنرى على أن يقوم لواء الفرسان السادس بهجوم وهو راكب على تبة المغـار بالاشتراك مع الفرقة ٥٢ التى تهاجم قطره والمغار مرة أخرى .

كان البريجادير جنرال جودوين قائد اللواء السادس الراكب قد وضع ألاى الباكس و يومنرى دورست خلف ستر بوادى الجاموس و بطارية بيركشير الخيالى وسـتة مدافع ماكينة من أورطة مدافع المـاكينة الخيالى لتضرب نيرانا ساترة . تقدم الآلايان الساعة ٣ بعد الظهر فى العراء بسير الغـار بهيئة قول أورط والعساكر منتشرة بفاصل أربعـة خطوات وكان عليهما أن تقطعا ٣٠٠٠ يارده تحت نظر العدو ونيرانه ، سـارت القوة الألف ياردة الأخيرة بالسـير المضاعف وقامت بالاقتحام صاعدة التل الشديد الانحدار عدا أورطة واحدة من الدورست فى اليسار فإنها ترجلت عند وصولهـا التل وصعدت حتى القمة على الأقدام . وصل الألايان الى غرضهما على قمة التبة ورغم ذلك ثبت الأتراك بقرية المغار حتى طردتهم منها فيما بعد أورطتا فرسان ألاى الاحتياط — البيركس — قاتلتا مترجلتين ، وأورطتان من اللواء ١٥٥ من الفرقة ٥٢ اللتان جددتا هجومهما عندما اقتحمت الفرسان ، استمر القتال بالقرية حتى الساعة الخامسة مساء .

غنمت اليومنرى فى عمليتها مدفعى ميدان و ١٤ مدفع ماكينة وأكثر من ١٠٠٠ أسـير . ورؤى بالميدان مئات من قتلى الأتراك . ولم تمكن المطاردة على الجنب الثـانى للتبه لأن الخيل أنهك قواها السير الطويل بالخطوة المضاعفة وصعود التل . ولذا تمكن كثير من الأتراك من الهرب وخاصة لأن ذلك الجنب كان شديد الانحدار . وأوقف اللواء ٢٢ الراكب الذى كلف باستغلال النجاح

بسبب المقاومة التى قابلها عند عكير ، وبلغت خسائر اليومنرى ١٦ قتيلا و ١١٤ جريحا و ٢٦٥ حصانا أى ١٦ ./٠ من الجنود و ٣٣ ./٠ من الخيول ، وكانت الخسائر فى الخيول بأورطة الدورست التى ترجلت وقاتلت على الأقدام أكثر منها فى الأورط الأخرى التى اقتحمت راكبة . وكانت نيران المدافع ومدافع الماكينة الساتره مؤثرة جدا . وقدم لواء من مدفعية الميدان بالفرقة ٥٢ مساعدة قيمة بضربة التبه عندما رأى قائده أن اليومنرى بدأت هجومها . ورافقت باقى مدافع ماكينة اليومنرى (٢ بكل آلاى) القوّات المهاجمة وكانت فعالة فى تعزيز الموقع ومطاردة الأتراك بالنيران ، وقد استعملت أيضا مدافع الماكينة التركية التى وقعت فى يد الإنجليز فى ذلك العمل .

تمكنت الفرقة ٥٢ أثناء ذلك من الاستيلاء على قطره و بلغت خسائر اللواء ١٥٥ عند قطره والمغار نحو ٥٠٠ وخسائر الأتراك ما بين قتلى وجرحى وأسرى ألفين . وضغطت الفرقة ٧٥ على مسمية حيث أسرت ٣٠٠ أسير ، ورغم أن اللواء المكلف بالاستيلاء على محطة المواصلة وقف قبل الوصول إليها بسبب الظلام فإن المقاومة التركية زالت والقوات التركية بأجمعها كانت فى تقهقر تام .

احتل محطة المواصلة صباح يوم ١٤ لواء من الفرقة ٧٥ ساعدته مساعدة فعالة بضع سيارات مدرعة . ودخلت الفرقة الاسترالية التينه . وقاتل لواء نيوزيلنده الراكب فى عملية صغرى باهرة عند عيون قارة قرب سرفند حيث قام الأتراك بهجوم مضاد عنيف ولكنهم صدوا باقتحام بالسونكى .

فى يوم ١٥ تقدمت الفرقة الاسترالية والفرقة ٧٥ شرق محطة المواصلة تجاه لطرون حيث يخرج طريق يافا — القدس من التلال ؛ واستولت فرقة الأنزاك أثناء ذلك على الرملة واللد . وكان الجيشان التركيان السابع والثامن منفصلين وقتئذ و بينهما مؤخرة تركية محتلة الأرض المرتفعة حول قرية أبو شوشة التى تستر مدخل وادى عجالون أحد ممرات تلال يهوذا المهمة . أمرت اليومنرى بطرد هذه المؤخرة فقام اللواء الراكب السادس بعملية أخرى باهرة وهو راكب فوق أرض وعرة جدا انتهت بأسر ٣٥٠ وقتل ٤٠٠ تركى . وكانت خسائر اليومنرى أقل من ٥٠ وفى يوم ١٦ احتلت الفرقة الاسترالية لطرون ودخل لواء نيوزيلانده يافا بلا مقاومة .

وبالاستيلاء على يافا وانسحاب الجيش التركى الثامن إلى خلف نهر العوجه واحتماء الجيش السابع بتلال يهوذا انتهت المطاردة بسهل فيسلتيا .

تقدمت القوات الانجليزية نحو ٥٠ ميلا فى العشرة أيام التالية لكسر الخط التركى عند غزه — بئر السبع . وقطعت أغلب الفرسان ١٧٠ ميلا ما بين ٢٩ أكتوبر ١٤ نوفمبر . وسارت الفرقة ٥٢ نحو ٦٩ ميلا وقاتلت فى ٤ عمليات عنيفة فى ٩ ايام وخسر الأتراك نحو ١٠٠٠٠ أسير و١٠٠ مدفع ولكنهم تجنبوا الفناء التام الذى كان يهددهم وقتا ما . ولم يكن قتال مؤخرتهم العنيف ولا سير مشاتهم الشديد بمنجيهم لولا قلة المياه وبعثرتها للقوات الانجليزية الراكبة المطاردة وتحديدها لسرعة تحركهم .

بلغت خسائر الانجليز فى أيام المطاردة — من ٧ إلى ١٦ نوفمبر — نحو ٦٠٠٠ أو يزيد .

٢ — المحاولة الأولى للاستيلاء على القدس

كان استيلاء الانجليز على محطة المواصلة وتحركهم التالى للرملة ويافا بالنسبة للجيشين التركيين السابع والثامن بمثابة الوتد الذى يدق فى شق بقطعة من الخشب ، فقد عقد مشكلة تموينهما ، وكان الجيش الثامن قاعدا على السكة الحديدية الأصلية أما الجيش السابع الموجود بالتلال حول القدس فقد كان يعتمد على الحملات البرية أما بطريق نابلس أو طريق عمان الواقعة على سكة حديد الحجاز ، والمسافة من القدس إلى الأولى ٤٠ ميلا وإلى الثانية ٥٠ ميلا . ولم يكن هناك مواصلات عرضية (من جنب لجنب) جيدة بين الجيشين جنوب الخط طلكرم — نابلس . وبقى أمام الجنرال اللنبى أن يختار أى الجيشين المعادين يقاتل أولا .

كان قراره الأصلى أن يقف بعد تنظيف السهل الساحلى حتى يافا وان لا يتقدم إلى الأراضى التلية الوعرة إلا بعد أن تنظم مواصلاته لتسمح بوجود كافة قواته بالخط الأمامى ، إلا أنه صمم الآن على أن ينتفع من انحلال الأتراك بالتقدم فى الحال على القدس ، وكان جريئا فى قراره فقد كانت خدمات التموين مجهدة كل الاجهاد وستزيد فى صعوباتها أو قد تسبب فشلها التام أمطار الشتاء التى آن

أوان هطولها (١) وكانت القوات الموجودة قد قامت بكثير من العمل الشاق ، ولم تكن الخرائط الوافية للأراضي بينهم و بين القدس متوفرة ، وقد حذر تاريخ الوقائع التي وقعت بفلسطين — التي كان الجنرال اللنبي قد درسها درسا دقيقا — تحذيرا صريحا وأظهر مآل أى هجوم طائش أو ردئ المساعدة يوجه على الحصون الطبيعية القوية بقرب تلال يهوذا التي ردت الأشوريين والرومان والصليبيين على أعقابهم . وقد قال آدم سميث فى هذه القلاع " اتفقت كافة الأشياء على أن تعطى للأهلين القليلي العدد وسائل سهلة للدفاع أمام جيوش قوية ، فهى بلاد المخابىء والعراقيل والمفاجآت ، لا تجد فيها الجيوش الكبيرة مسافة تكفيها للقتال ، و يتيسر فيها للدافعين الاختفاء ، وأهم لوازم القتال فيها الأقدام الخفيفة الثابتة والقدرة على التسلق والاقتحام ". ولم تنس وزارة الحربية الدمار الذى حل بسياسة التقدم فى العراق منذ سنتين ، ولذا أرسلت تلغرافا تحذر فيه الجنرال اللنبي من توريط جيشه فى عمل أكثر من طاقة القوة التي تحت قيادته وأفهمته أنه قديرى من اللازم فى السنة التالية انقاص القوات بالشرق الى أقل حد ممكن .

وأزن الجنرال اللنبي بين كل هذه الاعتبارات وبين الحكمة فى استمرار الضغط على قوات عدوه قبل أن يستفيق من إنحلاله وينظم دفاعه فى هذه التلال العديمة الطرق . وأخيرا صمم على العمل فى الحال وأعطى القوات راحة يوم كامل يعاد فيه تخصيص الحملات للقولات ، وكان ذلك يوم ١٧ نوفمبر على أن تبتدئ العمليات ثانية يوم ١٨

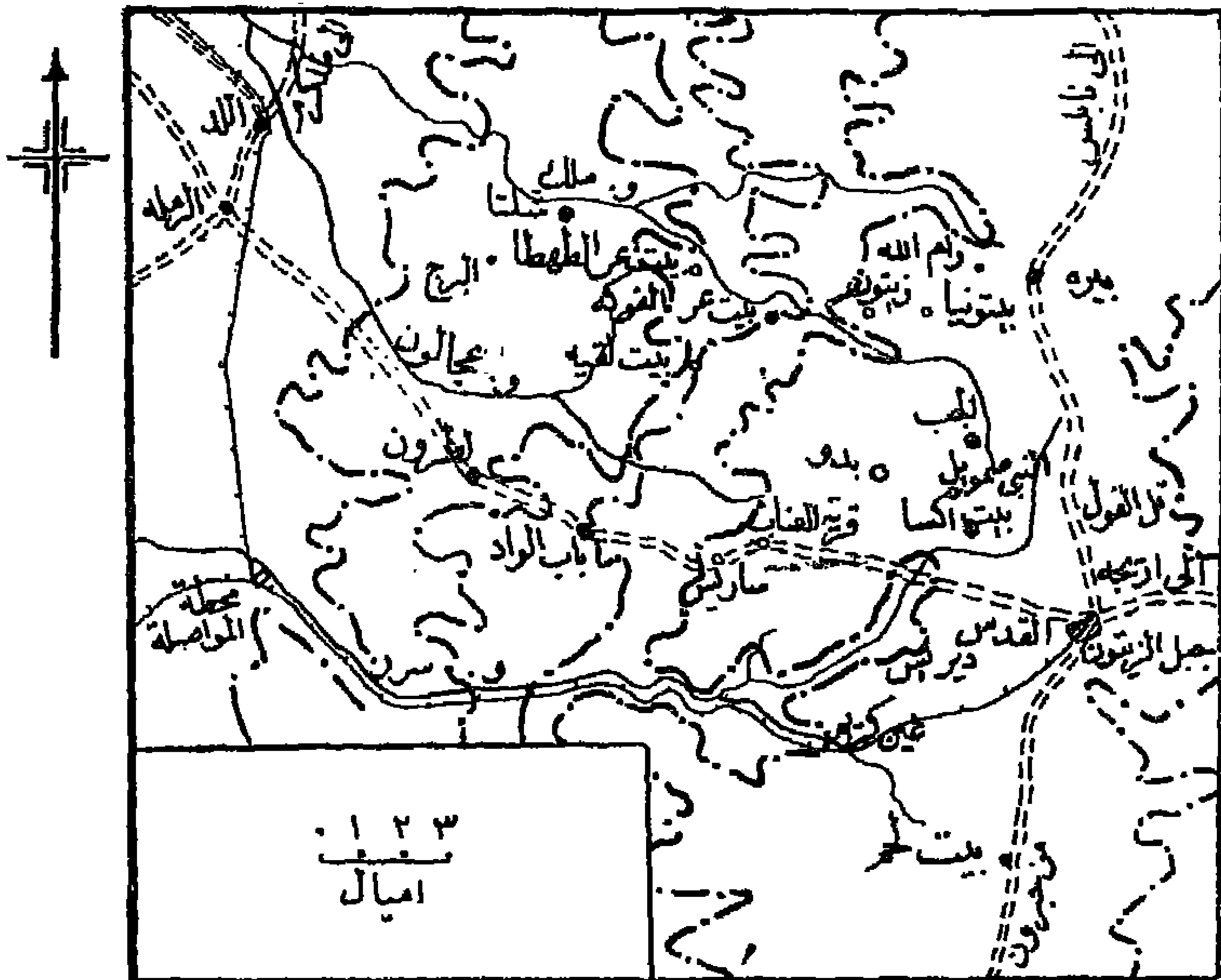
نصت الأوامر على أن على الفيلق ٢١ ومعه فرقة الأنزاك ولواء الهجانة أن يتخذ خطا فى السهل بينما تتقدم الفرقتان الثانيتان من فيلق الصحراء إلى التلال ، و بمجرد أن يتخذ الفيلق ٢١ مواقعة بأمان تنضم فرقة الأنزاك والهجانة إلى فيلق الصحراء الذى كان سيمد أيضا بفرقة من الفيلق ٢٠ عندما يمكن احضارها ولكن هذه الأوامر عدلت لأن القتال حول لطرون يوم ١٨ أظهر بوضوح أن عبور الممرات عنوة هو عمل يخص المشاه .

(١) كانت وسائل التموين فى النصف الثانى من نوفمبر هى : اللوريات من ديرسنيد (رأس السكة الحديدية) الى محطة المواصلة واستعملت لوريات أخرى ما بين محطة المواصلة والقوات ، أما التعيينات التى تنزل برا عند مصب وادى سكرير فكانت تنقل بالجمال الى الرملة ومنها باللوريات الى لطرون أما السكة الحديدية التركية الضيقة من ديرسنيد الى محطة المواصلة فلم تكن تصلح إلا للقليل لقلة العربات .

لذلك وضعت الخطة الآتية :

عهد إنشاء الخط الدفاعي بالسهل الذي يستر المواصلات الرئيسية إلى فرقة الأنزاك والفرقة ٥٤ التي وصلت عندئذ من غزه، باقى الفيلق ٢١ يتقدم إلى التلال فتسير الفرقة ٧٥ على جنبي الطريق الرئيسي ما بين يافا والقدس ، وعلى يسارها الفرقة ٥٢ ، وتسير على يسار هذه فرقة اليومنرى مارة ببيت هرون متجهة إلى بيره التي تبعد عن شمال القدس عشرة أميال وعلى طريق نابلس ، ويشتغل لواء من الفرقة الاسترالية على يمين الفرقة ٧٥ صاعدا الوادى الذى تسير فيه السكة الحديدية ، وسحبت باقى الفرقة إلى الشاطىء لتخفيف الضغط على المواصلات ، وكان التصميم بوجه عام أن الفرقة ٧٥ — عند ما تصبح على بعد معلوم من القدس — تتقدم شمالا بشرق على بيره، وأن تلف كل القوة مرتكزة على اليمين قاطعة الطريق العام من نابلس وبذا تقطع مواصلات الأتراك وترغمهم على إخلاء القدس . وأمر بأن لا يجرى أى قتال على مدى ستة أميال من المدينة المقدسة .

العمليات حول القدس
من ١٨ نوفمبر الى ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧



الخريطة نمرة ١٤

فى يوم ١٨ عند ما كانت الفرقة الاسترالية تحاول إخراج الأتراك من لطرون تقدمت فرقة اليومنرى بنجاح نحو بيت هرون السفلى (بيت عر الطهطا)، واحتشدت الفرقة ٧٥ مواجهة لطرون ، والفرقة ٥٢ عند الرملة واللد . وفى يوم ١٩ اندفعت فرقتا المشاة إلى التلال وفى نفس الوقت بدأ الشتاء بمطره الغزير وهبطت درجة الحرارة بغتة .

يمر الطريق العام الذى ستسير عليه الفرقة ٧٥ بمضيق على بعد بضعة أميال شرق لطرون ويمتد الطريق فى هذا المضيق على منحدر شويد طوله ٤ أميال حتى يصل تبه تقع عليها قرية ساريس وقرية العناب . وكان الاتراك قد أتلفو الطريق فى عدة مواقع . أما الطريق الذى سلكته الفرقة ٥٢ وفرقة اليومنرى فيمر بوادى عجالون الشهير الذى مرت به هجمات عديدة وجهت على قلاع يهوذا ومنها منذ اليوم الذى أمر فيه يوشع الشمس أن تثبت حتى يتم دمار آل كنعان. وقد رسمت هذه الطرق على الخرائط كأنها طرق رومانيه ولكن ظهر بعد ذلك أنها مجرد دروب للواشى لا تصلح قطعيا لسير العجلات ولا للجمال إلا بعد إصلاح . ووسائل النقل الوحيده بين قرى هذه التلال هى الحمير ، وكان الأهالى يعتبرون الطريق الذى يمكن أن تسير عليه الحمير طريقا جيدا .أعادت فرقة اليومنرى كل عرباتها للخلف بما فيها المدافع وذلك يوم ١٨ ، وفى اليوم الثانى رأى اللواء القائد للفرقة ٥٢ استحالة سير العربات للأمام . واجناب التلال الصخرية شديدة الانحدار تكثر بها الجروف الهاوية وتكثر الصخر بالوديان الملتوية الواقعة بين هذه التلال .

كان بالفرقة ٧٥ بعض أورط الجركه والوحدات الهندية الأخرى التى اعتادت القتال فى أحوال مشابهة فى حدود الهند الغربية . جاهدت هذه الفرقة يوم ١٩ حتى أصبحت قريبة من ساريس الواقعة على رأس مضيق باب الوادى . ووصل اللواء القائد للفرقة ٥٢ إلى بيتـه لقيه واليومنرى الى بيت عر الطهطا وقد قاسى الجنود ، الذين كانوا بملابسهم الصيفية وبلا كبابيد ومعهم القليل من البطاطين ، الكثير من البرد والرطوبة . وكانت الصعوبة عظيمة فى استحضار جمال المؤونة فوق الصخور وخوضا فى الوحول .

كان يوم ٢٠ كسابقه باردا رطبا ، وقوبلت الفرقة ٧٥ بمقاومة شديدة على التبه حول ساريس وقرية العناب ، ولم يتيسر إلا القليل من نيران المدفعية الساترة للشاة لأن المدافع لم يمكن تحريكها خارج الطريق فى جزئه المار بالمضيق . سقطت ساريس بعد الظهر بعد قتال شديد ولكن التبه خلفها عند قرية العناب كانت أشد قوة . ولحسن الحظ هبطت شابورة عند ما كانت الجنود تفتح للهجوم فأعمت أعين مدفعية المدافع الماكينة التركية كأحسن ما تعمل أى ستار من الدخان تطلق بمهارة . اقتحمت تحت ستر الشابورة ثلاثة أورط للشاة بالسونكى وتم للفرقة ٧٥ احتلال التبه بأجمعها قبل الساعة السادسة مساء ، وبذلك سترت السير بالطريق العام فى جزئه الواقع بالمضيق . تقدمت الفرقة ٥٢ بعض التقدم ، جهدت فرقة اليومنرى طول اليوم فى الوصول إلى طريق نابلس عند بيره ولكن بلا جدوى ، وكان مفتاح الموقع هناك تبه زيتون الشهيرة وتقع على طرفها الشرقى قرية بيتونيا غرب قريتى رام الله و بيره مباشرة وكانت تحتلها قوة قوية من ٣٠٠٠ تركى تساعدهم بطاريات مدفعية عديدة لم يكن مع اليومنرى مقابلها سوى بطارية هونج كونج وسنغافوره وبها أربعة مدافع جبلية ، والخيول فى مثل هذه الأراضى عبء إذ تقلل من النيران بخط النار وتعرقل مسألة التموين ، ورغم الجهود الصادقة التى بذلتها فرقة اليومنرى التى قاتلت على الأقدام فلم يمكنها التقدم .

فى يوم ٢١ ابتدأت الفرقة ٧٥ ، بعد أن أمنت على جنبها الأيمن عند عناب ، فى التحرك شمالا بشرق على بيرة قاطعة واجهة الفرقة ٥٢ وعند وصولها إلى بدو وجدت أن مرتفع النبي صموئيل الواقع على يمين الجبهة يتحكم فى الطريق إلى بيرة كل التحكم فهاجم اللواء ٢٣٤ ذلك التل واحتل قمته قبيل منتصف الليل ، وقد ظهر أن احتلال النبي صموئيل — النقطة العظيمة الأهمية — هو أقصى ماوصل اليه الانجليز فى محاولتهم الأولى للاستيلاء على القدس ، فبينما كانت الفرقة ٧٥ تهاجم ذلك التل طردت كثرة الأتراك فرقة اليومنرى من زيتون التى استقرت عليها بكل بسالة منذ الصباح ، وارتدت الفرقة الى بيت عمر الفوكه "بيت هرون الشمالى" . هاجمت الفرقة ٧٥ ثم الفرقة ٥٢ من يوم ٢٢ الى يوم ٢٤ تبه الجب وهو يقع على المرتفع بين النبي صموئيل و بيتونيا ولكن لم تتمكن إحداهما من الاستيلاء عليه رغم أن الفرقة ٥٢ بعد مجهود عظيم كانت قد مهدت طريقا من بيت لقيه

تمكنت أن تسير عليه بعض المدفعية إلى بدو . قام الأتراك أثناء ذلك بثلاثة هجمات مضادة عنيفة على النبي صمو يل التى تشرف على دفاعات القدس وعلى المدينة نفسها [١] .

أصدر الجنرال اللنبي يوم ٢٤ أوامره بعدم الاستمرار فى الهجوم و بتعزيز الخط المكتسب إذ أن الأتراك كانوا بمواقع حصينة لا يمكن طردهم منها إلا بعد استحضار مدفعية وقوات أخرى ، وكانت الفرقتان ٥٢ و ٧٥ فى قتال وسير منذ ثلاثة أسابيع وقد نقصتا كثيرا بسبب الخسائر ، وكانت فرقة اليومنرى كذلك ، وقد تحملوا طيلة هذه الأسابيع الثلاثة أقصى الحرارة والبرد وغالبا ما عاشوا على تعيينات مخفضة ، ورغما من أن محاولة الاستيلاء على القدس قد فشلت إلا أنها لم تكن عبثا ، وقد بررت المجازفة بها فلو أنها تأخرت وتوفر للأتراك الوقت لتنظيم دفاعهم فى الممرات السفلى لكان احتلالها فيما بعد عملية أبطأ وأكثر تكاليفا .

ظلت الحالة بالسهل الساحلى كما هى حتى ١٤ نوفمبر عند ما أمرت فرقة الأنزاك الراكبة بتأمين رأس كبرى على نهر العوجه يفكره تثبيت التفات الجيش التركى الثامن على جبهته لمنعه من ارسال قوات منه للجيش السابع ، فعبر لواء نيوزيلنده الراكب النهر عند مخاضه بمصبه و بعد عملية صغرى باهرة طرد نقط الأتراك الخارجية وتمكن من إنشاء رؤوس كبارى عند خرابة الحضرة والشيخ مؤانس التى احتلتهما أورطتان من الفرقة ٥٤ [٢] ولكن الأتراك هاجموها بجموع عديدة فى فجر ٢٥ وطردوهم عبر النهر وأصبحت الحاجة ماسة إلى قوات أخرى إذا أريد إنشاء موقع شمال العوجه .

٣ — الاستيلاء على القدس

انقضت فترة مدتها أسبوعان بين المحاولة السابقة و بين الهجوم النهائى على القدس استحضر فيها الفيلق ٢٠ وغيرت فيها أوضاح الفرق وتمت فيها كافة التحضيرات الأخرى التى شملت الطرق العديدة . عهد الهجوم الجديد إلى الفيلق ٢٠ الذى غير الفيلق ٢١ بالتلال الذى حل محل فيلق الصحراى الراكب بالسهل بالخط المواجه

(١) قيل إن هذا المحل هو الذى وقف عنده ريكاردوس قلب الأسد وغطى وجهه ورفض أن ينظر للدينة التى عجز عن أخذها .

(٢) انظر الخريطة (١٥).

الرملة ويافا ، وكانت الفرقة ٦٠ قد سارت شمالا من غزه يوم ١٩ نوفمبر فوصلت لطرون يوم ٢٣ وغيرت الفرقتين ٧٥ و ٥٢ فيما بين يومى ٢٥ و ٢٨ ، وفى يوم ٢٨ تم استلام الفيلق ٢٠ الخط بالتلال ووصلت الفرقة ٧٤ فى نفس اليوم إلى لطرون وتبعتها بعـــد يومين الفرقة ١٠ وبقيت الفرقة ٥٣ ومعها ألاى فرسـان الفيلق وبطارية ثقيلة ملحقة على طريق حبرون شمال بئر السبع واسميت " قوة موتت " ووضعت تحت الرئاسة العامة مباشرة .

انتفع الأتراك بهذه الفترة وقاموا بعدة هجمات مضادة على الخط الانجليزى بقوات منتخبة أسميت قوات الاقتحام ، ولم تعرف الحكمة التكتيكية فى هذه الهجمات التى لا شك فى أنها ألمـانية الفكرة ، ولكن موقف الانجليز كان يسمح بهذه العمليات الثأرية ، فقد كانت فرقة اليومنرى المكونة وقتئذ مما لا يزيد عن ١٠٠٠ جندى متعب منتشرة على واجهة طولها أربعة أميال وعلى يسارها قرب بيت عرا لطهطا ثغره طولها خمسة أميال تمتد إلى يمين الفرقة ٥٤ عند شلتا ويقع خلف هذه الثغرة وقريبا منهـا خط التموين الرئيسى من اللد وكان معرضا ، بدأت الهجمات يوم ٢٧ عند ما هوجمت أقصى نقط اليومنرى عند زيتون بالحافة الغربية لتبه بيتونيا بقوات تفوقها عددا بمراحل ، ولكن النقطة قاومت ببسالة رغم ذلك وأوقفت العدو بعيدا حتى يوم ٢٨ عند ما أضطرت الفرقة التى أصبح الضغط شديدا عليها بطول الخط إلى الانسحاب لا من زيتـــون فقط بل ومن بيت عر الفوكة ، واخترق الأتراك الثغرة بين اليومنرى والفرقة ٥٤ وأبادوا صنفا من قول ذخيرة اليومنرى واكتسحوا نقطة اليمين من الفرقة ٥٤ ولحسن الحظ كان الاحتياط قريبا فاستدعيت الفرقة الأسـترالية واللواء السابع الراكب سائرين سيرا إجباريا وكان لواء من الفرقة ٥٢ ميسورا فسدت بهم الثغرة وطرد الأتراك عن المواصـلات ، ثم غيرت الفرقة ٧٤ فرقة اليومنرى التى قاربت على الفناء .

حدث أثناء الغيار يوم ٣٠ نوفمبر أن قوة صغيرة من الفرقة ٧٤ قوتها ٨٠ جنديا سارت بخريطة غير وافيـة ووصلت بنوع الخطأ إلى بيت عرالفوكة خلف خط الأتراك ، وباظهارهم جبهة قوية أمكنهم أن يخدعوا ٤٥٠ تركيا سلموا أنفسهم ، وقد أحضروا منهم فعلا ٣٠٠ إلى الخطوط الانجليزية .

قامت أورطة اقتحام تركية يوم أول ديسمبر بهجوم باسل صادق على نقطة البرج جنوب شلتا التى كان بها الاستراليون ، وكانت إحدى اورط الفرقة ٥٢ فى طريقها لتستريح فانضمت اليهم لمساعدتهم وأبادوا الأورطة التركية بأجمعها وقد قتل منها ما يزيد على ١٠٠ وأسر ١٧٢ منهم الكثير من الجرحى ، وقد علم فيما بعد من اللاجئين أن اختفاء الأورطة التام آلم الأتراك وحيرهم ، وكانت خسائر الانجليز دون الستين ،وصدت فى نفس اليوم هجمات على بيت عرالطهطا والنبي صمويل بخسائر جمة للأتراك ، وغيرت الفرقة ١٠ يوم ٢ ديسمبر الفرقة ٥٢ التى انسحبت لتستريح الراحة التى استحقتها بجدارة ، وفى يوم ٣ ديسمبر استرجعت أورطة من الفرقة ٧٤ بيت عرالفوكة ولكن تعذر عليها الاستمساك بها لأنها محكومة بأرض أكثر ارتفاعا واضطرت للانسحاب بعد أن خسرت نحو ٣٠٠ ، هدأ القتال بعد ذلك وأصبح بالخط بالتلال ثلاث فرق جديدة من الفيلق ٢٠ وسدت الفرقة الأسترالية الثغرة بين شمال الفيلق و يمين الفرقة ٥٤، وأصبح الموقع آمنا ، ولم يستفد الأتراك من هجماتهم المضادة بل تكبدوا خسائر جمة فى القوات القليلة الباقية التى يعتمد عليها كل الاعتماد .

حدد يوم ٨ ديسمبر للهجوم الثانى على دفاعات القدس ، و يرجع فشل المحاولة الأولى — التى أجرى فيها الارتكاز على اليمين والالتف مع الاندفاع للشمال عبر طريق نابلس — بنوع خاص إلى قلة الطرق فى الأراضى الواقعة شمال غرب القدس الشئ الذى سبب حرمان المشاة من مساعدة المدفعية الضرورية بينما كان طريق نابلس القدس الرئيسى خلف مواقع الأتراك و يمكنهم تقوية أى نقطة مهددة بسرعة . غير الجنرال تشتوود قائد الفيلق ٢٠ خطة الهجوم فقرر أن يرتكز على اليسار وأن يدفع يمينه مارا بضواحى القدس الغربية عابرا طريق نابلس شمال القدس مباشرة و بذا يقع وسط الهجوم الرئيسى على الطريق الوحيد الجيد الذى يمتلكه الانجليز ويمكن الحصول على أقصى ما يمكن من نيران المدفعية المساعدة . و يقوم بالهجوم الفرقتان ٦٠ و ٧٤ بينما ترسل الفرقة ٥٣ (التى أعيدت وقتئذ للفيلق ٢٠) لوائين إلى بيت لحم بطريق حبرون ليحميا الجنب الأيمن للهجوم ولميرا حول شرق البلدة لقطع مواصلاتها مع اريحه .

اتخذت القوات مواقع الهجوم بين ٤ ديسمبر و ٧ منه فامتد يمين الفرقة ١٠ لتتمكن الفرقة ٧٤ من التجمع لتغير الفرقة ٦٠ عند النبي صمويل الذى هو المحور

الرئيسى للهجوم . احتشدت الفرقة ٦٠ جنوب الطريق عنـاب — القدس وكان عليها أن تهجم و يسارها على ذلك الطريق و يمينهـا غرب طريق حبرون بقليل متصلة بالفرقة ٥٣ التى عليها أن تصـل إلى موقع قريب من استحكامات بيت لحم قبل يوم ٧ ديسمبر ، وكان على الألاى العاشر من الفرسان الاسترالية الخفيفة[1] وألاى فرسان الفيلق (يومنرى و رستر شير) أن يصـلا بين الفرقتين ٥٣ و ٦٠ وتستر الهجوم مدفعية الفرق ، ثلاث بطاريات جبلية (بطاريتان مع الفرقة ٦٠ والثالثة مع الفرقة ٧٤) وثلاث بطاريات هوتزر قطر ٦ بوصة و بطارية ونصف من المدافع عيار ٦٠ رطلا .

لم تتيسر هذه التحضيرات الا باجهاد خطوط المواصلات لأقصى حد ، وكان المنتظر أن تصل السكة الحديدية بالاتساع العـادى الى المدجل يوم ٨ ديسمبر ، واستعمل الخط التركى من ديرسنيد الى الرمله ولكن طاقته كانت محـدودة ولذا فالجمال واللوريات كانت عماد نظام التموين، وقد لايمكن استعمال هاتين الوسيلتين اذا هطلت امطار غزيرة فى أى وقت على السهل الساحلى. وقد تحملت الجمال الكثير من البرد والرطوبة ومن الواضح أن الطرق التركية لن تتحمل كثيرا بطبيعة الحـال لضعف دكتها وقد استحضر ٢٠٠٠ حمار من القطر المصرى للعمل بالتلال وعاد استعمالها بفائدة كبيرة[2]

هطلت أمطار مسـتمرة يوم ٧ ديسمبر اليوم السابق للهجوم واستمرت ليـلة ٧ أغسطس فعطلت سير الفرقة ٥٣ وأتعبت جميع القوات كثيرا . وفى أثناء الليل نزل اللواء ١٧٩ من الفرقة ٦٠ الى وادى سرر وتمكن قبل الساعة ٣ ونصف صباح ٨ منه من الاستيلاء على الأرض المرتفعة جنوب عين كريم . و بدأ الهجوم الرئيسى فى الفجر تحت وابل من المطر والضـباب . قدّرت قوّة الجيش التركى السابع بمـا يتراوح بين ١٥,٠٠٠ و ١٦,٠٠٠ مقاتل . وكانت مواقعهم غرب القدس قد نقبت منذ أكثر من سنة فى سفح التل بعـد عمل طويل ، وكان ببعض أجزائها ثلاثة خطوط لضرب النار، وهذه المواقع تامة المناعة إذا دوفع عنها بعناد ولا شك

(١) حل ذلك الألاى محل اللواء الخامس الراكب يوم أول ديسمبر .

(٢) بدئ فى تكوين فرقة الحمير قبل الهجوم على بئر السبع لاستعمالها فى الأراضى قرب القدس وهذا مثل جيد لبعد النظر الادارى .

فى أن الهجوم عليها يصبح مشروعا خطرا إذا كان الأتراك بمستواهم العادى للقتال. ولكن توالى الانهزامات هزت القوى المعنوية للجيش السابع وقد استهلكت الهجمات المضادة العديمة الفائدة التى أجريت فى العشرة أيام السابقة أفضل قواتهم الباقية .

ورغم أن مقاومة الأتراك كانت أقل من المعتاد إلا أن صعوبة الأرض والطقس كانتا كافيتين لجعل التقدم بطيئا متعبا. امتلكت الفرقة ٧٤ التبه التالية لبيت اكسه ولكنها أوقفت بسبب النيران المائلة من المنحدرات السفلى للنبى صمويل ، وامتلكت الفرقة ٦٠ التى تحملت عبء القتال عند ديريس الدفاعات الأخرى شرق وادى سرر بفضل اندفاعها المعهود ، ولكن جنبها الأيمن أصبح معرضا بسبب أن الأمطار والضباب عطلا الفرقة ٥٣ ففى بعد الظهر أوقف التقدم الى طريق نابلس وأمرت القوات بتعزيز المواقع المكتسبة و بالاستمرار فى التقدم اليوم التالى.

لكن ماعملوه كان فى الحقيقة كافيا لكسب القدس رغم أنهم لم يعلموا ذلك ، فقد فقد الأتراك بعد أن خسروا أقوى مواقعهم أى أمل فى الدفاع عن المدينة وانسحبوا مساء يوم ٨ وفى ليلة ٨/٩ سبتمبر البعض مذعورون والبعض الآخر آسفون وترك آخر جندى تركى المدينة قبل الصباح المبكر وانتهى بذلك حكم الأتراك الذى دام أربعة قرون. وخرج عمدة القدس وسلم مفاتيح البلدة للجنرال شى قائد الفرقة ٦٠ بعد ظهر يوم ٩ بقليل .

تقدمت الفرق ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٤ إلى مواقعها النهائية يوم ٩ وضربوا نطاقا تاما حول القدس . وقوبلت الفرقة ٦٠ بمقاومة عنيفة من مؤخرة تركية عند جبل الزيتون تمكنت الفرقة من طردها منه بالسونكى وقتلت منها ٧٠ ودخل الجنرال اللنبى يوم ١١ مدينة القدس رسميا .

بلغت خسائر الإنجليز ما بين ٢٥ نوفمبر ، ١٠ ديسمبر ١٦٦٧ [1] وأسروا ١٨٠٠ وبلغ عدد الأسرى من الأتراك فى العمليات بأجمعها من بئر السبع للقدس أكثر من ١٢٠٠٠ أسير ، ١٠٠ مدفع ، وإجمالى خسائر الإنجليز نحو ١٨٠٠٠ والأتراك نحو ٢٥٠٠٠

(١) بلغت الخسائر بالحيوان من ٣١ أكتوبر إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧ (١٠٠٠٠) حصان وجمل وبغل وحمار (٥و١١ ٪ من المجموع) نفق منها ٥٠ ٪

لم ينته القتال بالاستيلاء على القدس فقد كان أمام القوات الإنجليزية عمليات صغرى عديدة قبل أن يصح اعتبار مواقعهم أمام القدس ويافا آمنه . ولكنه كان نهاية الحملة الباهرة التي يصح تلخيص نتائجها وأهم ظواهرها الآن .

تحققت الأغراض التي وضعت الخطط لها ، فقد زال الخطر عن بغداد وغزو الانجليز بالعراق زوالا نهائيا تاما ، وفى الحقيقة والأمر الواقع فإن آخر الإحتياط التركى كان قد استعمل فى القتال ، ونالت الأمة البريطانية هدية عيد الميلاد التى رغب فيها رئيس الوزراء ، وقد أعطى التقدم قوة دافعة لثورة العرب التى أصبحت جرحا لا يندمل والتى استمرت على استنفاذ القوى التركية ، وأخيرا بالرغم من أن القدس نفسها ليست مهمة استراتيجيا إلا أن احتلالها له أهمية معنوية عظيمة ، فان استعادة الأماكن المقدسة مما يسر المسيحيين كما أن فقدها اعتبر خطوة أخرى فى امتهان تركيا التى سبق طردها من مدينتين مقدستين وهما مكة وبغداد ، وسقطت خطة يلدرم التى تباهوا بها سقوطا تاما ، وفى الحقيقة فان تركيا أصبحت فى حالة ذعر تفوق حالتها أول السنة عند ما تولت ألمانيا استعادة قوة الامبراطورية العثمانية وسطوتها ، ورغم مقدرة المارشال فولكنهاين فانه قد فشل فى فهم غرائز حلفائه ومطالب مسرح القتال ، فقد فاقه الانجليز فى كافة مناوراته .

شملت الحملة كافة أنواع الحروب على أنواع عديدة من الأرض ، وربما تعتبر فائدة خفة الحركة أهم دروسها . ففى المطاردة المستمرة تتوقف خفة الحركة بنوع خاص على رغبة القائد العام الشخصية وعزيمته التى بها وحدها يمكن أن تستمر القوة الدافعة بالجنود . وكان لتنظيم المواصلات من غزه للقدس فائدة عظيمة . وقد استعمل كافة الوسائل تقريبا . وقد كان للطقس تأثير عظيم ظاهر ، فقد عرقلت الحرارة وقلة المياه المراحل الافتتاحية من المطاردة ، بينما كانت المرحلة النهائية للعمليات على القدس قتالا ضد موسم الأمطار كما كانت قتالا مع العدو .

٤ — شتاء سنة ١٧—١٨

سبقت الآن القوة الانجليزية مواصلاتها وأصبحت الحاجة ماسة الى فترة إنشاء وتعزيز، ولكن من الضرورى امتلاك مسافة كافية أمام القدس و يافا قبل أن تستقر الجنود فى الشتاء . ما زال الجيشان التركيان تفصلهما أرض خالية من الطرق غير الصالحة للعربات أو المدافع دون إصلاح ، ومعنى ذلك أن أى تقدم يجريه أحد جناحى جيش الجنرال اللنبي يمكن اعتباره عملية مستقلة عن عمليات الجناح الآخر .

عبور نهــــر العوجه

يومى ٢٠ و ٢١ ديســــمبر ١٩١٧

الخريطة نمرة ١٥

تحرك الجناح الأيسر أوّلا . وكان الفيلق ٢١ قد خلف فيلق الصحراء الراكب فى دفاعات السهل الساحلى يوم ٧ ديسمبر . ووضع فرقة الثلاث بالخط : الفرقة ٧٥ فى اليمين ، ٥٤ فى الوســط ، ٥٢ عند الشاطئ . وكان الغرض من تقدم الفيلق طرد الاتراك بعيدا عن مرمى يافا التى ستستعمل كميناء تنزل عندها المؤونة ، وعن مرمى الخط يافا — اللد الذى كان جاريا مد سكة حديدية ضيقة عليه[1].

(١) لا تستحق هذه العمليات لحجمها وأهميتها رغم أنها أديت بمهارة أن تســمى " موقعة يافا " كما أسمتها لجنة تسمية الوقائع .

كانت أهم الصعوبات عبور نهر العوجه الذى يصب فى البحر شمال يافا بأربعة أميال وعرضه بين ملبس والبحر بين ٤٠ قدما و٥٠ وعمقه من ١٠ اقدام إلى ١٢ قدما عدا عند المصب إذ توجد مخاضة طولها ٤٠ ياردة وعمقها من ٣ إلى ٤ أقدام ، وشواطىء النهر وخاصة الجنوبية واطئة ذات مستنقعات ، وبالشمال مجموعة تباب رملية يخرج منها لسانا تل يسيران جنوبا للنهر ويشرف الشرقى منهما على كوبرى حجر عند الحضرة كان قد دمر تدميرا جزئيا ، وينتهى الغربى منهما والذى تقع عليه قرية الشيخ مؤنس قرب جريشه حيث يوجد سد بطاحونه يعتبر ككوبرى على النهر . إحتل الأتراك كلا اللسانين ونقطة أمام المخاضه وبذا حكموا نقط العبور الممكنة وعبر خطهم النهر شرق الحضرة إلى الشاطىء الجنوبى ومر بتلى بولد وملبس .

كانت الخطة الأصلية أن يعبر الفيلق ٢١ تحت ستر نيرانه المدفعية الشديدة، ولكن الجنرال هيل قائد الفرقة ٥٢ طلب أن يسمح له بالاستعانة بالمفاجأة . أظهرت الاستطلاعات أن الداوريات التركية على الشواطئ كانت مهملة عدا عند محلات العبور الموجودة ، وكان يؤمل أن تعبر القوات الساترة بمعديات وأن تعمل كبارى قدم قبل أن ينتبه العدو ، فأحضرت أدوات الكبارى والرواسى ليلا وجمعت تدريجيا بالمزروعات قرب حافة المياه عند النقط المختارة للعبور ، وكانت احداها بين الحضرة وجريشة والثانية بين هذه والبحر ، وكان على اللواء ١٥٥ أن يعبر عند الأولى ويهاجم الأتراك عند الحضرة واللواء ١٥٦ عند الثانية ليمتلك الشيخ مؤنس ، وعلى اللواء ١٥٧ أن يرسل أورطة لتعبر بمحل عبور اللواء ١٥٦ وعليها أن تزيل الأتراك من أمام المخاضة ليعبر بعد ذلك باقى اللواء .

حددت ليلة ٢٠/٢١ ديسمبر لتلك العملية . سقطت الأمطار طول يومى ١٩ ، ٢٠ فانقلبت محلات التقدم للنهر الى مخاضة طينية عميقة ، وارتفع النهر بالفيضان. ورغم ذلك تمت العملية بنجاح تام . وكان الأتراك لا يعتقدون فى امكان عبور النهر فى مثل هذه الأحوال الجوية إلا عند محلات العبور الموجودة ولذا فقد فوجئوا . وقبل صباح ٢١ كانت اللواءات الثلاثة عبر النهر محتلة المواقع التركية المشرفة عليه . وأسروا نيف و٣٠٠ أسير وقتلوا الكثيرين من الأتراك بالسونكى ولم يخسروا

إلا ١٠٠ ، وكانت هـذه العملية نهاية حسنة لأعمال هذه الفرقة العديدة المجيدة فى سيناء وفلسطين إذ أنها سافرت بعد قليل إلى فرنسا .

مضى فى يوم ٢١ فى بناء كبارى وعبور مدفعية الفرقة ٥٢ وتمكنت الفرقة ٥٤ ليلة ٢٢/٢١ من طرد الأتراك من تل بولد . وتحركت كلتا الفرقتين يوم ٢٢ . طردت فرقة اليمين — ٥٤ — الأتراك من ملس ورنتيه ، والفرقة ٥٢ تحركت ٥ أميال بحذاء الشاطئ وتقـدم شمالها للامام حتى أرسوف . وقدمت البحرية البريطانية مساعدتها فى هذه العملية، وبذا ابتعد خط الأتراك ثمانية أميال عن يافا وأصبحت الميناء والخط الحديدى التى ستبنى آمنتين .

أما الخط بيتين — نالين الذى أمر الفيلق ٢٠ أن يصـله فيقع شمـال احدى الممرات التاريخية التى تخترق سلسلة يهوذا من الشرق للغرب ، ويحددها من الشرق اخدود مكماش الذى سار عليه سيدنا موسى عنـد دخوله أرض الميعاد لأول مرة ويحدده من الغرب وادى عجالون الشهير ذى الطرق الثلاثة الموصـلة من السهل الساحلى الى الهضبة الوسطى، وكان الخط أحد الحدود الكثيرة المتغيرة بين مملكتى يهوذا وإسرائيل وبين يهوذا والسامرة . وكان التصميم الأولى أن يكون التقـدم يوم ٢٤ ديسمبر فتتقدم الفرقة ٦٠ شمالا على جنبى طريق القدس — نابلس والفرقة ٧٤ شرقا من بيت هرون (بيت عرالفوكه) لتتقابلا عند التبة التى عليها بيرة ورام الله ومن هنالك تتقدمان شمالا، وتقوم الفرقة ٥٣ على اليمين والفرقة ١٠ على اليسار أثناء ذلك بحراسة الجنبين ومدهما .

أجلت العملية بسبب الأحوال الجوية إلى يوم ٢٧ ؛ والتقطت رسالة لاسلكية تركية حلت رموزها وعلمت منها تفاصيل هجوم مضاد منوى عمله من الشمال والشرق على القدس . وكانت امدادات جديدة قد وصـلت الاتراك ومنها الفرقة الأولى وصمموا على بذل مجهود لاستعادة المدينة فتقرّر أن تثبت الفرقتان ٥٣ و ٦٠ أمام القدس بينما يتقدّم الجناح الأيسر للفيلق، الفرقتان ٧٤ و ١٠، كما جاء بالخطة بدأ هجـوم الاتراك ليلة ٢٧/٢٦ واستمر حتى ظهر يوم ٢٧ وكان اتجـاهه وتركيزه على تل شهير اسمه تل الفول يقع شرق طريق نابلس مباشرة وشمال القدس بثلاثة أميال . قام الاتراك بهجمات عديدة ببسالة تامة وعزيمة ولكن بقليل من المهارة .

وتمكن بلوك من الميدلسكس بالفرقة ٥٣ أن يثبت ساعات طويلة رغم إحاطة الأتراك به وأن يصد كل هجماتهم ، ولم يتمكن الاتراك من كسب أى أرض ما فى أى جزء من أجزاء جبهة القتال .

قامت الفرقتان ٧٤،١٠ أثناء ذلك بالهجوم مبكرا يوم٢٧، فتسلقت الفرقة٧٤ تبه زيتون — التى فشلت فرقة اليومنرى فى الاستيلاء عليها فى الهجوم الأول على القدس رغم وصولها اليها ، ثم سارت نحو بيتونيا . وقد وصلت الفرقة ١٠ على يسارها إلى دير إبزيا وتقدمت الفرقتان ٤٠٠٠ ياردة على واجهة طولها ٦ أميال وأمكنهما أن يوقفا بنجاح الهجوم التركى على القدس ، وفى اليوم التالى عندمارأى الفيلق فشل مجهود الأتراك تقدم تقدما عاما . فأخذت الفرقة ٦٠ الجب ، الرام، رأفت، بينما دفعت الفرقة ٥٣يسارها للأمام تنظيما لهذه الحركة . وأخذت الفرقة ٧٤ بيتونيا وتقدمت الفرقة ١٠ إلى شرق عين عريق . وكان القتال عنيفا لشدة مقاومة الأتراك وكان من الصعب بنوع خاص معرفة محلات مدافع الماكينة من بين الصخور المفككة بهذه التلال الصخرية . واستمر التقدم يومى ٢٩ ، ٣٠ إلى الأغراض النهائية. وضعفت مقاومة الأتراك يوم ٢٩ وانتهت تماما يوم ٣٠وكانت خسائرهم فى محاولتهم استعادة القدس كبيرة جدا بلا نزاع فقد دفن أكثر من ١٠٠٠ تركى وأسر ٥٥٠

أصبح بذلك الخط على طول الجبهة آمنا ولم يكن التقدم بعد ذلك ممكنا إلا بعد تحسين المواصلات . هطلت أمطار غزيرة فى النصف الثانى من ديسمبر انتهت بعاصفة شديدة يوم عيد الميلاد . وأصبحت بقعا كثيرة من السهل مستنقعات لا يمكن أن تتحرك عليها أى حملات نقل من أى نوع ، واكتسح الخط الحديدى فى محلات عديدة . ولذالزم عمل وقفه حتى يتقدم إنشاء الخط الحديدى والطريق وحتى تنشأ مستودعات المؤن والذخيرة . وبنهاية السنة هدأت العمليات الجدية واستقرت الجنود فى الراحة التى تسمح بها التلال الصخرية أو السهول المبتلة .

فـــــترة

الباب السادس

ربيع سنة ١٩١٨ وخريفها

الموقف الاستراتيجى أول سنة ١٩١٨ — الاستيلاء على أريحه — التقدّم إلى خط العوجين — الغارة الأولى شرق الأردن — إرسال قوات لفرنسا — الغارة الثانية شرق الأردن — إعادة تنظيم التجريدة المصرية — القتال فى صيف سنة ١٩١٨

انظر الخريطتين ١٦ ، ١٧

كانت الأغراض من الحملة العسكرية التى انتهت بالاستيلاء على القدس هى إحباط الحملة التركية الألمانية على بغداد وإشراك آخر احتياط تركيا فى الجنود فى القتال وإنعاش عزم الأمة فى الوقت الذى مالت فيه إلى الوهن بسبب استمرار حالة الاستقرار بمسرح القتال الرئيسى . تمت كل هذه الأغراض قبل نهاية سنة ١٩١٧

لكن المستر لويد جورج رئيس مجلس الحرب كان دائما ينظر إلى غرض أبعد وهو إخراج تركيا نهائيا من الحرب . فبعد سقوط القدس مباشرة طلب إلى الجنرال اللنبى أن يعرض ما يقترحه لاستمرار التقدّم ، وأعلن أن غرض مجلس الحرب هو إرغام تركيا على ترك الحرب فى أول فرصة ممكنة ، فأوضح الجنرال اللنبى أن الاستمرار فى التقدّم فى الحال شىء لن يفكر فيه ، وأنه لا بد من فترة راحة وإعادة تنظيم حتى تصل السكة الحديدية بالاتساع العادى إلى الخط الحالى ، وأن قوته الحالية قد تحتاج إلى قوة كبيرة إضافية لتتمكن من الوصول إلى غرض بعيد مثل حلب ، وأن سرعة تقدمه مستقبلا لن تتجاوز بكثير سرعة إنشاء السكة الحديدية بالاتساع العادى .

لكن المستر لويد چورچ كان مقتنعا كل الاقتناع بأن أضمن وسيلة وأقصرها للنصر هى إخضاع أضعف حلفاء ألمانيا ، ولم يكن يسهل إقناعه بتأثير حملات النقل والتموين فى تحديد الحركات العسكرية . فظل على رأية فى أن يكون المجهود الأساسى فى ربيع سنة ١٩١٨ ضرب تركيا الضربة القاضية . وأرسل الجنرال سمطس ليتناقش مع الجنرال اللنبى فى المسألة الاستراتيجية المتعلقة بالتقدم إلى حلب ودمشق وفى ما تحتاج اليه القوة لكى يمكنها إجراء التقدم . وصدرت أوامر للفرقة ٧ الهندية بالاستعداد للتحرك من العراق الى فلسطين .

لما كان مستقبل حملة فلسطين سنة ١٩١٨ موضوع محاولات عنيفة بين الشرقيين والغربيين فيصح بحث الحجج الرئيسية لكليهما مع تذكر أهم عوامل الموقف الاستراتيجى العام فى أول سنة ١٩١٨ . خلص سقوط روسيا — التى وقعت هدنة وكانت تستعد لاجراء مفاوضات لصلح منفصل — قوات ألمانية كافية لتعطى ألمانيا الغلبة فى المسرح الغربى ولتعطيها آخر فرصة للنصر قبل وصول قوات أمريكية كافية لاعادة التوازن . وكانت أمريكا قد دخلت الحرب فى أبريل سنة ١٩١٧ ولكن لم يبتدئ وصول قواتها لأوروبا إلا وقتئذ ولم ينتظر أن تكون عاملا جديا قبل منتصف الصيف[1] .

كانت حجج الذين عارضوا فى المجازفة مرة أخرى فى فلسطين هو أن سلامة الميدان الغربى شيء حيوى ، فان الهزيمة هناك معناها خسارة الحرب ، ومن الجنون المجازفة فى الساعة الأخيرة من أجل تقدم فى جزء من خط الموقعة ليس لأهم الانتصارات الساحقة فيه إلا تأثير مباشر ضئيل . ودمشق ، وحلب نفسها ، تبعد عن قلب تركيا مئات الأميال . والاستيلاء عليها لا يرغم تركيا على الخروج من الحرب إذا رأت حليفتها ألمانيا تجتاح فرنسا . وكانت أهم فوائد سحق تركيا هى فتح الطريق فى الدردنيل الى الروسيا ، وقد زالت هذه الفائدة بخروج روسيا من

(١) كان التقدير وقتئذ أن ترسل ١٢ فرقة فى صيف سنة ١٩١٨ و ١٢ أخرى فى نهاية السنة . ولكن الواقع هو أن ٢٥ فرقة وصلت فرنسا قبل يوليه سنة ١٩١٨ بعد بذل مجهودات طويلة لزيادة معدل وصول القوات .

الحرب علاوة على ذلك فإن حملة فلسطين مضيعة للمراكب ، فإن كل الإمدادات والمؤونة لا بد وأن تمر فى أشد مناطق الغواصات خطورة وهى البحر الأبيض المتوسط . وأهم ما احتاجه الحلفاء وقتئذ هو البواخر لنقل الأمريكيين لأوروبا وأهم ما أقلقهم هو الخسائر التى أحدثتها الغواصات . فلا ضرر من ترك تركيا تدمى حتى تموت دون أن تضر أحدا بينما يجمع كل الجنود والموارد الممكن جمعهم فى الميدان الغربى كدعامة للجبهة ضد الضربة الألمانية المنتظرة . وإذا اتخذت خطة دفاعية فى فلسطين أمكن بسبب تحديد عمل الإنجليز بهذا المسرح الاستغناء عن فرقتين من الجنود البيض وتوفير مواد أخرى وبواخر وموارد .

هذه هى حجج الغربيين ، أما رد الشرقيين عليها فكان فحواه أنهم يوافقون على حيوية الاحتفاظ بالجبهة الغربية سليمة ولكنهم اعتبروا القوات التى بفرنسا وبلچيكا وقتئذ كافية لذلك الغرض . أما ترك المبادأة فى كافة الميادين والتركيز فى سياسة دفاعية محض فى كافة خطوط الموقعة ولو وقتيا فهى نصيحة اليائس . وأشاروا إلى أن الحلفاء فشلوا فى كسر الخط الألمانى فى الغرب رغم هجوم سنتين بقوات تفوق كثيرا عددا وعدة القوة التى ستكون لدى الألمان فى ربيع سنة ١٩١٨ وإن تفوق الألمان عددا لن يدوم طويلا حتى تعيد القوات الأمريكية التوازن . فاذا وزعت قوات الحلفاء الموجودة وقتئذ فى الميدان الغربى فى الأوضاع الصحيحة فلن توجد صعوبة فى حفظ الخط سليما . وقد يكون مسرح فلسطين مضيعا للبواخر ولكن المسرح الغربى مضيع للأرواح . ولن يقدر الحلفاء على استمرار الخسائر فى الأرواح وسحب احتياطهم فى الجنود لاستعمالهم فى قتال لن يتقدم فيه أحد الطرفين إلا أميالا معدودة . ومن الجنون سحب جنود تعودت طقس مسرح من مسارح الحرب ويمكن أن تنال فيه نصرا حاسما وإرسالها إلى مسرح آخر تشبه فيه جبهتا الحلفاء والمانيا كشق الرحى يسحق فيه المقاتلون بينهما ، كانت تركيا تترنح وضربة أخرى تسقطها . وبسقوطها تنتهى بلغاريا التى سئمت

الحرب وبذا يفتح الطريق إلى النمسا وألمانيا[١] وتترك المانيا تحطم رأسها على حواجز الميدان الغربى الحديدية بينما توجه الضربة النهائية لتركيا فى ربيع سنة ١٩١٨

هذا هو مجمل وجهات النظر المتعارضة . ويلاحظ أن المحك الرئيسى للآراء هو مناعة خط الحلفاء فى الميدان الغربى أو عدم مناعته . فاذا رأى الأتراك أن آخر مجهودات ألمانيا قد ثبت تثبيتا نهائيا فلا جدل فى أنهم يقبلون شروط الصلح بمجرد انهزامهم مرة أخرى، ولكن إذا وصلت حليفتهم ألمانيا الى أبواب باريس أو قربها فلن ينتظر أن يرغمها احتلال دمشق أو حلب نفسها على التسليم .

ذهب الجنرال سمطس الى فلسطين فى أوائل فبراير حاملا اقتراحات مجلس الحرب وتناقش مع الجنرال اللنبى فى إمكان التقدم التالى. وكان التصميم هو تقوية التجريدة المصرية بثلاث فرق من العراق وفرقة فرسان هندية وقد تقوى بأخرى من فرنسا علاوة على مدفعية ثقيلة وطائرات إضافية . وكانت خطة الجنرال اللنبى أولا أن يحمى جنبه الأيمن باحتلال وادى الأردن ونسف سكة حديد الحجاز عند عمان لعزل القوات التركية عند المدينة المنورة ولتشجيع الثورة العربية ، ثم باقتراب فصل الجفاف يتقدم الى سهل ازدرائيلون ويستولى على الخط من طبرية الى حيفا ، وتمد السكة الحديدية بالاتساع العادى لتتبع تحركاته بسرعة قدر الامكان حتى حيفا . بعد ذلك يتقدم القول الرئيسى تصحبه السكة الحديدية بحذاء الشاطئ بطريق طيرة وصيدا وبيروت. ويحمى الجبال والأهالى المتحابون جنب هذه القوة الأيمن، ومن الممكن تطويق جنب أى قوة تركية تثبت بالتلال للدفاع عن دمشق من ثغرة طرابلس — حمص ، كما يمكن تحرك قولات إضافية على وادى اليرموك تجاه حوران وشمال بحيرة طبرية سائرة على أقصر طريق الى دمشق .

توقفت سرعة التقدم بنوع خاص على السرعة التى يمكن بها مد السكة الحديدية ، وقد اقترحت تدابير خاصة للتمكن من الاحتفاظ بهذه السرعة ، واحتيج الى أورطة سكة حديد كندية ومواد وعمال كثيرين .

---

(١) سميت هذه السياسة " هدم الدعائم " وهذا خطأ فلم تكن تركيا أو بلغاريا أو النمسا بأى حال دعائم لألمانيا ولو سميت " تقليم الأطراف " لكانت التسمية أقرب للحقيقة ولو أن وقعها أقل تأثيرا .

اجتمع مجلس الحرب الأعلى بفرسايل فى فبراير سنة ١٩١٨ وقرر أن تكون خطة الحملة فى أوائل سنة ١٩١٨ خطة دفاعية فى الميدان الغربى مع توجيه ضربة قاضية فى فلسطين ، واشترط الفرنسيون ألا تسحب قوات بيضاء من فرنسا لحملة فلسطين . وصدّق مجلس الحرب البريطانى على الاقتراحات التى حملها الجنرال سمطس مع بعض تعديلات فى التفاصيل كان أهمها أن لاترسل سوى فرقتان هنديتان من العراق — الفرقة ٧ — بدلا من ثلاثة ، وقبل منتصف مارس تقدّمت الاستعدادات الجدية للهجوم القادم .

قام الجنرال اللنبي أثناء ذلك بأول تحركات برنامجه ، وكان الاستيلاء على وادى الاردن علاوة على حماية جنبه الأيمن خطوة أولية ضرورية لأى حملة توجه على سكة حديد الحجاز كما أنه يحرم الأتراك من المؤن التى تصلهم بالقوارب عبر البحر الميت من المناطق التى يزرع بها القمح حول قيراق ، وكانت الخطة بوجه عام تقضى بتقدّم الفرقة ٦٠ — التى تبادلت المواقع مع الفرقة ٥٣ بشرق القدس — على أريحة مباشرة وأن تطوق فرقة الأتراك الراكبة — الموضوعة تحت قيادة الفيلق ٢٠ فى هذه العملية — شمال الأتراك داخلة وادى الاردن قرب النبي موسى وتفصلهم عن اريحة .

بدأت العمليات يوم ١٩ فبراير سنة ١٩١٨ ولا تحتاج إلا للقليل من الوصف — الجنب الشرقى لتلال يهوذا المجاور للوادى شديد الانحدار جدا و به الكثير من التباب الحجرية والخيران الضيقة العميقة ولا يمكن بأى حال التحرك بسرعة أمام مقاومة ، تمكن الأتراك بمدافعهم الماكينة العديدة من جعل تقدم الفرقة ٦٠ شديد الصعوبة و بطيئا وأن يوقفوا حركة الالتفات التى قامت بها فرقة الأتراك الراكبة حتى ليلة ٢٠ / ٢١ عند ما انسحبوا عبر الأردن بعد أن وضعوا رأسا (نهاية) للكبرى على الشاطئ الغربى عند الغورانية . و باحتلال أريحه فى صباح ٢١ انتهت هذه العمليات ولم تعمل أى محاولة فى ذلك الوقت لعبور الأردن عنوة ، و بلغت الخسائر ٥١٠ .

أزال احتلال أريحة أى تهديد للقدس من الشرق ، ولكن قبل الانتفاع بوادى الأردن كقاعدة للعمليات التى توجه على سكة حديد الحجاز لزم طرد الأتراك شمالا فى الوادى نفسه وفى تلال يهوذا التالية كى تتيسر مراقبة أكثر ما يمكن من

الطرق المؤدية إلى وادى الأردن ولكى يصعب على الأتراك حشد قوات بسرعة ضد جنب أى غارة توجه على عمان . وقد انتهزت الفرص أيضا لتحسين الموقع المحتل بالجبال بتقدم الخط تقدّما عاما إلى الحدود الطبيعية التى تفصل يهوذا الجافة الوعرة عن تلال السامره الخصبة الأكثر تسطحا ، لذلك كان على الفيلقين ٢٠ و ٢١ أن يتقدّما . فعلى يمين الفيلق ٢٠ كان على الفرقة ٦٠ بوادى الأردن أن تطرد الأتراك شمال العوجة وأن تستولى على الأرض المرتفعة حول أبى التلول ومسلبه التى تحمى موارد مياه نهر العوجه وتحكم طريق بيسان — أريحه وهو أحد الطرق المهمة التى توصل للوادى من الشمال ، وفى غربها تتقدم الفرق ٥٣ و ٧٤ و ١٠ على جنبى طريق نابلس حتى الخط كفر مالك — سنجل — التبه شمال وادى الجب — النبى صالح . أما الفيلق ٢١ فكان عليه تنسيقا للعمل مع الفيلق ٢٠ أن يدفع يمينه للأمام لخط وادى دير بالوط — مدجل يابا — رأس العين .

تولى الجنرال ليمان ڤون ساندرس قيادة الجيوش التركية بفلسطين يوم أول مارس بدلا من ڤون ڤولكنهاين ، وكان يرأس البعثة العسكرية الألمانية فى تركيا مدة تزيد عن ثلاث سنوات ، ولذا فانه قد خبر وسائل الأتراك ، وكانت أولى خطواته أن استبدل هيئة أركان الحرب الألمانية البحتة التى ساعدت ڤون ڤولكنهاين بهيئة أخرى أكثرها أتراكا . واستدعى فى الحال جزءا من الجيش السابع من شرق الأردن ليقوى القوات على طريق بيسان اريحه ، نابلس القدس وكانت الحركة فى وقتها المناسب .

أدى هجوم الفيلقين ٢٠ و٢١ الى قتال عنيف دام أربعة أيام من ٩ مارس الى ١٢ منه وصلا فى نهايته الى الأغراض المعينة(١) ، وقد أظهرت العمليات الى أى حد يصعب التقدم بسرعة فى هذه التلال ، وكانت سفوحها شديدة الانحدار لدرجة جعلت صعود التبه أو الهبوط منها شيئا ممكنا عند نقطة أو اثنتين ، وانحصر سير المدفعية على الطريق الرئيسى ، وكانت المدافع الماكينة التركية مختبئة فى الكهوف فى الغالب وكان من الصعب بمكان معرفة محلاتها .

(١) نسب ليمان ڤون ساندرس لنفسه فضل ايقاف الانجليز عن التقدم إلى نابلس وبطبيعة الحال لم يكن فى نية الانجليز إجراء هذا التقدم .

أصبح الطريق مفتوحا للغارة على عمان التى من أهم أغراضها مساعدة عمليات عرب الأمير فيصل ، فقد كان هذا ومعه لورنس كمساعد ومستشار له منذ الاستيلاء على العقبة ، ينشر نفوذه تدريجيا للشمال ، وقد انضمت اليه القبائل فى شرق البحر الميت وجنوب شرقه ، وكانت تكتيكاته عبارة عن سلسلة من الغارات المستمرة على قطارات الأتراك ونقطهم على السكة الحديد ، وقد مكنتهم خفة حركتهم واستقلالهم عن المواصلات من مفاجأة الأتراك من وقت لآخر ومن تحطيم أحد قطاراتهم أو أسر احدى نقطهم ثم الاختفاء بالصحراء قبل أن يتجمعوا (الأتراك) للضربة المضادة أو أن يجدوا هدفا يضربونه ، ولم يسمح لورنس لقواته بالاشتباك فى موقعة إلا مرة واحدة . ففى ١٦ يناير أستولت قوة من رجال القبائل على تافيله التى تبعد شرقا عن البحر الميت ١٥ ميلا . وفى يوم ٢٦ يناير تقدمت قوة تركية معها مدافع جبلية ومدافع ماكينة لاستعادة المحل ، ولكن قوة لورنس كادت أن تبيدها عن آخرها . وفى مارس جمع الأتراك قولا عظيما استعادوا به تافيله وكان بهذا القول أورطة ألمانية .

كان نشاط عرب فيصل ذا فائدة عظيمة للتجريدة المصرية ، فقد حموا الجنب جنوب البحر الميت من الغارات التركية على بئر السبع أو حبرون وحرموا الأتراك من المؤن التى كانوا يسحبونها من المناطق حول قيراق ومعاون واستنزفوا الكثير من الجنود والمواد من احتياطهم (الأتراك) الضعيف . لذا كان الجنرال اللنبي راغبا فى مساعدة فيصل بما يملك من قوة ، وكان يرمى من وراء تقدمه إلى سحب القوة التركية عند تافيله ، وكان يأمل إذا دمر النفق والكوبرى عند عمان أن يعزل القوات التركية جنوبها مدة طويلة وبذا يتمكن فيصل من إجراء عمليات أخرى حول معان . كان يدفعه للتحرك شرق الأردن دافع آخر مهم خلاف الفوائد المباشرة السابق ذكرها . وقليل من القواد من كان لديه بعد نظر الجنرال اللنبي الذى كان ينظر بعيدا فى أعماله الاستراتيجية المشتركة ، فقد صمم منذ زمن على وجوب حصر مجهوده الأساسى فى تقدمه العظيم التالى فى السهل الساحلى حيث يمكن التقدم بسرعة وحيث يتيسر لقواته الراكبة فرصة العمل لأقصر مدى . لذلك فكلما ازدادت القوات التركية المسحوبة لشرق الأردن زاد ضعفها فى الخط الذى نوى

أن يهاجمه ، وكانت محطة المواصلة عند الدرعا نقطة مهمة للاتراك فلو أمكن إيهامهم أن الانجليز ينوون مهاجمتها جديا بطريق عمان فلا شك أنهم يقوون دفاعاتهم شرق الأردن ومعنى ذلك ضعف دفاعاتهم غربه .

عرقل الطقس كل العمليات التى دامت من ٢١ مارس إلى ٢ أبريل وقد اشتركت بها الفرقة ٦٠ وفرقة الأنزاك ولواء الهجانة الأمبراطورى وكان الجميع بقيادة الجنرال شى قائد الفرقة ٦٠ ، وقد زاد ارتفاع الماء بالأردن بسبب الأمطار الشديدة وضاع وقت طويل فى التغلب على الصعوبات التى وقفت فى سبيل العبور عنوة ، ولم يتم عبور القوة الأساسية إلا يوم ٢٣ ، وقد كان هذا التأخير الأولى خطيرا على المشروع .

جبال معاب صخرية شديدة الانحدار ، وقد بنى الأتراك دون عناية طريقا مدكوكا من كوبرى الغورانية مارا بمضيق شنيت نمرين حتى الصلت ومنها الى عمان ، وفيما عدا ذلك فلم يوجد الا القليل من الدروب الضيقة الموصلة الى الهضبة ، وكانت الخطة أن تتقدم الفرقة ٦٠ وعلى يسارها لواء راكب لطرد الأتراك من شنيت نمرين وللتحرك على الطريق العام على الصلت ، ويتسلق اللواءان الباقيان من فرقة الأنزاك ولواء الهجانة الهضبة سائرين على الدروب بالجنوب متحركين على عمان مباشرة ، وعند ماتستولى المشاة ومعها لواء الفرسان الاسترالية الخفيفة على الصلت تبقى هناك كأمداد للهجوم على عمان الذى تقوم به باقى القوة (لواء نيوزيلنده الراكب واللواء الثانى من الفرسان الأسترالية الخفيفة ولواء الهجانة)

هاجمت الفرقة ٦٠ فى صباح ٢٤ مارس الموقع التركى عند شنيت نمرين وكان تل الحوض يشرف عليها ، تم الاستيلاء عليه بعد قتال عنيف قصير وغنمت الفرقة ٣ مدافع ثم تقدمت على طريق الصلت وقطعت مسافة ماقبل حلول الظلام .

تساقت أثناء ذلك القوات الراكبة التلال سائرة على دربين وعرين وقد استحال سير العجلات وحصل تأخير طويل بسبب نقل الذخيرة والمفرقعات من العربات وتحميلها على الجمال ، استمر التقدم ليلة ٢٤ / ٢٥ مارس وبدأت الأمطار الغزيرة فى السقوط ودام سقوطها باقى أيام العملية تقريبا ، وقد اضطرت القوات للتحرك بالقطار الفردى ، ولم تتمكن رجال لواء الهجانة من سحب جمالهم فوق الصخور

الزلقة إلا بكل جهد وقد ضاع معظم يوم ٢٥ فى ضم القول [1] واستولت قوات اللواء من الفرسان الأسترالية الخفيفه فى مساء ذلك اليوم على الصلت وتبعه فى منتصف الليلة لواء من الفرقة ٦٠

تمكنت القوات الراكبة بعد السير ليلة أخرى باردة رطبة فوق الصخور والأوحال من التجمع مبكرا فى صباح يوم ٢٦ عند عين السر غرب عمان بستة أميال أمر بالهجوم على عمان فى ذلك اليوم ولكن الهجوم أجل إلى يوم ٢٧ لتعب الخيول والجنود . سارت أورطتان من اللواء ١٨١ من الصلت فى فجر يوم ٢٧ لمساعدة القوات الراكبة فى هجومها ولكنهما تأخرتا عند سويلة بسبب حرب محليـة بين الشراكسة والعرب .

تسبب عن التعطيل فى عبور الأردن أن القيادة التركية تنبهت تنبيها تاما وفى الوقت المناسب الى تقدم الانجليز الى عمان ، وكانت الحامية قد قويت من الشمال والجنوب حتى أصبحت قوتها نحو ٥٠٠٠ بندقية و١٥ مدفعا وكانت فى مواقع جيدة ، وطوال الأيام الأربعة من ٢٧ مارس الى ٣٠ منه جاهدت فرقة الأنزاك والهجانة واللواء ١٨١ ببسالة فى الاستلاء على عمان ، ولكن الظروف كانت معاكسة فلم يساعد الهجوم إلا ثلاثة بطاريات جبلية (وبطارية خيالى فى اليوم الأخير أمكن تحريكها بكل صعوبة من الصلت) وكانت الأرض متناهية فى الصعوبة والجو مريعا . وتمكنت فرقة الأنزاك من قطع السكة الحـديدية شمـال عمان وجنوبها ولكن لم يمكنها اقتحام المواقع التى تحمى النفق والكبرى .

ابتـدأ الانسحاب ليلة ٣١/٣٠ مارس ، أثنـاء ذلك هاجمت قوة تركية ، كانت قد عبرت الأردن عند جسر الدامية ، مدينـة الصلت من الشمال واضطر الحال إلى بقائهـا بعيدا . وكان نهر الأردن قد ارتفع تسعة أقدام وجرف كبارى عديدة وسبب صعوبات جمة لقولات التموين ولكن الانسحاب تم بنظام ولم يضغط عليه الأتراك ضغطا جيدا . وقبل مساء ليـلة ٢ أبريل كانت كافة القوات عبر الأردن ثانيا عدا القوات التى عينت لاحتلال رأس الكوبرى فى الشاطئ الشرقى عند الغرانية . واستحضرت القوة معها ١٠٠٠ أسير وبلغت خسائر الانجليز ١٣٥٠

(*) استـغرق قطع الستة عشر ميلا الأولى من الأردن ٢٤ ساعة فقد وصلى رأس القول للهضبة الساعة ٢ صباحا ولم يصلها آخر جمل إلا الساعة ٧ ونصف مساء يوم ٢٥ مارس .

كانت خطة العملية موضوعة باعتبارها غارة سريعة بقوات راكبة ولكن الطقس الردىء وصعوبات الأرض التى زادت كثيرا عن المنتظر أزالت كل أمل فى سرعة التحرك والمفاجأة . وفى هذه الحالة لم يمكن الحصول على نصر تام . ومع ذلك فقد أدت الغارة بعض أغراضها . فقد استدعيت القوّة التركية عند تافيلة فى الحال كما حرك جزء من حامية معان شمالا وبذا سهلت عمليات عرب فيصل واضطر الأتراك الذين أصبحوا يخافون كل الخوف على سلامة مواصلاتهم شرق الأردن إلى زيادة قوّاتهم فى هذه الجهة زيادة مستديمة .

فى اليوم الذى حصلت فيه الغارة شرق الأردن بدأ الألمان هجومهم العام الكبير فى فرنسا . ففى الوقت الذى كانت قوّة شى تتسلق تلال معاب وتجاهد عند المواقع التركية حول عمان انكسر الخط الانجليزى فى بيكاردى وارتد للخلف تجاه أميان وحلت آخر الأزمات الكبرى فى الحرب وعلم مجلس الحرب فى الحال أن قلب (هزم) تركيا يجب أن يؤجل ولو مؤقتا . وأعلن الجنرال اللنبى فى ٢٧ مارس بوجوب اتخاذه موقفا دفاعيا فى فلسطين إذ أن كافة القوّات الممكن الاستغناء عنها مطلوبة بفرنسا .

رحلت الفرقتان ٥٢و٧٤ للميدان الغربى فى النصف الأول من أبريل، كما سحب من الميدان للترحيل تسعة آلايات يومنرى وخمسة بطاريات حصار ونصف وتسعة أورطة انجليزية وخمسة بلوكات مدافع ماكينة . ثم أرسلت علاوة على ذلك فى مايو ١٤ أورطة انجليزية أخرى . وحل محل الفرقتين القوات التى حضرت من العراق وصلت منها الفرقة ٧ الهندية مصر،وكانت الفرقة ٣ الهندية فى طريقها اليها ، وحل محل اليومنرى فرسان هندية وصلت من فرنسا وأصبحت جاهزة فى نهاية أبريل ، ولكن لم يحل محل الأربعة وعشرين أورطة انجليزية — وكلها وحدات مدربة يعتمد عليها — الا أورط هندية وصلت ببطء وتدريجيا من الهند ولم يكن لديها أى خبرة بالحرب وكانت ناقصة التدريب لحد كبير فى الغالب . لذا لزم الأمر وجود فترة يعاد فيها تنظيم التجريدة المصرية قبل أن تصبح قادرة على القيام بهجوم كبير .

لم يكن الجنرال اللنبى بالرجل الذى يرضى بخطة دفاعية بحتة ، فأمر بأن تستمر عملية سبق وضع خطتها وتقضى بتقديم يمين الفيلق ٢١ من المنحدرات السفلى

لتلال يهوذا . ولكنها لم تنجح كالمنتظر . و بعد قتال ثلاثة أيام (من ٩ أبريل الى ١١) لم يستولوا إلا على أرض بسيطة بخسائر غير قليلة . وقد برهنت هذه العملية مرة ثانية على أن مدافع الماكينة بهذه التلال الوعرة تجعل أى تقدم بطيئا كثير التكاليف ، علاوة على ذلك فقد علم الأتراك خطة العملية كلها فى اليوم الأول من الهجوم لوقوع صورة بيدهم من أمر مهم أخذ من جثة أحد الضباط وكان قد أخذها معه للوقعة بدون وجه حق .

أراد الجنرال اللنبي بعد ذلك أن يجعل الأتراك يعتقدون أنه يقصد محطة مواصلة السكة الحديدية عند الدرعا . لذلك وضع خطة لتقدم ثان لشرق الأردن . وكان الأتراك بعد الغارة على عمان قد حاولوا عرقلة تكرارها بالاحاطة بالمواقع الانجليزية بوادى الأردن . ففى ١١ أبريل هاجموا بعنف رأس الكوبرى عند الغرانية ونقطة المسلبة شمال العوجة . ولكنهم هزموا بخسائر جمة وعندئذ انسحبوا إلى شنيت نمرين وحصنوا موقعا قويا هناك .

كانت خطة الجنرال اللنبي الاستيلاء على الصلت بقواته الراكبة وبذا يقطع المواصلات الرئيسية للقوة عند نمرين التى تهاجمها المشاة هجوما أماميا وكان يأمل أن يأسرها أو يشتتها . وهناك قد يمكن بمساعدة العرب الاحتفاظ بالصلت فعلا و بالأراضى المجاورة بصفة مستديمة وبذلك يوفر على القوات المضايقة التى يسببها بقاؤهم صيفا بوادى الأردن[1] تبتدئ العملية حوالى منتصف مايو عند مايتم إعادة تنظيم القوات الراكبة لمناسبة سفر اليومنرى ووصول الوحدات الهندية .

رغبة فى التعاون مع العرب اضطر الجنرال اللنبي إلى العمل قبل الأوان . ففى أواخر أبريل وصل وفد من عرب بنى صقر قال إن مقاتليهم مجتمعون عند مدبه التى تبعد ٢٠ ميلا جنوب الصلت وأنهم مستعدون لتنظيم عملهم مع تحركات الانجليز ولكن مواردهم لا تسمح لهم بالانتظار بعد ٤ مايو ، وكان الجنرال اللنبي عديم الخبرة فى تقلب العرب وعدم ميلهم إلى الحروب النظامية أو العمليات المطولة ، فجاء عرضهم موافقا لخطته التى كان يضعها لدرجة رأى معها أن يسرع بالبدء بها

(١) جاء بكتاب التاريخ الرسمى لفلسطين عن وادى الأردن "لا يعلم شيء عن جو هذا الوادى صيفا اذ لم يحصل أن أمضى الصيف هناك أى رجل متمدن"

ليضمن مساعدتهم . ظهر من الغارة السابقة أن الطريق العـام إلى الصلت كان الطريق الوحيد من نمرين الصالح للعجلات وأن الدرب القصير المـار بعين الصر لا يصلح إلا للحيوانات المحملة و بصعو بة . فلو تمكن رجال بنى صـقر فى الوقت الذى تحتل فيـه القوات الانجليزية الراكبة الصلت من التحرك من الجنوب وسد درب عين الصر كما يدعون فان القوات التركية عند نمرين تعزل عزلا تاما و يمكن اهلاكهـا .

كانت القوات الميسورة للغارة هى فرقة الأنزاك والفرقة الأسترالية والفرقة ٦٠ ولواءا فرسان الخدمة الأمبراطورية الفرسان والمشاة . وضعت جميع القوة تحت قيادة الجنرال شوڤل قائد فيلق الصحراء الراكب .

توجد ثلاثة دروب من الأردن للصلت فى شمال شنت نمرين حيث يخرج الطريق العام من الوادى . منها درب وادى ارسنيات (يسمى بكتب التاريخ الرسمية وادى أبوطرة) قرب الحوض وهو يمتد فى الموقع التركى عند نمرين ، ومعنى ذلك أن هذا الطريق لا يمكن استعماله . و يمتد درب آخر الى الصلت مباشرة مارا بمخاضة أم الشرت التى تقع شمال كوبرى الغرانية بسته أو سبعة أميال ، وشمال كوبرى جسر الدامية بتسعة أميال يمتد الدرب الثالث الذى سار عليه الأتراك الذين كانوا غرب الاردن عندما تقدموا على القوات الانجليزية الساترة عند الصلت اثناء غارة عمان . وكانت النية معقودة على أن لا يتكرر ذلك العمل باحتلال كوبرى جسر الداميه أو على الأقل بوضع قوة عل جنبي الدرب .

تجمعت القوة الهاجمة عند الاردن ليلة ٢٠ أبريل و بدأت العمليات فى فجر اليوم التالى ، فقام لواءان من الفـرقة ٦٠ وعلى يمينهما لواء نيوزيلنده الراكب بهجمة مباشرة على المـوقع عند نمرين الذى كان يحتله الفيلق ٨ التركى . فأخذوا الخط الأمامى لتركى فى الهجمة الأولى ولكن استحكامات الخط الثانى كانت شـديدة القوة و يحتلها الكثيرون ولذا استحال التقدم بعد ذلك .

تحركت الفرقة الأسترالية أثناء ذلك بسرعة فى الوادى الذى يبلغ عرضه ما بين أسفل التل والتلال الطينية المتفرعة من يهوذا ما بين ثلاثة أميال وخمسة . قاد القوة اللواء الرابع الأسترالى الخفيف ووصل جسر الدامية فى الساعة ٣٠ ٥ صباحا ،

وكان الأتراك عنده فى مواقع قوية لا يمكن الاستيلاء على الكوبرى بسببها . قام اللواء ومعه ثلاثة بطاريات خيالى بالهجوم واتخذوا موقعا يواجه الغرب على جنبي درب الصلت. وكانت جبهة اللواء أكثر من ثمانية أميال من نهر الزرقاء فى الشمال الى التل الأحمر فى الجنوب وهو هيئة واضحة قريبة من الأردن ويقع شمال درب أم الشرت ببضع أميال . وقد احتلت أورطة من فرقة الأتراك هذا التل وسيرى أنه (التل) سيلعب دورا مهما فى الموقعة .

فبينما كان اللواءالرابع يستعد لسد الطريق العام الذى يمكن أن يحرك عليه الأتراك امداداتهم من غرب الأردن لشرقه ، كان اللواء الثالث من الفرسان الأسترالية الخفيفة ، الذى تبعه إلى جسر الدامية ، يطوق الدرب الموصل للصلت . واحتل اللواء الخامس الراكب — الباقى من الفرقة الأسترالية — طريق أم الشرت ، وتبع اللواءان الأول والثانى من الفرسان الأسترالية الخفيفة (من فرقة الأتراك وملحقين مؤقتا بالفرقةالأسترالية) اللواء الخامس الراكب فيما بعد فى ذلك اليوم .

حاز اللواء الثالث الأسترالى الخفيف النصر التكتيكى الوحيد بالموقعة باستيلائه على الصلت فى المساء . وهو عمل باهر كله جسارة ومهارة ، ولحق لواء الفرسان الأول والثانىاللواء الخامس الراكب ليلا وهوعلىالدرب قرب الصلت . وفىصباح اليوم التالى قامت لواءات الفرسان الخفيفة الثلاثة بعمل نطاق دفاعى حول الصلت . وكان اللواء الثانى فى الشرق من جهة عمان والثالث فى الشمال والشمال الغربى والأول فىالغرب على درب أم الشرت . أما اللواء الخامس فأمر بالتحرك علىالطريق العام ليصل الى مؤخرة موقع نمرينالذى كانت المشاة تهاجمه مرة ثانية .

ولكن فى صباح أول مايو حلت بلواء الفرسان الرابع وهو بالوادى كارثة فقد أسرع الأتراك بجمع قوة مركبة من الفرقة ٢٤ وفرقة الفرسان الثالثة ضده وتمكنوا من إقامة كوبرى خفيف عند مفيد جوزيل بين جسر الدامية وأم الشرت شمال التل الأحمر بقليل ولم تعلم به المخابرات الانجليزية إلا فى مساء ٣٠ ، وعلى حين غفلة رأى جرانت قائد لواء الفرسان الرابع خطه المنتشر مهاجما من ثلاث جهات فى الساعة السابعة صباحا . فحاولت قوة من النهر الأزرق تطويق جنبه الأيمن وهاجمت أخرى من جسر الدامية وسطه وتقدمت ثالثة وهى التى عبرت فوق الكوبرى الخفيف على التل الأحمر وإلى الثغرة التى بين التل وبين يساره .

سرعان ماطرد اللواء من درب جسر الدامية — الصلت ودفع رغم أنفه تدريجيا للخلف نحو التلال غير الصالحة كلية للقوات الراكبة ، استولى الأتراك على التل الأحمر ولم يبق مفتوحا إلا طريق ضيق يأمل اللواء أن يستعمله عند تخلصه من الموقعة ليسير جنوبا ويتخذ موقعا جديدا يستر درب أم الشرت الذى أصبح طريق المواصلات الوحيد للقوة عند الصلت . فاجتهد اللواء فى التخلص من الموقف وتجنب تثبيت الأتراك له بالتلال وتم له ذلك ولكن بثمن ، فقد خسر ٩ مدافع من ١٢ ، وبقيت الحالة حرجة وقتا ما . وأخيرا أمكن إنشاء خط شمال درب أم الشرت بمسافة ميل بمساعدة آلايين من اليومنرى وآلاى من نيوزيلندة أرسلت بسرعة من الشمال وأوقف تقدم القوات التركية قبل أن تعزل الفرسان الانجليزية عند الصلت عزلا تاما .

لم يحصل بالموقف عند نمرين الا القليل من التغيير ذلك اليوم . فقد فشل هجوم قوات مدينة لندن الذى أجرى بكل بسالة على موقع شديد القوة كما أوقف اللواء الخامس الراكب فى التلال الوعرة قبل أن يصل إلى منتصف الطريق من الصلت . ولم يف رجال بنى صقر بوعدهم بسد درب عين الصر ، وفى الواقع لم يشتركوا كلية فى القتال ، وقد ظهر فيما بعد أن الاتراك قد أصلحوا الدرب كثيرا منذ غارة عمان وبذلك أمكنهم أن يتلقوا الأمدادات والمؤونة من عمان رغم أن الطريق العام كان مقطوعا .

استقتلت قوات شوفل يومى ٢و٣ مايو لتنال النصر ، ولكن الموقع عند نمرين كان أقوى مما تقدر عليه قوات لندن ، وكانت التلال بين نمرين والصلت أوعر من أن تسير عليها اليومنرى وهى تواجه هذه المقاومة العنيفة ، وقد أصبح موقف اللواءات عند الصلت خطرا فقد كان الهجوم عليهم من الشرق لاينقطع من عمان وكذلك من الشمال والغرب من جسر الدامية ، ومنذ استيلائهم على الصلت لم تتمكن الا قافلة واحدة من الوصول اليهم كانوا فى مسيس الحاجة الى الذخيرة التى حملتها ، وكان طريق عودتهم للخلف للوادى ضيقا جدا ولم يبق مفتوحا الا بقتال عنيف. وبعد ظهر يوم ٣ أصدر الجنرال اللنبى أمرا استدعى القوات عند الصلت .

ففى ليلة ٣/٤ أنهوا الموقعة وساروا على درب أم الشرت إلى الوادى ولم يتدخل الأتراك إلا قليلا ، وما منعهم عن زيادة ضغطهم إلا توالى صد هجماتهم . وتمكنت القوة كلها قبل مساء ٤ من المرور برأس الكوبرى عند الغورانية وعبور الأردن ثانيـا .

لم تكن الخسائر أكثر من اللازم فبلغت فى الفرسان ٥٠٠ وفى المشاه ١١٠٠ وقد استحضروا معهم نحو ١٠٠٠ أسير تركى ولابد أن خسائر الأتراك كانت جمة . ولو أن الغارة انتهت بهزيمة تكتيكية واضحة إلا أن تأثيرها الاستراتيجى كان مناسبا إذ أن الأتراك احتفظوا من ذلك الوقت بثلث قوتهم شرق الأردن .

استبقى الجنرال اللنبى الأتراك فى خوف على ذلك الجنب بوضعه قوة من الفرسان بوادى الأردن طول الصيف رغم حرارته الفظيعـة ، ومن المحتمـل أنه لم يسبق لأناس متمدينين أن تحملوا حرارة الصيف كاملا فى ذلك الوادى الجهنمى فقد كانت درجة الحرارة اليومية أكثر من ١٠٠ ، وكانت الرياح الحارة تثير التراب الدقيق — سمك طبقته قدما فى أجزاء عديدة — مكونة منه سحبا خانقة تدفعها بطول الوادى من طرف لآخر و بالعكس ، وكان الطقس على عمق ١٢٠٠ قدما تحت مستوى سطح المـاء صعب الاحتمال لحد كبير و يرجع الفضل فى عدم الإصابة بالملاريا السامة المنتشرة بين السكان بالوادى إلى المجهود العنيف الذى بذله الأطباء . أضف إلى ذلك أن المعسكرات وخطوط الخيول كانت عرضة للنيران المستمرة من المدافع البعيدة المدى ، ولم يتيسر للانجليز الرد عليها أو الاستتار منها فى هذه الأرض المسطحة المعرضة القليلة السواتر . وكان يحتفظ عادة بفرقتين من فرق الفرسـان الأربعة التابعة لفيلق الصحراء الراكب حسب التنظيم الجديد (الآتى ذكره فيما بعد) بالوادى والفرقتان الثانيتان بالنقاهة بالتلال ، وتغير كل شهر . وكانت التجربة قاسية ولكن تحمل الانجليز ثبت اعتقاد الأتراك فى أن تقدمهم (الانجليز) التالى سيكون على يسارهم (الأتراك) .

ترتب على سفر القوات لفرنسا ووصول الوحدات الهنـدية بدلها تغيير عظيم فى التنظيم وهو :

فيلق الصحراء الراكب : حلت فرقة اليومنرى واللواء الخامس الراكب ولواء الهجانة الامبراطورى وكون من الآيات اليومنرى الباقية والوحدات الهندية فرقة الفرسان الرابعة بقيادة المـاجور جنرال بارو والخامسـة بقيادة المـاجور جنرال ماك أندرو ، وأدمج لواء فرسان الخدمة الأمبراطورى بالفرقة الخامسة باسم لواء الفرسان (الخدمة الامبراطورية) نمرة ١٥ ، وأنشئ اللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة [١] من الأورط الاسترالية بالهجانة ، وحل هـذا اللواء بالفرقة الاسترالية [٢] محل اللواء الخامس الراكب . وبذا أصبح فيلق الصحراء الراكب الآن فرقتى فرسان وفرقتين راكبتين.وتسلحت الفرقة الاسترالية الراكبة فى الصيف بالسيوف وبذلك أصبحت تكتيكاتها كتكتيكات فرق الفرسان أما فرقة الأنزاك فقد فضلت أن تبقى كبنادق راكبة حتى النهاية .

المشاة : احتفظت الفرقة ٥٤ وحدها بتكوينها الانجليزى البحت [٣] أما الفرق الانجليزية الأخرى التى بالتجريدة المصرية (الفرق ١٠ و٥٣ و٦٠ و٧٥) فقد تحولت الى فرق على الطراز الهندى أى بثلاثة أورط انجليزية وتسعة هندية . وأرسلت من الأورط الانجليزية التى زادت بذلك التنظيم ٢٤ أورطـة الى فرنسا وحلت عشرة أورط أخرى لكى تكون كتقويات للأورط المحتفظ بهـا . أما الأورط الهندية التى حلت محلهـا فكانت مشكلة فى عدة طـرق وكانت مختلفة الصفات . وصل ٢٧ منهـا من الهند نصفها من الوحدات التى كانت موجودة قبل الحرب والنصف الآخر من الوحدات التى شكلت أثناءها. وشكلت ١٣ أورطة فى فلسطين بسحب بلوكات من الأورط الموجودة .

---

(١) كون من الآيات الفرسان الاسترالية الخفيفة نمرة ١٤ و١٥ والآى من الصباحى والفرسان الافريقية التابع لقوة المستعمرات الفرنسية .

(٢) اقترح حل الفرقة الاسترالية لترسل كمشاة لفرنسا فى يونيه ولكن الاقتراح سحب .

(٣) اقترح سحب هذه الفرقة إلى فرنسا فى يونيه ولكن الاقتراح سحب .

تحتاج قوة يحصل بها كل هذا التغيير الكثير الى عمل طويل لكى تصبح قوة واحدة قوية واحتاج تدريب الاخصائيين بجنود الاشارة ومدافع لويس وسائقى الحملة — التى لم يكن بالأورط الهندية الا القليل منها — الى مجهود عنيف طول الصيف . وكانت النتيجة عجيبة رغم كافة الصعوبات .

انحصر نشاط الانجليز فى الشهور الأربعة ما بين منتصف مايو ومنتصف سبتمبر فى الغارات التى أريد بها تدريب القوات الهندية وفى تقدم بسيط لغرض توفر الملاحظة . وكان هذا التقدم فى أقصى اليسار عند أرسوف حيث قامت أورطتان من الفرقة ٧ الهندية بعملية صغرى نجحت كل النجاح فى ٩ يونيه .

أهم الغارات العديدة التى عملت هى التى قام بها لواء من الفرقة ١٠ ليلة ١٣/١٢ أغسطس وكان الغرض الدفاعات التركية على تبه برج غرابه غرب طريق القدس نابلس مباشرة . وطول التبه ٥٠٠٠ ياردة وتبعد عن الخط الأمامى نحو ٢٠٠٠ ياردة ، وكانت التحضرات لهذه الغارة مطولة لتعقد العملية نفسها ولأنها شملت نزول بضع مئات من الأقدام ثم الصعود فوق منحدر صخرى فى الجانب التالى . وكانت استحكامات الأتراك ذات أسلاك جيدة ومحتلة بقوة . هوجم هذا الموقع من جنبيه بنجاح تام وأسر ٢٥٠ تركيا علاوة على خسائر أخرى كثيرة تكبدها الأتراك

والعملية الهمومية الوحيدة التى حاولها الأتراك طول هذه المدة وجهت على النقط الانجليزية بوادى الأردن شمال نهر العوجه . توجد شمال هذا النهر تبة صخرية اسمها أبو تلول تنتهى بجوف عند مسلبه . وكانت هذه التبه ، التى اضطر الانجليز لاحتلالها لوقاية مياه العوجه ، بروزا واضحا مربكا فى خط فيلق الصحراء . وكان يحرسها جملة نقط صغيرة لم يكن تغطية الثغرات التى بينها بالنيران ممكنا على الدوام لطبيعة الأرض . علم ليمان فون ساندرس الخطر الكامن بالخط الممتد الذى اضطر الجنرال اللنبى لاحتلاله ليحتفظ بالوادى وبحث عن حل لمتاعبه بطرد الانجليز منها أو بجعل أى عمليات أخرى شرق الأردن غير ممكنة أو محتملة وذلك بشل قبضتهم على الوادى المذكور أو تقلصها . أجرى الهجوم بأورطتين ألمانيتين وفرقتين تركيتين ففى الساعة ٣,٣٠ صباح ١٤ يولية دخل الأتراك بين النقط المتقدمة ووصلوا قمة تبه أبى تلول . فقام اللواء الأول من الفرسان الاسترالية الخفيفة الذى كان يحتل

ذلك الموقع بهجوم مضاد سريع طرد الأتراك بين النقط المتقدمـة التي ما زالت محتفظة بمواقعها . وانتهى القتال قبل الساعة ٩ صباحا واستعاد الانجليز خطهم السابق . وأسر من الألمـان ٣٧٥ وقتل أكثر من ١٠٠ وكانت خسارة الفرسان الانجليزية ٧٠ فقط ، وقد قصر الأتراك تقصيرا شنيعا إذ لم يبذلوا إلا مجهودا بسيطا فى مساعدة هجوم الألمـان وكانت نتيجة هـذه العملية صدمة عنيفة للألمـان ولم تحسن العلاقات بين الأتراك وحلفائهم الألمـان .

أثناء الهجوم تقدمت قوة تركية إلى شرق الأردن متجهة نحو هنو بين الغرانية والبحر الميت . فهاجمها لواء فرسان الخدمة الامبراطورية وقتل بالحراب ٩٠ تركيا وأسر نحو ١٠٠

أصبحت التجريدة المصرية قبل نهاية أغسطس مستعدة لتقوم بدورها فى مجموعة انتصارات حازها الحلفاء وانهت الحرب العالمية . وكانت الخطة للضربة العظيمة التى أرادها اللنبى قد تم وضعها واستعدت الآلة التى ستنفذها .

المرحلة الأخيرة ـ سوريا

الباب السابع

الهجوم العـام الأخير

١ ـ الخطة ـ أوضاع الأتراك وقوتهم ، خطة الجنرال اللنبي ، الدور الذى ستقوم به اجزاء الجيش المختلفة ، الترتيبات لخدع الأتراك .

٢ ـ وقائع المجيد ـ الهجوم الأولى للفرقة ٥٣ من الفيلق ٢٠ ، هجوم الفيلق ٢١ ، الاختراق ، ركبة الفرسان ، عملية الناصرة ، تقدم المشاه ، هلاك الجيشين السابع والثامن .

تركيب قوات التجريدة المصرية للمعركة ـ سبتمبر سنة ٩١٨

(الخرائط ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩)

١ ـ الخطة

كان التفات مجلس الحرب موجها بطبيعة الحال طول صيف سنة ١٩١٨ للميدان الغربى ، وفى منتصف يوليه عندما اتضح أن استئياس الألمـان لحصول على النصر قد فشل احيي المستر لويد جورج ، فى الوقت الذى ظن فيه ان الحرب ستمتد الى سنة ١٩١٩ ، فكرته الاستراتيجية المحبوبة وهى استعارة فرق من الميدان الغربى لحملة الشتاء بفلسطين وارجاعها لفرنسا فى الوقت المناسب لحملة الربيع هناك . وبعد تبادل البرقيات بين لندن وفلسطين اتضح بسرعة أن هذا المشروع لا يمكن تحقيقه لاعتبارات خاصة بالوقت والمحل . فترك الجنرال اللنبي لنفسه ليعمل ما يوسعه بما يتسر لديه من وسائل وجنود .

ثم لا لنبي فى فصل الصيف أن يجعل أوضاع القوات التركية مناسبة لنواياه، ففي الصيف بينما كان يتم إعادة تنظيم جيشه ويدربه ويحسن طاقة خطوط مواصلاته جهد فى حصر التفات الأتراك بوادى الأردن وعلى جناحهم الشرقى ، ولاحظ أيضا انحطاط قواهم المعنوية وإن قدرتهم على القتال قد انحطت انحطاطا تدرجيا دلت عليها شواهد كثيرة أوضحها كثرة عدد اللاجئين منهم لصفوف الانجليز وبناء على ذلك أتم وضع تفاصيل الخطة لهزمهم .

كان من جراء ترك الانجليز الخطة الهجومية فى الربيع للأسباب القهرية أن أعطيت القوات التركية بفلسطين أربعة أشهر راحة وصلتهم فيها امدادات وقووا فيها دفاعاتهم ضد موسم الحملات بالخريف . وفى الحقيقة فان الصيف لم يأتهم الا بزيادة قليلة فى العدد وتوالى ضعف قواهم المعنوية . وعندما عرف حكام تركيا انهيار روسيا التام سنة ١٩١٨ قامروا بانتصار الألمان فى الميدان الغربى وبدءوا سياسة استعمارية بالقوقاز ، فبدلا من وضع كل مواردهم ورجالهم كما يقضى العقل السليم لتأمين جبهة فلسطين التى أصبحت أهم ما يهمهم استراتيجيا فانهم بددوها بارسال جيوش للقيام بالعملية السهلة وهى فتح باطوم وقارص وتفليس ولاختراق أزربيجان تجاه باكو ، ولم يكن لنشاطهم فى هذه الناحية أى تأثير فى سير الحرب ولكنه أزعج هيئة أركان الحرب البريطانية ودفعها الى تنظيم قوة خاصة لمقاومة النفوذ التركى بالقوقاز ووضع حد لاعتدائها (١)

كانت الجبهة التركية بفلسطين وقتئذ تعوزها الجنود والمؤن التى كان الواجب ارسالها لها .وقال ليمان فون ساندرس أن محاولة جرت لسحب كافة الوحدات الألمانية من فلسطين لمشروع القوقاز . وقد سحبت فعلا أورطة البيجر الحادية عشرة فى يونيه عقب وصولها ببضعة أسابيع .

---

(١) سميت هذه التجردة " قوة دنستر " نسبة لقائدها الماجور جنرال دنسترفيل . وكانت مكونة من ضباط وضباط صف منتخبين لمساعدة الأهالى بالقوقاز على الانضمام للحلفاء والقيام ضد الأتراك والبلاشفة ، فقامت فى فبراير سنة ١٩١٨ من العراق واخترقت ايران حيث عطلها تأثير الدعاة البلشفية . وصل بعضها باكو فى أغسطس ولكن كان وصولها متأخرا أكثر من أن يمكنها القيام بعملها ولذا انسحبت .

نظمت القوات التركية بفلسطين وقتئذ فى ثلاثة جيوش، كان الجيشان السابع والثامن منها غرب الأردن والرابع شرقه .وكان الجيش الثامن الذى احتل القطاع الساحلى وامتد على واجهة ٢٠ ميلا حتى فرخة بالتلال مكونا من الفيلق٢٢ (الفرق ٧ و ٢٠ و ٤٦) وفيلق اسيا (الفرقتان ١٦ و ١٩والاورط الألمانية ٧٠١و٧٠٢ و ٧٠٣) وكان قائده جواد باشا الذى خلف الخصم العنيد كرس فون كرستشتاين الذى ذهب للقوقاز . وكانت رئاسة الجيش عند طل كرم .مد الجيش السابع الخط حتى وادى الأردن محتلا عشرين ميلا أخر وقواته الأساسية على جنبى طريق القدس — نابلس . وحل مصطفى باشا كمال — رئيس الجمهورية التركية الحالى — محل فوزى باشا فى رئاسة ذلك الجيش لمرضه ، وكانت رئاسة الجيش فى نابلس ، وكان مكونا من الفيلق ٣ (الفرقتان ١ و ١١) والفيلق ٢٣ (الفرقتان ٢٦ و ٥٣) وكان الجيش الرابع بوادى الأردن وفوق تلال معاب ، وكان مكونا من الفيلق ٢ (الفرقة ٢٤ وفرقة الفرسان ٣) والفيلق ٨ (الفرقـة ٤٨ والفرقة المركبة وتشمل الآلاى ١٤٦ الألمـانى) وكان قائده جمال باشا الصغير الضابط القدير الذى تعرفه التجريدة المصرية كل المعرفة ورئاسة جيشه فى عمان وكان مركز رئاسة القائد العام ليمان فون ساندرس فى الناصرة .

وقوة القوات التركية كما هى مذكورة بالجدول التالى تقريبا .

بلغت التعيينات المنصرفة جنوب دمشق أكثر من ١٠٠,٠٠٠*

كانت الجنود التركية رثة الملابس سيئة التغذية تعبة من الحرب كل التعب وكثرت حوادث الهروب وكانت حيوانات الحملة فى حالة بؤس لرداءة عمل خطوط المواصلات وندورة العلائق المترتبة على ذلك ، وكان الشعور السىء بين الألمـان والأتراك حادا ولذا فلم ينتظر أن يقابل التقدم الانجليزى بمقاومة عنيفة كما قوبل عند بئر السبع وغزه ، ولكن الأتراك يجيدون القتال ولو كانوا فى حالة بؤس ، وكان يقوى صفوفهم بضعة آلاف من الالمـان .

---

(١) أسر فى العمليات ٧٥٠٠٠ أسير

كان لدى الجنرال اللنبي ١٢٠٠٠ سيف و٥٧٠٠٠ بندقيـة و٥٤٠ مدفعا ولذا كان إجمالى قوته ضعف قوة الاتراك[1] وكان تفوقه عظيما فى القوات الراكبة . ورغم أن قوته الحالية تقل فى نوعها وتدريبها عن قواته منذ سنة فى موقعة بئر السبع — غزه إلا أنها تفوق الأتراك كثيرا فى هاتين الناحيتين . وبعد كل هذه الميزات فى العدد والكفاءة والروح لا ينتظر إلا النصر . وأن الطريقة التى حصل بها على هذا النصر والجرأة فى التصميم والدقة فى التنفيذ وتمام إهلاك العدو تجعل هـذه العملية عملا استراتيجيا بديعا كاملا .

	سيف	بندقية	مدفع
الجيش التركى الثامن — من الساحل الى فرخة	—	١٠٠٠٠	١٥٧
« « السابع — من فرخة الى وادى الأردن	—	٧٠٠٠	١١١
« « الرابع — شرق الأردن	٢٠٠٠	٦٠٠٠	٧٤
الاحتياطى العام	—	٣٠٠٠	٣٠
خط مواصلات الحجاز — سكة حديد معان والحجاز	—	٦٠٠٠	٣٠
المجموع (٢) ...	٢٠٠٠	٣٢٠٠٠	٤٠٢

كانت الخطة بسيطة جزئية استرشد الجنرل اللنبي استراتيجيا بالاتجاه الذى اتخذته المواصلات التركية .

تتفرع السكة الحديدية التى تموّن الجيشين السابع والثامن من سكة حديد الحجاز التى تموّن الجيش الرابع عند محطة مواصلة الدرعا غرب الأردن ، وكانت تسير فى أخدود نهر اليرموق الوعر إلى سمخ عند الحد الجنوبى لبحيرة طبرية ، وبعد أن

(١) كان إجمـالى تعيينات الانجليز بالميدان ٣٤٠٫٠٠٠ وتشمل جميع القوات وما يزيد على ٨٠٫٠٠٠ من المصريين بحملة الجمـال وفرقة العمال فاذا أضيف كل العمال الذين يشـتغلون للجيش ويقوم الجيش باطعامهم فى داخل القطر وكل تابعيه والمرضى بالاسبتاليات لبلغ الإجمالى ٤٥٠٫٠٠٠ وبلغ عدد الحيوانات بوجه التقريب ٦٢٫٠٠٠ حصان و٤٤٫٠٠٠ بغل و٣٦٠٠٠ جمل و١٢٫٥٠٠ حماره

(٢) هذه هى الأرقام التى بنى عليها الجنرال اللنبى حسابه والتى ذكرها بتقاريره ويحتمل أن يكون هذا التقدير قريبا من عدد القوة الفعلية بخط الجبهة . أما الأرقام المضبوطة فيصعب تقديرها وكان لبمان فون ساندرس يريد أن يقنع الانجليز . متوسط الفرقة هو ١٫٣٠٠ بندقية — وهذا بلاشك دون الحقيقة

تعبر الأردن على جسر المجاميه تسير إلى بيسان صاعدة وادى جزريل الى عفوله ، ويسير منها فرع إلى حيفا مارا بوادى ازدرائيلون ، أما الخط الأصلى فيسير جنوبا إلى جنين حيث يمر بسفوح تلال السامر التى يخترقها ويلف ليصل إلى مواصلة مسعودية بين نابلس وطلكرم ، وعند المواصلة يسير غربا ويدخل السهل الساحلى عند طلكرم ويستمر حتى خط الجبهة ، أما الفرع من مسعودية إلى إلى نابلس فلم يكن تاما .

لذلك كانت السكة الحديدية التى تموّن الجيشين السابع والثامن تسير من درعا إلى عفولة موازية تقريبا لخط الجبهة ، وكانت درعا وبيسان وعفولة ومسعودية أهم النقط بخط المواصلات المذكور ، وكانت الطرق مركزة أيضا عندها ، واحتلال الانجليز هذه المدن الثلاثة يسد طريق تقهقر الجيوش التركية الثلاثة . وكانت درعا بلا جدال أبعد من المدى الذى يمكن أن تسير اليه القوات الراكبة بسرعة دون عائق كما أراد الجنرال للنبى ، ولكن كان يمكنه — وقد قام فعلا بذلك — أن ينتفع بفكرة الغارة على درعا التى أدخلها بعقل الأتراك لتثبيت جزء كبير من القوة التركية . واقترح الانتفاع بحلفائه العرب لتأييد هذا الاعتقاد ولارباك العمل بخطوط المواصلات حول درعا ، ولكنه لم يطلب منهم الاستيلاء عليها ولا الاحتفاظ بها .

وحتى ولو لم يستولى على درعا فإنه باحتلاله عفوله وبيسان لا يبقى مفتوحا لنجاة الجيشين السابع والثامن إلا طريق واحد ضيق كل الضيق وهو الموجود على جناحهما الشرقى حيث الطريق ردىء والأردن عميق سريع والتلال شديدة الانحدار مقفرة . وتبعد عفوله ٤٥ ميلا وبيسان ٦٠ ميلا عن الخط الانجليزى أى فى مدى مسيره واحدة مستمرة للفرسان لأن الأرض مسطحة مناسبة للسير فى معظم أجزائها ، فكانت خالية من المواقع التى تعيق التحرك السريع فى سهلى الشعرون أو ازدرائيلون . وأصعب أجزاء السير هو عبور منطقة التلال التى تفصلهما والتى تخرج من تلال يهوذا ممتدة شمالا بغرب ومنتهية بجبل الكرمل المشرف على حيفا وخليج عكا ، وعرض هذا المانع سبعة أميال ويخترقه طريقان من الشعرون يدخل غربيهما سهل ازدرائيلون عند أبو شوشة المقابلة لبلدة الناصرة ، ويدخله شرقيهما عند اللجون أو المجيد المقابلة لعفولة ، وليس بالطريقين أى صعوبات طبيعية تعترض القوات الراكبة ومع ذلك فكلاهما سهل الدفاع عنه ويصعب جدا عبورهما عنوة أمام مقاومة .

كان الجنرال اللنبي حكيما عندما حرر خطته أول مرة، إذ رمى إلى غرض متواضع نسبيا فبمجرد انكسار الخط التركي قرب الشاطئ تتقدم القوات الراكبة إلى مواصلة المسعودية وبذلك تطوق جنب الجيش الثامن التركي تطويقا تاما وتهدد خط تقهقر الجيش السابع بطريق نابلس، وقد احتفظ لنفسه بمشروعه الأكثر جرأة — الذي يرمى إلى حركة أوسع وأعمق تقوم بها القوات الراكبة لتصبح خلف القوات التركية عند عفوله وبيسان — حتى يصبح أكثر تأكدا من طريقه، وحتى يمكنه كشف وافشاء مشروعه دون أن يجازف بمعرفة الاتراك لها مجازفة لاداعى لها. وقبل نهاية الصيف كان قد وازن بين كافة الفرص وقدر ضعف الأتراك ونوع قواته التي أعيد تنظيمها فقدر أن مشاته قادرة على كسر الخط بسرعة كافية تمكن معها القوات الراكبة اما من سبق الأتراك كلية بالوصول قبلهم إلى الممرات بالتلال المواصلة من الشعرون الى إزدرائيلون، أو على الأقل من الوصول إليها قبل أن تتمكن الأتراك من تجميع قوات كافية لسدها سدا مؤثرا. لذلك عدلت الخطة الأصلية بحيث أصبح الغرض لاهزم الأتراك فقط بل وتحطيم الجيشين السابع والثامن تحطيما تاما .

قبل فحص تفاصيل الخطة يجب فهم مطالبها المهمة . فكان أساس العملية دفع القوات الراكبة بأجمعها في ركبتها شمالا في أول لحظة ممكنة، وأن لا يعوق أى قتال جدى قوتها حتى تصل خلف الأتراك، ومعنى هذا أن تقوم المشاة بشق الخط التركى واتمام الثغرة به بسرعة، ولذلك يجب أن تكون قوتها عظيمة كاسحة أمام المحل المنتخب وأن تساعدها أكثر ما يمكن من المدفعية، ومعنى ذلك أن باقى الخط يحتل بقلة قدر الإمكان، وأخيرا يجب أن يبقى الأتراك جاهلين بالتجمع عند الشاطئ وأن يوهموا بأن الضربة المنتظرة ستقع بمحل آخر .

كان الفيلق ٢١ الذى عليه أن يشق الطريق للقوات الراكبة مكونا من أربعة فرق ٣ و ٧ الهنديتين و ٥٤ و ٥٧ والفصيلتين الفرنسية والايطالية[1]، واضيفت اليه فرقة خامسة (الفرقة ٦٠) من الفيلق ٢٠ الذى لم يبق به الا فرقتان (١٠ و ٥٣)، وخصص أكبر جزء من المدفعية المتوسطة والثقيلة للفيلق ٢١ كما عين معه أيضا

(١) الفصلة الفرنسية قوتها تعادل لواء أما الايطالية فكانت صغيرة .

لواء راكب (اللواء الخامس من الفرسان الأسترالية الخفيفة) . وكان على فيلق الصحراء الراكب (فرقتا الفرسان الرابعة والخامسة والفرقة الأسترالية) أن يتجمع خفية قرب الشاطئ وخلف يسار الفيلق ٢١

كلف الفيلق ٢٠ بتلال يهوذا، فضلا عن تسليمه فرقة و بعض المدفعية ، أن يمد جبهته ليمكن الفيلق ٢١ من التجمع بدرجة أكبر . وتركبت قوة منفصلة بوادى الأردن، بعد تحرك فيلق الصحراء للساحل، من فرقة الأنزاك الراكبة وثمانية أورط مشاة (لواء الخدمة الامبراطوى — وأورطتين من الهند الغربية ، وأورطتين من اليهود) بقيادة الماجور جنرال تشيتور .

كانت الواجبات المعطاة للأجزاء المختلفة كالآتى :

الفيلق ٢١، عليه أن يهجم بخفرا بعد ضرب تمهيدى قصير شديد من المدفعية وأن يفتح طريقا للفرسان بين البحر والسكة الحديد — ثم يلف للشمال الشرقى مرتكزا على يمينه و يطرد الأتراك الى سفوح التلال ثم داخلها تجاه مسعودية ثم اسفل الطريق الى جنين حيث يسقطون بيد الفرسان عند عفوله ، وكان على اللواء الخامس من الفرسان الأسترالية الخفيفة أن يستر الجنب الأيسر للفيلق أثناء عملياته و يتحرك بادئ الأمر على طلكرم .

فيلق الصحراء الراكب ، كان عليه أن يتحرك شمالا بحذاء الشاطئ بمجرد أن تفتح له المشاة طريقا ، وعليه أن يتجاهل كل التجاهل أى قوة تركية لا تعترض طريقه مباشرة حتى يصل الى خط نهر المفجر حيث يظن أن الاتراك قد جهزوا خطا احتياطيا واحتلوه بقوات بسيطة. وهنا تسير الفرق للشمال الشرقى وتعبر التل بالممرين حتى تصل سهل ازدرائيلون، ثم عليها أن تحتل عفوله و بيسان والكوبرى عند جسر المجامية وترسل قوة منفصلة لتقبض على رئاسة ليمان فوق ساندرس العامة عند الناصره.

الفيلق ٢٠، كان عليه أن يدفع يمينه للأمام ليسد الطرق الموصلة من التلال إلى جسر الدامية، وعليه أن يعبر نهر الأردن مبكرا قدر الإمكان وأن يتقدم أيضا على نابلس ، وكان توقيت عملياته متوقفا على نجاح الفيلق ٢١

قوة تشيتور بوادى الأردن ، وعليها أن تحافظ على الجنب الايمن وأن تخفى تحرك باقى القوات الراكبة وأن توهم الأتراك بتظاهرها بأن هجوما آخر سيوجه على عمان .

وفى الشرق أعطى عرب فيصل دورا هاما ليلعبوه. وكان لإخلاص فيصل ولعدم تطرق الوهن إلى سياسته أن انتشرت ثورة عرب الحجاز حتى أبواب دمشق ، وكانت الصحراء والأقاليم والمدن يدا واحدة للوصول للغرض الأسمى، وكان الجميع ينتظرون الإشارة للقيام بالثورة ورفع نير الأتراك عن عاتقهم بعد أن دام طويلا ، وكان لورنس وجويس وضباط إنجليز آخرون أثناء ذلك يضعون الخطط اللازمة للتنظيم وللتكتيك لكى يصبح المجهود العربى الأخير عمليا وآمنا ، وكان الجيش العربى النظامى بقيادة جعفر باشا مكونا بنوع خاص من أسرى الجيوش التركية وبلغت قوته ٨٠٠٠ رجل. وعند ما حل سلاح الهجانه منحهم الجنرال اللنبي ٢٠٠٠ جمل للركوب ، وبذا تمكن فيصل من أن يكوّن قولا سريعا من قوته النظامية قوى ببعض السيارات المسلحة الإنجليزية والمدافع الماكينة الهندية والمدفعية الجزائرية ، وكانت هذه نواة قوته التى التف حولها العديد من رجال الصحراء ، وقد اختيرت واحة أرزق التى تبعد ٥٠ ميلا شرق عمان لتكون قاعدة ومحلا للتجمع . وبلغت ثورة العرب آخر مرحلة لها والتى سيصلون فيها إلى غرضهم وهو دمشق [1]

طلب الجنرال اللنبي من العرب أن يقطعوا المواصلات التركية شمال درعا وغربها وكان يأمل من هذا العمل ، علاوة على إرباكه الخدمات التركية الخلفية فى عملها ومنع وصول إمداد الجيوش التركية من الشمال أن يجذب أيضا الاحتياط من منطقة حيفا وعفوله والناصرة وبذلك يبسط من عمل الفرسان الإنجليزية ، وقد طلب منهم أن يبدأوا هجومهم على المواصلات قبل الضربة الكبرى بيومين .

كانت خطة الجنرال أللنبي فى الحقيقة هى بعينها خطة غزة — بئر السبع معكوسة فهناك ضرب الجنب التركى الأيسر بينما كان يوهمهم أن غرضه هو الاختراق عند الشاطئ ، أما هنا فكان يريد الاختراق عند الشاطئ بينما كان يدفعهم الى

---

(١) هددت الاستعدادات العربية فى أغسطس بتجمع قوة تركية للهجوم من عمان . ولتأخير ذلك الهجوم ولكى يتم للعرب تجمعهم أعيرت آخر أورط الهجانة الامبراطورية لفيصل لمدة شهر قامت بعمل لفت نظر من العقبة على الخط جنوب عمان وساعدت هذه العملية فى ايجاد الاعتقاد بوجود النشاط فى الشرق ، وفى خدع الأتراك فى معرفة المحل الحقيق للهجوم سارت الأورطة نحو ٧٠٠ ميل فى ٤١ يوم استقت فيها الجمال ١٢ مرة .

الاعتقاد بأن الضربة ستوجه على جنبهم الأيسر ، وكانت الخطوات التى اتبعها لخدع الأتراك فى محل الهجوم الحقيق احدى الهيئات المهمة فى التحضيرات للوقعة . ويمكن اعتبارها على نوعين ، التدابير المتخذة لاخفاء التجمع الفعلى عند الشاطئ والتدابير للتظاهر بالتجمع بالجنب الشرقى بوادى الأردن .

كان المطلوب تحريك ثلاثة فرق كاملة (فرقة الفرسان الرابعة والأسترالية الراكبة و ٦٠) و بطاريات عديدة ووحدات أخرى من وادى الأردن وتلال يهوذا إلى منطقة الساحل . أجريت كافة التحركات ليلا وبكل تكتم ممكن ، وحدد من اصدار الأوامر كتابة كل التحديد ، استعين بأحراش الزيتون والبرتقال بشمال يافا لإخفاء الزيادة فى القوات ، وقد روعى أن القوات التى كانت معسكرة بهذا القطاع خلف الخطوط توضع طول الصيف بمعسكرات متسعة وموزعة بحيث يمكن إضافة قوات أخرى اليها دون زيادة فى عدد الخيام أو المضارب ، وبذلك كانت الأورط بالاحتياط معسكرة فى الوقت السابق فى معسكرين بكل منهما نصف أورطة. وعند ما آن الأوان احتل كل معسكر منها أورطة كاملة ، وبذا ضوعفت القوة بالمنطقة من غير أن يظهر ذلك للجو ، وهذه التفاصيل تظهر النظر البعيد الدقيق الذى وضعت بموجبه خطط العمليات . ولكن التجمع لم يكن ليتم خفية إلا بفضل تفوق السلاح الجوى البريطانى فقد كان التفوق الجوى الذى ناله بالقتال الشديد تاما لدرجة أن أصبح مرور الطائرات المعادية فوق الخطوط الانجليزية نادرا قبل سبتمبر [1] .

أجرى بالجناح الاخر كل ما أمكن عمله ليظن أن هناك تحضيرات لهجوم كبير ، فقد ترك بوادى الأردن الخيام التى أخلتها الفرسان قائمة وأقيمت غيرها أيضا ، وملأت خطوط الخيول بخمسة عشر ألف حصان هيكلى مصنوع من الخيش ، وجرت زحافات بالبغال لتثير سحبا من التراب لتجعل المراقبة صعبة ولتدل على الحركة والنشاط ، وسارت أورط الهند الغربية الانجليزية فى أيام عديدة من القدس إلى الوادى وكانت تعود ليلا بلوريات لتكرر السير مرة أخرى فى اليوم التالى ، وأقيمت كبارى إضافية على الأردن ، واستمرت الحركة باللاسلكى من

(١) انظر فقرة ١٠ من رسالة اللنبى المؤرخة ٣١ اكتوبر سنة ١٩١٧

طلعة الدم بعد أن تركتها رئاسة فيلق الصحراء الراكب للساحل بوقت طويل ، وأرسل لورنس مندوبين بتعليمات لمشترى علائق بكميات كبيرة تورد قرب عمان ، وعملت تحضيرات مطولة لنقل الرئاسة العامة للقدس حيث أخليت لوكاندة ومدت خطوط تليفونية وما شابه ذلك .

ظهر نجاح الوسائل التى اتخذت لمنع الأتراك من معرفة الخطة من ملخص للمخابرات التركية وقع بيد الانجليز فيما بعد وهذه الوثيقة مؤرخة ١٧ سبتمبر ، وأظهرت عدم توقع أى تجمع عند الشاطىء ، وبالعكس فإن التقارير بينت أن الانجليز يقوون قواتهم بوادى الأردن .

وتظهر الأرقام القليلة الآتية المزايا الهائلة التى نالها الجنرال اللنبى من استراتيجيته فقد جمع — عند ما تم جمعه — ٣٥٠٠٠ من المشاة و ٩٠٠٠ من الفرسان و ٣٨٣ مدفعا على واجهة قدرها ١٥ ميلا تقريبا (أى ما يقرب من ربع الواجهة بأجمعها) ولم يكن للأتراك فى نفس الجبهة إلا ٨٠٠٠ من المشاه و ١٣٠ مدفعا . وكان له على باقى الجبهة وقدرها ٤٥ ميلا ٢٢٠٠٠ من المشاه و ٣٠٠٠ من الفرسان و ١٥٧ مدفعا يقابلهم من الأتراك ٢٤٠٠٠ من المشاه و ٢٧٠ مدفعا . لذا فالموقعة قد اكتسبت عمليا قبل أن تطلق طلقة واحدة .

٢ — وقائع المجيد

فى ١٦ سبتمبر بدأ عرب فيصل وسلاح الطيران عملياتهما الأولية لإخلال مواصلات الأتراك ولحصر التفاتهم على درعا وجناحهم الشرقى ، وكانت هجمات سلاح الطيران شديدة مهلكة ، وقد روعى بعناية أن تسلم درعا من الغارات الجوية حتى الآن . فكانت حاميتها غير مستعدة وغير محمية وقد أثرت أيضا هجمات العرب تحت إدارة لورنس الماهر على السكة الحديدية وقد أصبحوا مهرة فى التخريب . ففى يوم ١٦ قطع الخط فى الجنوب بين درعا وعمان وقطع يوم ١٧ فى الشمال بين درعا ودمشق وفى الغرب بين درعا وعفوله . وقد جاوب القائد العام للأتراك ليمان فون ساندرس على هذه الهجمات كما كان المنتظر بارسال جزء من احتياطيه — به بعض الألمان — من حيفا إلى درعا .

تم لألنبى قبل يوم ١٨ سبتمبر التجمع واستعدت قواته الأساسية للهجوم :

بدأ الفيلق ٢٠ بتلال يهوذا بالتحركات الافتتاحية للوقعة الكبرى. وكان الفيلق - المكون الآن من فرقتين - يشغل جبهة تزيد على ٢٠ ميلا . وكانت الخطة العامة أن يتقدم على نابلس عندما يحين الوقت بتحركات تتقابل من كلا جنبى الخط وليس يتقدم مباشر على الطريق العام حيث صعوبات الأرض عظيمة وحيث الأتراك ينتظرون الهجوم . وقد ترك تجمع الفرقتين على الجنبين تمهيدا لهذه الخطة ثغرة واسعة فى وسط جبهة الفيلق وكان يحرس هذه الثغرة قوة منفصلة أنشئت من آلاى فرسان الفيلق (آلاى يومنرى ورسترشير) وأورطتى بيونير وتوابع من معسكر إمداد الفيلق .

كان الغرض من العملية الأولية التى تقوم بها الفرقة ٥٣ ليلة ١٩/١٨ سبتمبر أن يدفع يمين الفيلق عبر مانع مكون من شق بالتل وعر شديد الانحدار هو وادى السامية . ومتى تم عبوره فان تقدم الفرقة ٥٣ التالى يصبح على امتداد مقسم للمياه (خط تقسيم مياه) ولا يصبح أمامها أى وديان أخرى عميقة لتعبرها . وكان هذا ذا أهمية بسبب العمل الذى أعطى للفرقة لتقوم به فى المراحل التالية للموقعة بعد هجوم الفيلق ٢١ وهو التقدم بسرعة لسد المخارج الشرقية للتلال عند نابلس المؤدية لوادى الأردن .

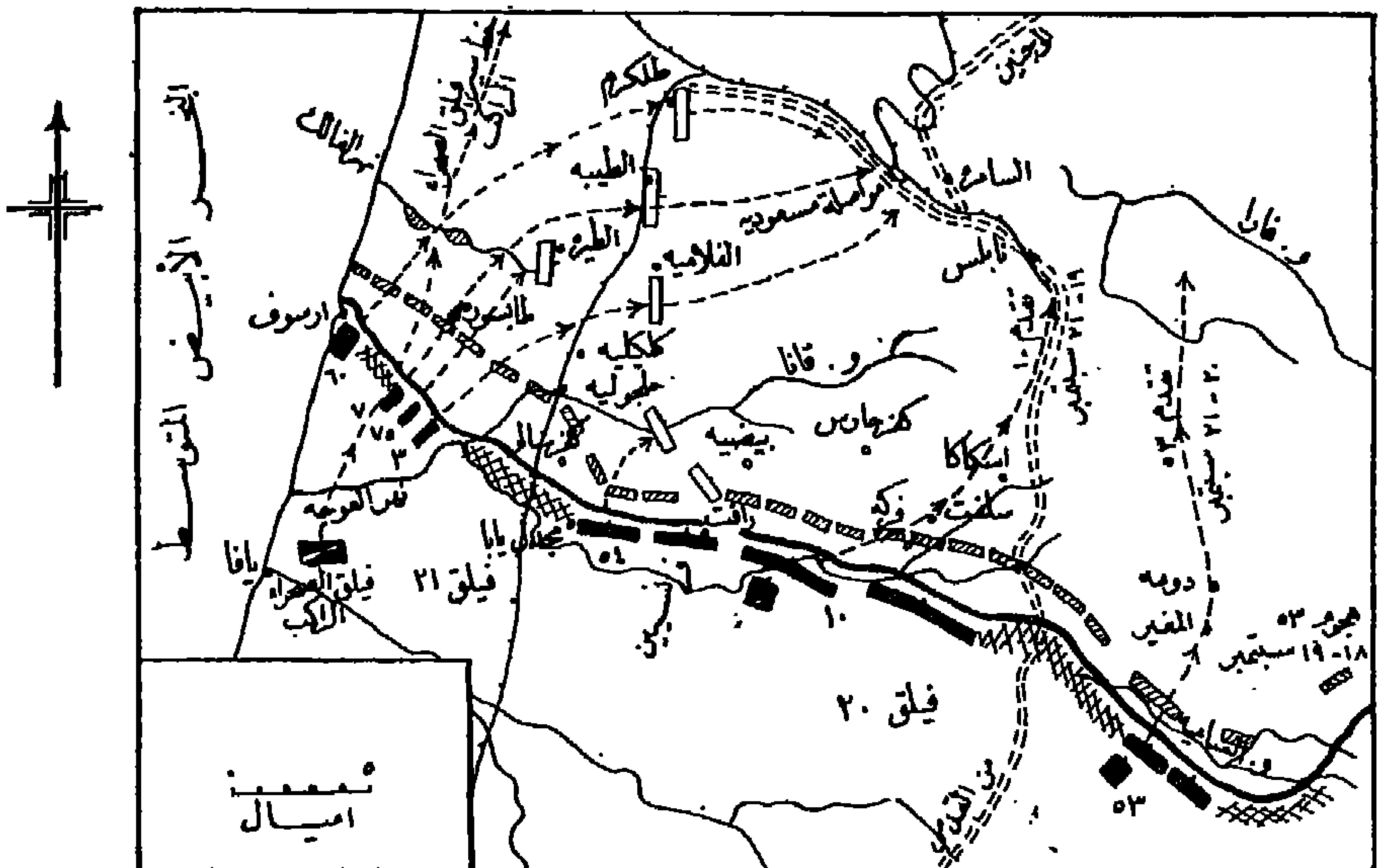
استخدمت الفرقة ٥٣ فى هذه العملية لواءين ، تحرك الأيمن منهما وهو اللواء ١٦٠ بمجرد حلول الظلام فنزل بوادى السامية وسار بحركة التفاف واسعة فوق أرض صخرية وعرة كان القصد منها أن تصبح الأورط على جنب أو خلف المواقع التركية المجهزة . واستلزم هذا أن يصعد بعد خروجه من الوادى منحدرا شديدا وهو سائر على جبهة ضيقة . وعند الوصول للقمة تلف الأورط بالتالى لليسار وتهاجم المواقع التركية من الشرق . وكانت المسافة إلى أبعد الأغراض تزيد على سبعة أميال ولم يوجد سوى أوعر الدروب . كانت العملية ناجحة مفاجأة كل المفاجأة للأتراك وانتهت بامتلاك كافة الأغراض بخسائر بسيطة ، ونجاح هذه العملية يعود بالفخر إلى ترتيبات هيئة أركان حرب الفرقة وإلى مهارة الجنود وحسن نظامهم (الضبط والربط) .

فى الساعة ١٠ و٣٠ صباحا عندما كان هجـوم اللواء ١٦٠ متقـدما قام اللواء ١٥٩ بمهاجمة الاستحكامات التركية فى الغرب ولم يتيسرهنا عمل حركة التفاف ولم تكن هناك من الفرص للفاجأة الا القليل. لذا كانت مقاومة الأتراك أعظم والقتال أشد . ورغم ذلك أخذت كافة الأغراض الا واحدا ثبت عنده الأتراك بالبلانقه وصدوا ثلاثة هجمات .

عندما انتهى القتال على جبهة الفرقة ٥٣ سمع دوى مدافع بفجائى بالسهل بالغرب معلنا بدء حركة الاختراق التى سيقوم بها الفليق ٢١ ، وكان سلاح الطيران قد بدأ بضرب رئاستى الجيشين السابع والثامن بنابلس وطلكرم وضرب المواصلة الرئيسية التلغرافية والتليفونية عند عفوله بفكرة شل المواصـلات بين أجزاء الجيش التركى المختلفة .

موقعـة الشعرون

هجوم الفيلقين ٢٠ و ٢١ من ١٩ الى ٢١ سـبتمبر ١٩١٨



الخط الانجليزى يوم ١٨ سـبتمبر — القوات الانجليزية يوم ١٨ سبتمبر

" التركى — " ١٩ " مساء

" المراقب او المخازن بقوة بسيطة — خط التقدم

الخريطة نمرة ١٨

كانت جبهة الفليق ٢١ تبدأ عند "رأفت" بسفح التلال وتنتهى عند البحر شمال أرسوف بقليل أعنى مسافة تزيد على ١٥ ميلا ، وتلت هذه الجبهة أرض لاتصلح للهجوم كانت ستراقب فقط أو تحتل بقلة . بلغت جبهة الإقتحام الفعلى نحو عشرة أميال فقط ولم تكن مستمرة . قاتلت الفصيلة الفرنسية والفرقة ٥٤ باليمين بسفوح التلال . وكان على الفرنسيين أن ينقضوا على تبة تقابل رأفت محتلة بقوة وهناك تبقى بمثابة محور إرتكاز أمين يلف حوله الفيلق ٢١ لليمين ، وكان على الفرقة ٥٤ مابين رأفت ومجدل يابا أن تتقدم على كفر قاسم وهناك تلف بقوة للشمال الشرقى ، تلى ذلك ثغرة متسعة فى سهل مكشوف غير صالح للهجوم المباشر . ويجرى الهجوم على الاستحكامات التركية التى تحكم هذه المنطقة من جنبها الغربى فى مرحلة أخرى . بعد ذلك جاءت الفرقة ٣ الهندية فالفرقة ٧٥ ثم ٧ الهندية وكان عليها أن تهاجم أولا مجموعة استحكامات الأتراك المعروفة باسم دفاعات طبسور التى حول البلدة ذات الإسم نفسه وثانيا الخط جلجولية — قلقيلية — الطيرة ، تلى تلك الفرقة من جهة الغرب ثغرة أخرى وأخيرا الفرقة ٦٠ عند الشاطئ ، وكان عليها أن تصل مصب نهر الفالك وهناك تنشئ رأسا للكوبرى تعبر عنده فرقة الفرسان الخامسة . عند ذلك تتحرك الفرقة ٦٠ للشمال الشرقى الى طلكرم وعلى يسارها لواء الفرسان الإسترالية الخفيفة الخامس .

كان عمل الفيلق مشابها تماما لفتح باب عريض كانت الفصيلة الفرنسية بمثابة مفصلته والفرقة ٦٠ بمثابة قبضته . ساعد الهجوم ٣٨٥ مدفعا كانت كلها مدافع ميدان أو هوتزر عدا ٧٠ ومعنى ذلك أن كل مدفع خصه ٥٠ يارده وهو أكبر تجمع للمدفعية فى حملات فلسطين ولو أنه ضعيف نسبيا اذا قيس بالمعدل بالجبهة الغربية فى ذلك الوقت من الحرب [1] .

(١) قد تكون الأرقام الآتية مناسبة للقارنة :

(أ) فى موقعة السوم فى أول يوليه سنة ١٩١٦ خص كل مدفع اوهوتزر نحو ٢٠ ياردة من جبهة الهجوم وكانت المدافع والهوتزر الثقيلة والمتوسطة بنسبة ١ : ٣ من اجمالى العدد .

(ب) فى موقعة اسكارب فى ٤ أبريل سنة ١٩١٧ خص كل مدفع الهوتزر نحو ١٠ ياردات من الجبهة وكانت نسبة المدافع والهوتزر المتوسطة والثقيلة أكثر من ١ : ٣ من اجمالى العدد .

(ج) فى هجوم الجيش الرابع فى ٨ أغسطس سنة ١٩١٨ خص كل مدفع اوهوتزر أيضا نحو ١٠ ياردات وكانت نسبة المدفعية المتوسطة والثقيلة كنسبة ٧ الى ١٢

كانت سلسلة الدفاعات التركية الأمامية بالسهل الساحلي على تشبه رملية منخفضة عمقها نحو ٣٠٠٠ ياردة وكانت الدفاعات جيدة الانشاء وكونت خطا مستمرا وكانت ذات موانع الأسلاك ولو أن الأسلاك التركية لم تكن يوما ما منيعة . أما السلسلة الخلفية فامتدت من الطيرة غربا لنهر الفالك على الشاطئ وكانت تبعد نحو ميلين أو ثلاثة خلف السلسلة الأمامية . وكان يحمى يمينها المستنقعات التى لم تكن تصلح للسير الا فى بعض أجزائها حيث يجرى نهر الفالك ولم تكن هذه الدفاعات مستمرة ولا محمية بالأسلاك .

كان على المشاة أن يكون هجومها فجائيا سريعا . ولم يكن هناك ضرب تمهيدى بالمعنى المفهوم فلم تكن أول دفعة من نيران المدفعية لتدوم الا نحو ١٥ دقيقة تتحرك أثناءها الموجات الأمامية من مواقع الفتح الى خط الأتراك الأمامى . ومن هنا يسير الهجوم للأمام خلف غلالة وقتت فى بعض الحلات بحيث تتقدم مائة ياردة فى الدقيقة ، ولم تعمل أى محاولة لقطع الأسلاك عمليا بمعرفة المدفعية فقد عمل ترتيب قطعها بمعرفة القوات القائدة اما باليد أو بحمل وسائل لعبورها .

حددت ساعة الصفر لتكون الساعة ٤ ونصف صباح يوم ١٩ سبتمبر وأعلن عنها بضرب نيران شديدة فجائية بكل المدافع الموجودة لمدة ١٥ دقيقة وليس هناك الا القليل الذى يذكر عن هجوم المشاة الذى تلى ذلك . فقد كان ناجحا كاسحا تاما . ولم يوقف مؤقتا الا بحلات قليلة . وكان القتال على أشده فى أقصى اليمين حيث قابلت الفصيلة الفرنسية مواقع دفاعية دوفع عنها بعناد وكان عليها أن تستولى عليها . وقوبلت الفرقة ٥٤ أيضا بمقاومة عنيفة وقتا ما شمال كفر قاسم . ولكنها والفرنسيين سرعان ما تغلبوا على كل مقاومة ووصلوا الاغراض المعطاة لهم وبذا أصبح المحور الذى يلف حوله باقى الفليق آمنا . واكتسحت الفرق ٣ و ٧٥ و ٧ بالوسط السلسلة الأمامية فى أول وثبة . ولم يظهر الأتراك الا القليل من المقاومة

لأن الهجوم فاجأهم مفاجأة تامة ، وقد باغتهم وأدهشهم الاقتحام المفاجىء وسرعته ، ثم لفت الفرقة ٣ لليمين واقتحمت الدفاعات عند چاچولية وقلقيلية من الجنب. سارت الفرقة ٧٥ إلى الطيرة حيث قاتلت فى أشد قتال وقع ذلك اليوم ، وقامت الفرقة ٧ بتنظيف السهل حتى المستنقعات عند الشاطئ ؛ ثم لفت لليمين شمال الطيرة سائرة إلى سفوح التلال . أما الفرقة ٦٠ الموجودة قرب الشاطئ على جبهة ضيقة فقد اخترقت كافة دفاعات الاتراك بسرعة عظيمة وتم لها قبل الساعة ٧ صباحا تأمين رأس الكوبرى [1] قرب مصب نهر الفالك حيث عبرت فرقة الفرسان الخامسة ثم سارت قاصدة طلكرم وعلى يسارها اللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة .

وقع الجيش الثامن قبل الظهر فى ارتباك لا أمل فى ازالته ، وكانت بقاياه تنصب فى السهل نحو طلكرم ومنها على الطريق الذى يسير بالوادى حتى مواصلة السعودية. قام سلاح الطيران بضرب القوات والحملات التى ازدحمت بالممر بالقنابل ومدافع الماكينة وكان لذلك تأثير قاتل فسرعان ما أنسد الطريق وأتم اللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة — الذى تحرك حول طلكرم من جهة الشمال — هزيمة الاتراك على ذلك الطريق وأسر العديدين . ثم وصل سكة حديد المسعودية — جنين وقطعها وتم للفرقة ٦٠ بعد أن سارت ١٧ ميلا سيرا شاقا مع القتال من الاستيلاء على طلكرم قبل الظلام وصل الفيلق ٢١ عند حلول الظلام لخط رأفت (الفرنسيون) — بيديه (الفرقة ٥٤) — فلابيه (الفرقة ٣) — الطيبة (الفرقة ٧) — طلكرم (الفرقة ٦٠) وكانت الفرقة ٧٥ باحتياط الفيلق عند الطيره . وبذا قامت المشاة بالعمل المطلوب منها حق قيام وهو كسر الجيش الثامن وتمهيد الطريق للقوات الراكبة ؛ وسيأتى وصف العمل الذى قامت به هذه .

---

(١) تقدمت القوات الأمامية للفرقة ٦٠ نحو ٧٠٠٠ ياردة فى ساعتين ونصف .

كان الارتباك عاما فى الجنب التركى ، ورغم أن بعضا من رجال الآى هندى الذى هربوا وانضموا إلى الاتراك فى ١٧ سبتمبر قد أعطوا معلومات عن ساعة الهجوم المنتظر ويومه إلا أن الأتراك لم ينتفعوا كما هو الظاهر إلا قليلا من التحذير. ولاجدال فى أن مدى القتال وشكله كان مفاجأة تامة للأتراك. وقطعت غارة سلاح الطيران التى حصلت فى الساعات الأولى من الصباح المواصلات بين رئاسة الجيوش و بين ليمان فون ساندرس الذى بقى كما سيظهر فيما بعد جاهلا بما حل بالجيش الثامن من هزيمة تامة و بتحركات الانجليز حتى حضر بذلك النبأ لواء من الفرسان الانجليزية وصل الناصره بفجر يوم ٢٠ .

تحركت فرقتا الفرسان ٤ و ٥ ليلة ١٩/١٨ من مضاربهما عند سارونا وسالمه وسارتا خلف المشاة وعلى قرب منهم ، وكانت فرقة الفرسان الرابعة خلف الفرقة ٧ الهندية والفرقة ٥ خلف الفرقة ٦٠ ، وتحركت الفرقة الأسترالية الراكبة (عدا اللواء ٥ من الفرسان الأسترالية الخفيفة) من اللد إلى سارونا وبذا أصبحت القوات الراكبة مستعدة للانتفاع حالا من نجاح المشاة . وفى الساعة السادسة والنصف صباحا تقدّمت فرقة الفرسان الخامسة بحذاء الشاطئ تحت ستر الجروف التى بجوار الشاطئ ، وقبل الساعة الثامنة والنصف عبرت نهر الفالك سائرة بدرجة مرضية نحو غرضها فى شماله . أما فرقة الفرسان الرابعة التى كانت فى الداخل فقد تأخرت فى الابتداء قليلا لصعوبات قليلة فى عبور موانع الأسلاك [1] ومع ذلك ففى الساعة العاشرة صباحا كانت أيضا عبر نهر الفالك سائرة فى السهل سيرا

---

(١) قام صناع الفرقة الأسترالية الراكبة بعمل مجيد خلف مشاة الفرقة ٧ بفتحها طريقا فى الأسلاك لفرقة الفرسان الخامسة .

جيدا (١) وكانت الأوامر الصادرة للفرق الراكبة بسيطة قاطعة فكان عليهما أن تحرك إلى بيسان وعفوله بسرعة قدر الامكان مع تجنب الاشتباك مع أى قوات تركية لا تقف فعلا فى الطريق بينهم وبين أغراضهم .

وقبيل الظهر وصلت فرقة الفرسان الخامسة بعد عبورها نهر اسكندرون الى ليكتره على نهر المفجر وبعد ذلك بقليل وصلت الفرقة ٤ الى نفس النهر على بعد بضعة أميال فى الداخل وداست اللواءات القائدة لكلتى الفرقتين جماعات عديدة من الأتراك وجدوهم بمواقعهم معترضين طريقها وأسرت بضع مئات منهم. عملت وقفه بعد ذلك للسقيا والعليقة . وأرسلت الفرقة ٥ أورطة تساعدها السيارات المدرعة لاستطلاع الدرب المخترق التلال حتى أبو شوشة وأرسلت الفرقة ٤ لواء ومعه سيارات مدرعة لامتلاك مضيق مسمس حتى المجيد .

استمرت الفرقتان فى السير بين الساعة الخامسة والساعة السادسة مساء فتركت الفرقة ٥ مدفعيتها ولواء واحد (اللواء ١٥) عند ليكتره لتعبر اليوم التالى اذ أن التقارير أفادت ان الطريق شديد الوعورة لسير المدفعية ليلا وعبر اللواءان الباقيان الممر ووصلا السهل قبل الساعة أثنين ونصف صباح يوم ٢٠، وهما مدينان بنجاحهما فى معرفة طريقهما لدرجة كبيرة الى قائد اللواء ١٣ وكان استاذا فى اللغة العربية . سار اللواء القائد (اللواء ١٣) نحو الرئاسة العامة للاتراك عند الناصره مباشرة . فوصلها الساعة الخامسة والنصف صباحا لعظيم دهشه ليمان فون ساندرس وأفراد هيئة أركان رئاسته ، ولسوء الحظ لم تسد المخارج الشمالية للبلدة وهى الموجودة فى تجويف بين تلال صخرية شديدة الانحدار وبذا ترك طريق الهروب مفتوحا

(١) كانت البطاريات الخيالى قد تحركت للخط يوم ١٧ واشتركت فى الضرب التمهيدى للدفعية ثم انضمت لفرقها عند اختراقها خطوط المشاة فى صباح يوم ١٩

ولم يتيسر معرفة محل الرئاسة العامة الى طبرية وعندما عرفت كان ليمان فون ساندرس فى محل آخر ، وسرعان ما استفاق الأتراك من المفاجأة ودار قتال بالشوارع لم تكن الميزة فيه للقوات الراكبة . فقد ضعف اللواء بسبب الجماعات المنفصلة العديدة التى تركها قبل وصوله الناصرة ولم تكن قوته كافية لاتمام الاستيلاء على البلدة . و بعد أن عثر اللواء ١٣ على محل الرئاسة واستولى على أهم الوثائق انسحب للسهل آخذا معه ١٢٥٠ أسيرا ، وأثناء ذلك تحرك اللواء ١٤ إلى عفوله .

مرت فرقة الفرسان الرابعة أثناء الليل فى مضيق مسمس بعد عطل تسبب عن فقد اللواء القائد للاتجاه . ووصل السهل عند المجيد فى الفجر وفى الوقت المناسب وهناك فاجأت قوة تركية صغيرة وحاصرتها وعند ما خرجت القوة العائدة من اللجون رأت قوة تركية كانت مقدمتها القوة البسيطة التى أسرت وكانت القوة قولا مركبا من ٦ بلوكات و١٢ مدفع ماكينة أرسلها ليمان فون ساندرس بعد ظهر اليوم السابق من الناصرة وعفوله لسد ممر مسمس ضد أى غارة ممكنة تقوم بها الفرسان الانجليزية ، فقابلهم الآلاى القائد للفرقة بمساعدة نيران السيارات المدرعة ودخل وسط المشاة يصول ويجول بالحراب قبل أن يتم فتح الأتراك ، فقتل منهم بالحراب ٤٦ وسلم الباقون أنفسهم وقدرهم ٥٠٠ ولم تدم العملية إلا بضعة دقائق.

تحركت الفرقة ٤ بعدئذ الى عفوله فوصلتها الساعة ٨ صباحا متأخرة قليلا عن القوات القائدة للواء ١٤ من الفرقة ٥ فوجدت هناك الكثير من العربات وثلاثة طائرات كاملة وكميات كبيرة من الأدوات الطبية والمخازن الأخرى ، ولم يكن الأتراك يدرون الا القليل عن الموقف لدرجة أن احدى طائراتهم هبطت بالمطار فى الصباح فيما بعد وأسرت. تركت الفرقة ٥ عند عفوله وتحركت الفرقة ٤ من وادى جزريل قاصدة بيسان فوصلتها الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ مساء وأسرت الحامية التى لم تقاوم الا قليلا وبذا سارت الفرقة ٧٠ ميلا فى ٣٤ ساعة[1] وتركت ألاى — ١٩

(١) قطع قائد الفرسان الشهير استوارت فى غارته حول مؤخرة جيش ماكلان فى أوائل حرب السبعة أيام ١١٠ أميال فى نحو ٤٨ ساعة (من ١٣ يونيه الى ١٥ يونيه سنة ١٨٦٢) وسار فى غارته الأخرى ما بين ١٠ أكتوبر و١٢ منه فى نفس السنة ٩٠ ميلا فى نحو ٤٨ ساعة و٣٦ ميلا فى الثمانية ساعات التالية وبذا يكون قد قطع ١٢٦ ميلا فى نحو ٦٠ ساعة وكانت قوته فى كلتا الغارتين بسرطة معادلة للواء ضعيف .

اللانسرز – عند العفولة وسارت من هناك أثناء الليل للاستيلاء على كوبرى السكة الحديدية على نهر الأردن عند جسر المجامية .

وصلت باقى القوات الراكبة أثناء ذلك سهل ازدرائيلون . فعبر اللواء ١٥ التلال مبكرا يوم ٢٠ وانضم لفرقة الفرسان الخامسة عند العفولة . وعبرت أيضا الفرقة الاسترالية (ناقصة اللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة الذى مازال على الجنب الأيسر للفيلق ٢١ شمال شرق طلكرم) سلسلة جبال الكرمل ووصلت المجيد الساعة ١١ صباحا . ومن هناك تحرك اللواء الثالث الاسترالى الخفيف الى جنين المخرج الشمالى لممر دوتان الذى يلف عنده الطريق والسكة الحديدية من نابلس فوصلها بعد الظهر . وسارت البلوكات القائدة فى الحال و بلا تردد مقتحمة المدينة وسيوفها مسلولة[1] وسرعان ما اكتسحت كل مقاومة من الحامية المذهولة الفاقدة الروح المعنوية والتى لم تعلم لذلك الوقت أن الفرسان الانجليزية كانت خلفهم . ثم استعد اللواء انتظارا لوصول الوحدات التركية المنتظرة والمتقهقرة من نابلس وطلكرم .

بذلك قدر للجيشين التركيين السابع والثامن الهلاك قبل مساء يوم ٢٠ سبتمبر أى بعد ٣٦ ساعة من بدأ العمليات . وكانت خطوط انسحابهم الطبيعية التى كانت المشاه الانجليزية تدفعهم اليها فى أيدى العديدين من الفرسان الانجليزية الفائزة . وكانت كافة المواصلات مقطوعة لكى لا يمكن توحيد أى عمل مشترك للنفوذ من النطاق . وحقيقة لم يدر الأتراك حتى ذلك الوقت مدى الدمار الذى حل بهم . فلم يكن أمامهم من طرق النجاه المفتوحة إلا الشرقية منها المؤدية إلى الأردن وكان هذا يتقلص سريعا .

نعود لوصف عمل المشاه . كان موعد التقدم الأساسى للفيلق ٢٠ كما سبق القول متوقفا على نجاح الفيلق ٢١ ، لذلك عندما ظهر نجاح ذلك الفيلق ظهر يوم ١٩ صدرت الأوامر للفيلق ٢٠ لبدء تقدمه تلك الليلة . وكان الغرض المطلوب منه هو تنظيف الأراضى التالية حتى نابلس وسد الطرق المؤدية شرقا الى وادى الأردن وهو الطريق الوحيد الباقى لنجاة الأتراك .

(١) كانت هذه أول فرصة استعمل فيها الأستراليون سلاحهم الجديد .

كان لدى الفرقة ٥٣ باليمن خط تقسيم مياه واضح التحديد تتقدم بحذائه. وشرق هذه التبة الأساسية تنحدر التلال بفأة وبشدة للأردن . أما غربها فتنحدر تدريجيا الى أن يلف طريق القدس نابلس مخترقا التلال . وكانت الأرض المطلوب عبورها رغم خلوها من الوديان العميقة صعبة وعرة وتناسب كل المناسبة تكتيكات التعطيل اللازمة للمؤخرة ولذا فلم يكن عمل الفرقة سهلا .

أما الأرض أمام يسار الفيلق غرب طريق نابلس فكان بها سلسلة من التباب المتجهة من الشمال الشرقى للجنوب الغربى يفصلها وديان عميقة ضيقة ويقع على التبه الكبرى القرى اسكا كاوسلفيت وفرخة وتقع الأخيرة منها فى الخط التركى الأمامى أمام يسار الفيلق حيث كانت الفرقة ١٠ متجمعة . وكانت مدافعا عنها ومحمية بقوة . وكانت دفاعاتها منشأة لتقابل بنوع خاص أى هجوم مباشر من الجنوب . وكانت سياسة الفيلق ٢٠ الحالية ما دام الخط أمام فرخة تحتله الأتراك أن يغريهم بالغارات والاستطلاعات والمظاهرات بانتظار الهجوم عليهم من الجنوب ليهملوا الطرف الغربى للتبه الذى كان فى النية على الدوام أن يوجه الهجوم اليه .

بدأت الفرقة ١٠ فى الساعة ٧ والدقيقة ٤٥ مساء يوم ١٩ سبتمبر فى التقدم على الطرف الغربى للسان التل عندفرخة . وقدعلم فيما بعد أن الهجوم وقع قبل انسحاب الأتراك نتيجة لما حصل على يمينهم أثناء اليوم . ولذا قوبل أول الأمر بمقاومة عنيفة ولكن بمجرد أن تغلب عليها (المقاومة) أصبح التقدم بالسرعة التى سمحت بها صعوبة الأرض . وقبل الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ صباح يوم ٢٠ وصل القول الأيمن (اللواء ٢٩) إلى سلفت وكان القول الأيسر يقترب من كفر حارس . ولكن تقدم الفرقة أوقف عند طلوع النهار لأن مؤخرة الأتراك كانت قوية وبمواقع جيدة ولم تتمكن المدفعية من الحضور لمساعدة المشاة الا بعد أن مهدت لها دروب . أصبح التقدم بطيئا جدا والخسائر كثيرة نوعا . ووقع ما يشابه ذلك مع الفرقة ٥٣ التى هجمت فى فجر يوم ٢٠ ولذا لم تتقدم فى ذلك اليوم الا قليلا .

وعلى يسار الفرقة ١٠ كانت الفرقتان ٣ و ٧ الهنديتان من الفيلق ٢١ متقدمتين شمالا بشرق على التلال نحو السامرة بينما كانت الفرقة ٦٠ مندفعة شرقا على طريق طلكرم — نابلس . وكان نجاحها مستمرا ومنتظما رغم بطئه .

كان الموقف العام فى مساء ٢٠ سبتمبر كالآتى : تم تنظيف السهل الساحلى من الأتراك ، وكانت الفرسان الإنجليزية مستقرة راسخة الأقدام على خطوط تقهقرهم الرئيسية ولكن المؤخرة التركية ما زالت تقاوم المشاة الإنجليزية بعنف فى التلال الوعرة بهضبة يهوذا . وكانت الأوامر ليوم ٢١ تقضى باستمرار تقدم المشاة ، وطلب من الفيلق ٢٠ أن يبذل مجهودا خاصا ليصل للمرتفعات شمال نابلس وشمال شرقها لسد طريق هروب الأتراك عبر الأردن بطريق وادى فارا المار بجسر الدامية .

حصلت يوم ٢١ آخر اشتباكات الحملة الجدية مع المشاة فعلى جبهتى الفيلقين ٢٠ و ٢١ بدأت مؤخرة الأتراك فى الانحلال مبكرا فى الصباح وتقدّمت الفرقه ١٠ بكل سرعة ووصلت نابلس نحو الظهر أى عندما دخلها لواء الفرسان الاسترالية الخامس من الغرب وانتهت وقتئذ كل مقاومة جدية من الجيشين السابع والثامن.

أصبح معظم الجيش الثامن فى الأسر فقد قبض على الكثيرين فى هجوم المشاة الأساسى وفى المطاردة بالسهل . أما القول الطويل من الناجين الذين تقهقروا بطريق دوتان الى جنين فقد قابلهم الأستراليون هناك وأرغموهم على التسليم . أما البقايا القليلة من الجيش الثامن ومعظم الجيش السابع الذين لم يقعوا فى الأسر فكانوا متحركين من نابلس ليلة ٢٠ — ٢١ سبتمبر على طريق السيارات الذى أنشأه الأتراك من وادى فارا الى بيسان والأردن . فبعد الفجر بقليل رأى الطيارون

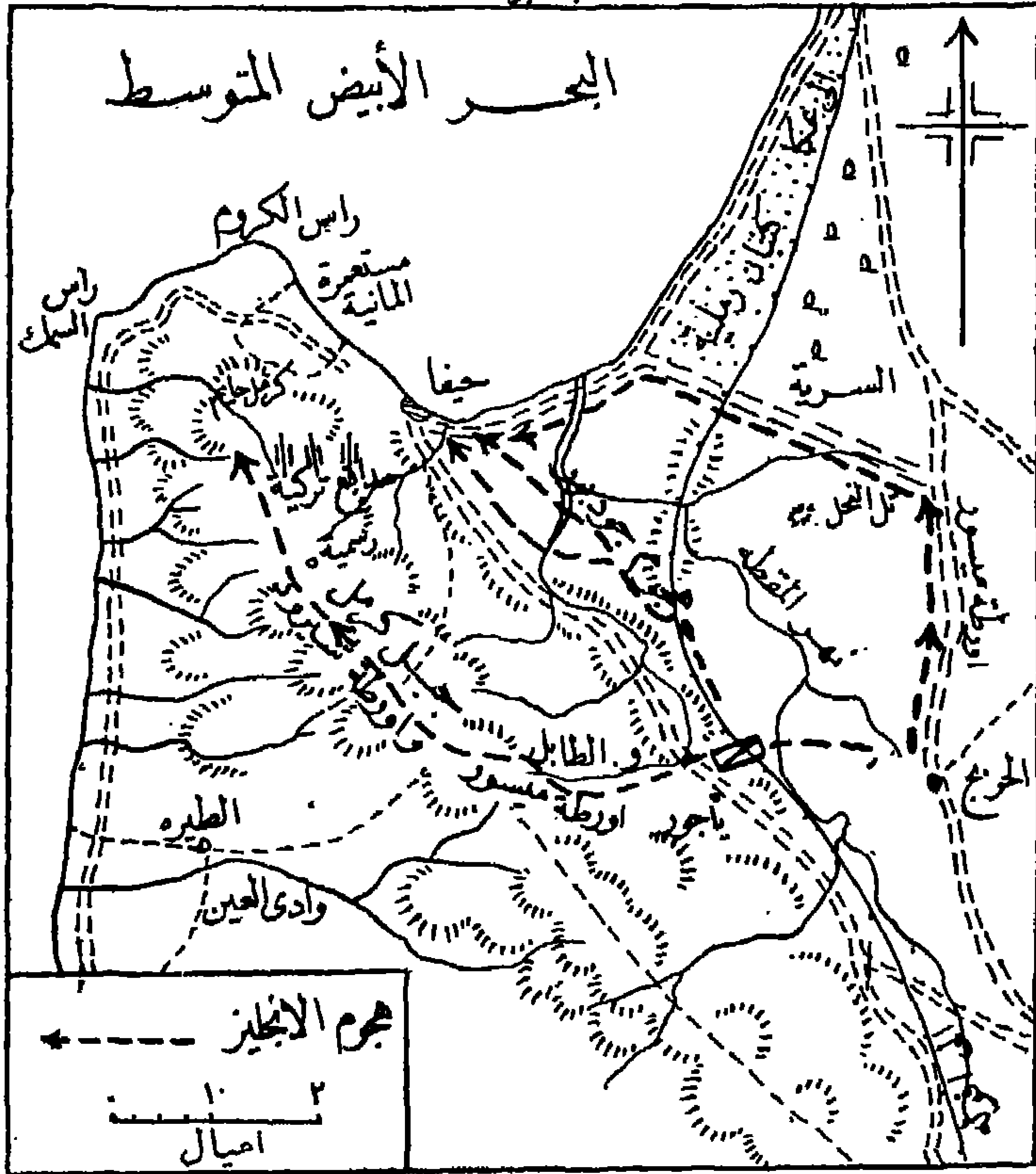
الانجليزقولا طويلا من المدفعية والحملة والجنود سائرين فى هذا الدرب التلى الضيق. وكان وادى فارا قرب نابلس عبارة عن أخدود شديد الانحدار قطع الطريق فى أحد جنبيه . توالت الطائرات الانجليزية أربع ساعات فى إمطار القول اليائس بالمضيق بالقنابل والرصاص. وسرعان ما انسد رأس القول و بطلت كافة التحركات وتفرق الناجون مذعورين فى التـلال . وفى اليوم التـالى وجد ٩٠ مدفعا و ٥٠ لوريا و ١٠٠٠ عربة أخرى متروكة فى المضيق ، تفرق الناجون، فاقدين كل روحهم المعنوية، فى التـلال والوديان بين وادى فارا و بيسان . ونجا بعضهم عبر الأردن ولكن معظمهم أسر فى الأيام التالية بمعرفة القوات الراكبة .

والآتى بعد هو بعض تفاصيل مافعلته الفرسان فى الأيام الواقعة بين ٢٠ سبتمبر و ٢٤ :

عاد اللواء ١٣ إلى الناصرة واحتلها ثانيا صباح يوم ٢١ ، وبعد منتصف ليلة ٢٢/٢١ بقليل هاجمت أورطة تركية من حيفا اللواء ١٨ من حملة الرماح (اللانسرز) على طريق عكا . لكن الأتراك هزموا بعد قتال قصـير تاركين ٣٠ قتيلا وأكثر من ٢٠٠ اسير. كانت كل فرقة الفرسان الخامسة وقتئذ تتجمع نحو الناصرة ولديها أوامر بالاستيلاء على حيفا وعكا . ودلت التقارير على أن الأتراك قد أخلوا حيفا .أرسل ضابط ممتاز من المدفعية بعربة رولزوديس ومعه حرس من السيارات المدرعة بعد ظهر يوم ٢٢ لاحتلال المدينة . ولكنهم قوبلوا بنيران مدفعية مؤثرة عند اقترابهم من المدينـة فعادوا وأبلغوا الحاجة إلى قوة أكبر فتحركت الفرقة الخامسـة بأجمعها فى اليوم التالى قاصدة حيفا وعكا واستولى اللواء ١٣ بقليل من الصعوبة على عكا وحاميتها البالغة ٢٠٠ تركى ومدفعين . أما عند حيفا فكان القتال جديا فى عمليـة صغرى .

يسير الطريق الموصل إلى حيفا من الشرق تحت سفح جبل كرمل الشديد الانحدار أما نهر المقطه (نهر كيشون) الذى يجرى شمال ذلك بميل واحد فلا يصلح للعبور بسبب المستنقعات التى على شاطئيه وكان الأتراك بمواقع قوية خارج حيفا مباشرة

الاستيلاء على حيفا
٢٣ سبتمبر ١٩١٨



الخريطة نمرة ١٩

للاحتفاظ بالمضيق الموجود هناك وكانت مدافعهم على جبل كرمل ومدافع ماكيناتهم أسفله مكتسحة الطريق ومحلات الاقتراب . ولم يكن ميسورا وقتئذ إلا آلايان من اللواء القائد للفرقة ٥ وهو اللواء ١٥ المركب من وحدات الخدمة الامبراطورية وهذان الآلايان هما لانسرز (حملة الرماح) " ميسور " " وجوديور "

أرسلت أورطة من الأول لتصعد جبل كرمل على درب منحدر لاسكات مدافع الأتراك. و بعد أن أعطى لهذه الحركة الوقت الكافى للتكوين قامت لانسرز جودبور، تساعدها النيران الساترة من بطارية ومدافع الماكينة والأرطتين الباقتين من لانسرز ميسور (أما الأورطة الرابعة فكانت قد أرسلت فى حركة التفاف واسعة فى الشمال)، بهجوم مضاد على الأتراك الموجودين عند المضيق . وكان الهجوم ناجحا سارت بعده الأورطة بسرعة الى المدينة . وفى نفس الوقت تقريبا وصلت أورطة ميسور (أمدت فى الوقت المناسب بأورطة شيروود) محل المدافع على جبل كرمل وأخذتها بعد أن اقتحمتها وهى راكبة . وكانت نتيجة هذه العملية أسر ٧٠٠ جندى و ١٦ مدفعا . وكان الهجوم جيدا فى التنظيم جرئا فى التنفيذ ولكنة ما كان ليفلح لولا أن الأتراك كانو يقاتلون وشبح الدمار يظلهم بظله ولولا اضطرابهم لعلمهم أن الهزيمة واقعة لا محالة . انتفع باحتلال حيفا فى الحال لتسهيل التموين . فالمخازن التى ستنزل برا بها سرعان ما سيمكن دفعها الى سمخ بالسكة الحديد .

بقيت الفرقة الأسترالية الراكبة — التى انضم اليها اللواء الخامس من الفرسان الأسترالية الخفيفة يوم ٢٢ — قرب عفوله وجنين لجمع الأسرى الكثيرين والتصرف فيهم . وفى الجنوب كانت الفرقة ٤ منهمكة فى حصر بقايا الجيش السابع . وكان جزء من قوة تشيتور قد استولى على جسر الدامية مبكرا يوم ٢٢ سبتمبر وسد طريق هروب الأتراك من هذه الجهة . و بقى للآن كثير من الأتراك بين وادى فارا وبيسان . وهؤلاء قد أجرى اللازم معهم فى ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ سبتمبر . فبعضهم حضر الى بيسان وسلم نفسه و جمع الكثيرون بمعرفة آلاى فرسان الفيلق ٢٠ (يومنرى وورستر) الذى أرسل للطاردة من نابلس الى بيسان . وحاولت قوتان تركيتان كبيرتان النجاة عبر الأردن ولكن فرقة الفرسان الرابعة سبقتهم وحصرتهم وأسرتهم بعد قتال بسيط ولم ينج من الشرك الا قوة واحدة نظامية (فيلق آسيا الألمانى) و بضع مئات من الضالين . وبذا تم هلاك الجيشين التركيين السابع والثامن من الوجهة العملية ، بقى الجيش الرابع وكان هلاكه الغرض التالى للقائد الانجليزى .

تركيب قوات التجريدة المصرية للمعركة

١٩ سبتمبر سنة ١٩١٨

فيلق الصحراء الراكب (اللفتانت چنرال السير شوفل) .

فرقة الفرسان الرابعة (الماجور جنرال السير بارو) .

لواءات الفرسان ١٠ و ١١ و ١٢

البطارية الخيالى ٢٠

بطارية السيارات المسلحة ١٢

داورية السيارات الخفيفة ٧

فرقة الفرسان الخامسة (الماجور چنرال ماك أندرو) .

لواءات الفرسان ١٣ و ١٤ و ١٥

بطارية ايسكس الخيالى .

بطارية السيارات المسلحة ١١

داورية السيارات الخفيفة ١

الفرقة الأسترالية الراكبة (الماجور چنرال هودجسون) .

اللواءان ٣ و ٤ [1] من الفرسان الأسترالية الخفيفة .

اللواء ١٩ المدفعية الخيالى .

الفيلق ٢٠ (اللفتانت چنرال السير تشيتوود) .

الفرقة ٥٣ (الماجور چنرال موتت) .

اللواءات المشاة ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠

لواءات مدفعية الميدان ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ بكل ٣ بطاريات بها ١٢ مدفعا عيار ١٨ رطلا و ٤ هوتزر قطر ٤,٥ بوصة .

(١) اللواء الخامس ظل ملحقا بالفيلق ٢١ حتى يوم ٢٢ سبتمبر

البطارية الهندية الجبلية ٣٩

بلوك من آلاى فرسان الفيلق (يومنرى ورستر الأولى) .

الفرقة ١٠ (الماجور جنرال لونجلى) .

اللواءات المشاة ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

لواءات مدفعية الميدان ٦٧ ، ٦٨ ، ٢٦٣ (بكل من الأولين
٣ بطاريات بها ١٢ مدفعا ١٨ رطلا ، ٤ هوتزر ٤,٥ بوصة
وبالثالث ٦ مدافع ١٨ رطلا ، ٤ هوتزر ٤,٥ بوصة .

بطارية هونج كونج وسنغافورة الجبلية .

قوة وطسون (محتلة وسط جبهة الفيلق ٢٠) .

آلاى فرسان الفيلق (الأورطة الأولى من الآلاى يومنرى ورستر الأول) .

أورطة بيونير (الأولى والثانية من الآلاى ١٥٥ من الفرقتين ١٠ ، ٥٣).

جماعات تقويات الفيلق (قوتها ٧٠٠) .

مدفعية الفيلق ٢٠ الثقيلة .

لمساعدة الفرقة ٥٣

اللواء ١٠٣ من مدفعية الحاميات .

الصنف الأيمن والصنف الأيسر من البطارية الثقيلة ١٠ بطاريات الحصار ٢٠٥ ، ٣٨٧ (ناقصه مدفعا) ٣٩٢

لمساعدة الفرقة ١٠

بطاريتا الحصار ٤٢١ ، ٤٣٧ (ناقصه مدفعا) .

هوتزر أخذ من الأتراك : ٢ قطر ١٥ سم .
٢ « ١٠,٥ سم .
٣ « ٧,٥ سم .

الفيلق ٢١ (اللفتانت جنرال السير بالفين) .

الفرقة ٣ (لاهور — الماجور جنرال هو سكنس) .

اللواءات المشاة ٧ ، ٨ ، ٩

لواءات مدفعية الميدان ٤ ، ٨ ، ٥٣ (بكل ١٢ مدفعا ١٨ رطلا و ٤ هوتزر ٤,٥ً) .

الفرقة ٧ الهندية (الماجور جنرال فين)

اللواءات المشاة ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ .

لواءات مدفعية الميدان ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ (بكل ١٢ مدفعا ١٨ رطلا ، ٤ هوتزر ٤,٥) .

الفرقة ٥٤ (انجليان الشرقية — الماجور جنرال هير) .

اللواءات المشاة ٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣

لواءات مدفعية الميدان ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ (بكل ١٢ مدفعا ١٨ رطلا ، ٤ هوتزر ٤,٥ً) .

الفرقة ٦٠ (لندن — الماجور جنرال شى) .

لواءات المشاة ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

لواءات مدفعية الميدان ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ (بكل ١٢ مدفعا ١٨ رطلا ، ٤ هوتزر ٤,٥ً) .

اللواء ٥ من الفرسان الإسترالية الخفيفة (تحت أوامر الفرقة ٦٠) .

فصيلة فلسطين الفرنسية .

قوات الفيلق الراكبة (الاى يومنرى مركب) .

مدفعية الفيلق الثقيلة :

نصف المجموعة التابعة للمجموعة اليمنى .

بطارية الحاميات قطر ٤,٧″ .

بطارية الحصار ٣٠٠ (صنف قطر ٦ً) من مدفعية الحاميات الملكية.

« « ٣٣٤ (صنف) من مدفعية الحاميات الملكية .

المجموعة اليمنى :

رئاسة اللواء ١٠٠ مدفعية الحاميات الملكية .

البطارية الثقيلة ١٥ مدفعية الحاميات الملكية .

بطارية الحصار الثقيلة ١٣٤ مدفعية الحاميات الملكية .

بطارية الحصار ٣٣٤ مدفعية الحاميات الملكية صنف واحد .

بطارية الحصار ٤٣ ومدفعية الحامية الملكية "سى"

مجموعة يمين الوسط :

رئاسة اللواء ٩٥ مدفعية الحامية الملكية .

البطارية الثقيلة ١٨١ مدفعية الحاميات الملكية .

بطاريات الحصار ٣٠٤ و ٣١٤ و ٣٨٣ و ٤٢٢ مدفعية الحاميات الملكية صنف هوتزر ٩٫٥

مجموعة يسار الوسط :

رئاسة اللواء ١٠٢ مدفعية الحاميات الملكية

البطارية الثقيلة ٩١ مدفعية الحاميات الملكية .

بطاريات الحصار ٢٠٩ و ٣٨٠ و ٤٤٠ و ٣٠٠ (صنف ٨") مدفعية الحاميات الملكية .

بطارية الحصار ٤٣ مدفعية الحامية الملكية (ليزى) .

المجموعة اليسرى

رئاسة اللواء ٩٦ مدفعية الحاميات الملكية

بطاريتان ثقيلتان ١٨٩ ، ٢٠٢ مدفعية الحاميات الملكية

بطاريتا الحصار ٣٧٨ ، ٣٩٤ « « «

وإجمالى القول

كان نصف المجموعة يساعد الفرنسيين .

مجموعة اليمين تساعد الفرقة ٥٤

ومجموعة يمين الوسط تساعد الفرقة ٣ (لاهور)

ومجموعة يسار الوسط تساعد الفرقة (٧٥)

ومجموعة اليسار تساعد الفرقة ٦٠

قوة تسينور (الماجور جنرال السير تشيتور)

الفرقة الاسترالية والنيوزيلندية الراكبة (عدا أورطة)

الأورطتان ٣٨ ، ٢٩ الاى الرويال فيوزيليرز

اللواء ٢٠ الهندى

الأورطتان الأولى والثانية من آلاى الهند الغربية

بطارية (٦ مدافع ١٨ رطلا) من لواء مدفعية الميدان ٢٦٣

بطارية ثقيله ١٩٥ من مدفعية الحاميات

البطاريتان الجبليتان ٢٩ ، ٣٢ (هندية)

الباب الثامن

المطاردة إلى دمشق وحلب

١ — عمليات قوة تشيتور — التقدّم إلى عمان — أسر قوة معان .

٢ — التقدّم إلى دمشق — عملية سمخ ، عمليات فرقة الفرسان الرابعة ، عملية جسر بنات يعقوب ، الاستيلاء على دمشق .

٣ — التقدّم إلى حلب — التقدّم إلى بيروت ، الاستيلاء على حلب ، عقد الهدنة .

(انظر الخرائط ١٦ و١٧ و٢٠)

١ — عمليات قوّة تشيتور

كلفت قوّة تشيتور (فرقة الأنزاك الراكبة واللواء ٢٠ الهندى وأورطتان من آلاى الهند الغربية وأورطتان من اليهود) الموجودة بوادى الأردن بحصر التفات الجيش التركى الرابع و بمنع نقل أى قوات إلى غرب الأردن و بحماية جنب الفيلق ٢٠ الأيمن عند تقدمه و بالتقدّم لجسر الدامية ومنه إلى الصلت وعمان عند ما يضعف الأتراك بوادى الأردن . نفذ الجنرال تشيتور كافة هذه الواجبات بدقة .

لم يتحرك الجيش الرابع فى الأيام الثلاثة الأولى من الموقعة . فقد جعلت مظاهرات قوة تشيتور الفعالة القائد التركى فى شك من نوايا الانجليز ولم يصله نبأ الهزيمة العاجلة التى حلت بالأتراك غرب الأردن الا ببطء فلم يبتدئ فى تقهقره الا يوم ٢٢ ، وكان يأمل فى أن يبقى بعمان انتظارا لانضمام الفيلق الثانى له وكان منسحبا من معان ومن نقط أخرى على سكة حديد الحجاز ، وقد بقى فى الواقع أكثر مما يمكن معه سلامة جيشه[1] . وكان عرب فيصل بينه و بين درعا والسكة الحديدية مقطوعة والبلاد بأجمعها قائمة ضد تركيا .

(١) قال ليمان فون ساندرس انه حذر الجيش الرابع فى ٢٠ سبتمبر ليبدأ تقهقره فى الحال وانه أصدر أوامر صريحة بذلك يوم ٢١ ولكن جمال باشا رغم ذلك تأخر اذ كان يأبى أن يترك الفيلق الثانى .

تقدم لواء نيوزيلنده الراكب شمالا على الجنب الغربى لنهر الأردن يوم ٢١ سبتمبر ورغم المقاومة التى قوبل بها فانه استمر فى التقدم وأفلح مبكرا يوم ٢٢ فى الوصول الى جنبي طريق نابلس — جسر الدامية بعد قتال عنيف ، وأمكنه بعد بضعة ساعات أن يحتل الكوبرى نفسه بمساعدة أورطة من الهند الغربية . اتضح وقتئذ أن الجيش الرابع يتقهقر ، ولذا صدرت الأوامر بمطاردته . فتقدمت فرقة الأنزاك للمرة الثالثة والأخيرة على الصلت وعمان . فاحتل النيوزيلنديون الصلت فى مساء يوم ٢٣ وعمان فى الساعة ١٤,٣٠ مساء يوم ٢٥ بعد قتال عنيف مع المؤخرة التركية .

وصلت الى تشيتور وقتئذ أوامر بالوقوف عند عمان لحجز تقهقر الفيلق الثانى من معان ، لأن الجيش الرابع كان مفروغا منه ولاضرر من تركه لما قدر له ، فلم يعيش الا القليل من قواته بعد السير المشئوم الى دمشق لمسافة طويلة بلا مياه مع اعتراض القوات العربية لطريقه وكل البلاد قائمة بكل حرارة وقوة ضد الأتراك وقد لحق الانجليز — كما سيأتى بعد — ببعض الذين جاهدوا للوصول الى دمشق واهلكوهم فى أخدود بارادا شمال المدينة مباشرة .

أبلغ أن الفيلق الثانى كان مساء يوم ٢٥ على بعد ٣٠ ميلا جنوب عمان ، فأرسل تشيتور يوم ٢٦ لواء للشمال ليحتل وادى الحمام مورد المياه الوحيد المتيسر للأتراك اذا أفلحوا فى الانسلال قرب عمان . وارسل لواء آخر جنوبا ليتصل بالأتراك واحتفظ باللواء الثالث بشرق عمان مباشرة حيث وضع لواء المشاة الهندى . وصل الأتراك يوم ٢٨ الى زيزا على بعد ٢٠ ميلا جنوب عمان . وتفاوض قائد الآلاى القائد من اللواء الجنوبى لقوة تشيتور (اللواء الثانى من الفرسان الأسترالية الخفيفة) مع القائد التركى وشرح له حرج موقفه وطلب اليه أن يسلم نفسه . وكان الأتراك راغبين فى تسليم أنفسهم ولكنهم رغبوا عن تسليم أسلحتهم الا اذا كانت القوة الانجليزية كبيرة بحيث يمكنها أن تحميهم من جموع الأعراب الهمجيين الذين أحاطوا بهم ، فوصل الآلايان الباقيان من اللواء قبل الظلام ، ولكن لما ظل موقف الأعراب عدائيا كما كان وعددهم كبير فان الانجليز انضموا للاتراك (الذين سمح لهم بالاحتفاظ

باسلحتهم) واتخذوا موقعا دفاعيا حول المحطة وأرغموا الأعراب على أن يظلوا بعيدين طول الليل[1] وفى صباح اليوم التالى سار نحو أربعة آلاف من الأتراك الى عمان كأسرى .

وبذا انتهت عمليات تشيتور . وقد أسرت قوته نحو ١١٠٠٠ أسير و٥٧ مدفعا وختمت فرقة الأتراك الراكبة سجل قتالها البديع بعد أن اشتركت فى جميع العمليات تقريبا منذ أن تحركت قوة التجريدة المصرية من القناة منذ سنتين ونصف تقريبا

٢ — التقدم إلى دمشق

أمرت الفرقة الأسترالية فى ٢٤ سبتمبر بالتقدم إلى سمخ وطبريه لكى يصبح فيلق الصحراء الراكب على الخط طبرية — الناصرة — عكا وهو الخط الطبيعى الأستراتيجى والتكتيكى شمال سهل ازدرائيلون . وقد وقع بتقدم الفرقة الاسترالية أعنف قتال فى المطاردة بأجمعها .

بعد أن نجا ليمان فون ساندرس بأعجوبة من اللواء ١٣ أصدر أوامره باحتلال خط دفاعى جنوب وادى اليرموق من درعة إلى سمخ ومنها لغرب بحر الجليل مارّا بطبريه إلى بحيرة حوله . وأمر الجيش الرابع أن يتخذ محله بين درعة وعربد والجيش السابع منها إلى سمخ و باقى الجيش الثامن ومعه حامية حيفا بين سمخ و بحيرة حوله . وكان تصميم القائد العام للقوات التركية أن يلم شعث قواته و يعيد تنظيمها على هذا الموقع ليتوفر له الوقت ليجهز دفاعه عند دمشق ، والانتقاد الوحيد الممكن على هذه الأوامر هو استحالة تنفيذها إذ كانت سرعة تقدم القوات الانجليزية وانحلال الجيوش التركية أبعد مما علم ليمان فون ساندرس أو ظن . وفى الحقيقة لم تصل أوامره كلية للجيشين السابع والثامن . ولكنه أصدر عند مروره بسمخ فى طريقه إلى دمشق تعليمات صريحة للدفاع عن ذلك المحل الذى اعتبره حلقة بين القطاعين الأساسيين للخط الذى سيلم شعث قواته عنده. وترك عددا من مدفعية المدافع الماكينة الألمان لضمان عنف المقاومة ، وعهد إلى ضابط ألمانى بقيادة الحامية ونتجت عن مقابلة آلاى الفرسان الاسترالية الخفيفة المملوءة ثقة وعزيمة بالمؤخرة الألمانية المستميتة ذات العزيمة عملية صغرى شديدة .

(١) لم يكن هؤلاء الأعراب من رجال فيصل بل بدو من قبائل بنى صقر الذين قصروا فى التعاون فى الغارة الثانية شرق الأردن .

كان اللواء الرابع من الفرسان الاسترالية الخفيفة المعين للهجوم على سمخ بقيادة البريجادير جنرال جرانت الذى قاد الاقتحام على بئر السبع . ولم يكن ميسورا وقتئذ سوى آلاى واحد " الآلاى ١١ من الفرسان الأسترالية الخفيفة " وأورطة من آلاى آخر . سارت القوة على سمخ ليلا واقتربت من مواقع الأتراك على ضوء القمر ليلة ٢٥ سبتمبر قبيل الفجر. وعند ما قوبلت الأورطة الفائدة بنيران مدافع الماكينة شكلت خطا فى الحال وبلا تردد واقتحمت فى الظلام محلا تجهله فوصلت القرية ومبانى المحطة بخسائر كثيرة وخاصة فى الخيول وهناك ترجلت وتلا ذلك قتال عنيف عن قرب لأن العدو ما زال محتلا المبانى الحجرية بمحطة السكة الحديدية ونقط أخرى ذات أهمية . وبعد الفجر بقليل وصل الأستراليون الى محل الألمان والأتراك وطردوهم منها بقتال متلاحم ، وكانت خسارة الاستراليين فى الضباط والجنود ١٧ قتيلا و٦١ جريحا وفى خيولهم ما بين قتلى وجرحى نحو ١٠٠ وكانت خسائر أعدائهم ١٠٠ قتيل و ٢٥٠ أسيرا منهم ١٥٠ ألمانيا وكانت عملية صغيرة مخيفة يحق للأستراليين الافتخار بها[1] .

بعد أن نظفت سمخ أرسل جرانت أورطة الى طبريه سائرة على طريق البحيرة فوصلتها فى نفس الوقت تقريبا مع أورطة أخرى من اللواء الثالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة الموجود فى الناصرة ومعها بطارية سيارات مدرعة ، سلمت حامية طبريه بعد مقاومة بسيطة .

أصدر اللنبى أوامره صباح ٢٦ بالتقدم على دمشق . وأصدر شوفل أوامره لفيلق الصحراء الراكب فى مساء نفس اليوم ، وكان على بارو أن يتقدم بفرقة الفرسان الرابعة على درعة بطريق عربد فاذا لم يمكنه أن يقطع الجيش التركى الرابع هناك فكان عليه أن يتبعه على طريق الحجاج القديم وسكة حديد الحجاز حتى دمشق ، وكان على الفرقة الاسترالية الموجودة حول طبرية تتبعها فرقة الفرسان الخامسة أن تسير الى دمشق بأقصر طريق حول الطرف الشمالى لبحيرة طبريه مارة بقنيطرة (طريق القوافل القديم الى سوريا من مصر ويهوذا) وكان على الفرق أن تتحرك بأقل ما يمكن من الاثقال وأن تعتمد على الموارد المحلية ، وفى الأمر الواقع فان جميع الحملات تركت فى الخلف عدا النقالات وعربات الذخيرة ، وكانت المسافة

(١) كانت خسائر الفرقة الاسترالية فى جميع العمليات الأخرى التى وقعت ما بين ١٩ سبتمبر و ١٢ اكتوبر ٧ قتلى و ٤٢ جريحا .

الى دمشق من الفرقة الرابعة ١٤٠ ميلا (ولذلك تحركت قبل غيرها بيوم واحد) ومن الفرق الأخرى ٩٠ ميلا . وقد وصل هذان القولان البعيدان عن بعضهما الى دمشق بفاصل وقتى حوال ساعة واحدة وفى الوقت المحدد .

تحركت الفرقة الرابعة من قرب بيسان يوم ٢٦ وقاتل لواؤها القائد متأخرا بعد ظهر ذلك اليوم عند عربيد حرس جنب الجيش الرابع الذى كانت قوته الاساسية تمر وقتئذ بالرمث . وكانب الأرض حول عربد صعبة والاتراك بمواقع قوية . وقد حاولت اللانسرز الثانية ان تأخذ المحل بهجوم وهى راكبة ولكن الأرض والظروف حالتا دون نجاحها كما نجحت منذ أسبوع فى المجيد ، أضف الى ذلك أن أتراك الجيش الرابع رغم تقهقرهم لم يشتبكوا اشتباكا عنيفا ولم يقبلوا أن يطردوا من موقع حصين بهذه الطريقة البسيطة . فشل الاقتحام بخسائر كبيرة ، وعند حلول الظلام كان الاتراك بمواقعهم وانسحبوا من عربد أثناء الليل ، وثبتوا يوم ٢٧ عند الرمث ولكن اللواء ١٠ طردهم منها بعد قتال عنيف فانسحبوا مرتبكين ، أمضت الفرقة ٤ الليلية عند الرمث ووصلت درعا مبكرا فى صباح اليوم التالى يوم ٢٨ — فوجدتها محتلة بقوة من عرب فيصل .

كان الجيش العربى يضايق جنب الجيش الرابع منذ بدأ تقهقره من عمان وتمكن من قتل وأسر الكثيرين من الأتراك و بعض الألمان . وتمكنت القوة العربية الأساسية المقاتلة يوم ٢٧ من أن تقطع ما بين الجيش الرابع ودمشق عند الشيخ سعد وأسرت الكثيرين .

فى نفس اليوم كانت قوة من الأتراك والألمان متقهقرة أمام فرسان بارو وعند وصولها الى قرية عربية شمال مزريب ذبحت سكانها . وعند ما وصل نبأ ذلك الى لورنس والعرب الذين كانوا قريبين وقعوا فى الحال الجزاء الصارم ، فلم ينج من ذلك القول أى جندى كان مسئولا عن الجرم .

قامت فرقة الفرسان الرابعة عندئذ بمطاردة مباشرة نحو دمشق وظل العرب على الجنب الأيمن لأى قوة تركية موجودة بين درعا ودمشق .

كان التقدم على الخط الشمالى مستمرا ولو أنه لم يخل من مقاومة أو تعطيل . بدأت الفرقة الاسترالية الراكبة سيرها على دمشق مبكرة فى صباح ٢٧ سبتمبر .

فوصلت قواتها القائدة محل عبور الأردن عنـد جسر بنات يعقوب نحو الظهر. وكان الأتراك قد دمروا الكوبرى الحجر ووضعوا مؤخرة قوية معها الكثير من مدفعية مدافع المـاكينة الألمـان على الشاطئ المقابل اكتسحت نيرانهم محلات الاقتراب المكشوفة الموصلة للكوبرى والمخاضـة جنوبه . وكان المحل مما يسمح لأى قوة بسيطة أن تعطل تعطيلا جديا أى قوة أكبر منها عددا بسبب سرعة تيار النهر وعنفه وشدة انحـدار شاطئيه . كلف آلاى الصباحى الفرنسى التابع للواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة باللف جنوبا نحو الكوبرى محاولا العبور عنوة هناك بينما يبحث باقى اللواء عن مخاضة فى الجنوب. وسار اللواء ٣ من الفرسان الاسترالية الخفيفـة شمالا ليبحث عن محل للعبور جنوب بحيرة حوله حيث علم أنه يصلح للغوص للقوات الراكبة . وقد ظهر كذب ذلك التقرير ولكن جزء من اللواء تمكن من عبور النهر بين بحيرة حوله والكوبرى عند حلول الظلام. أما جنوب الكوبرى فان اللواء الخامس من الفرسان الاسترالية الخفيفة تمكن من عبور النهر سباحة بعد الظهر ولكنه وجد الأرض فى الشاطئ الشرقى صخرية وعرة لم يمكنه بسببها الوصول قبـل حلول الظلام الى جنب الأتراك إلا الذين عنـد الكوبرى منهم . ووجدت المؤخرة التركية الألمـانية نفسها مهاجمة من كلا الجنبين فانسحبت بسرعة عند حلول الظلام وركب بعضها لوريات وأسر البعض الآخر.

لم ينته التعطيل بطرد الاتراك ، فان الكوبرى لم يتم اصلاحه إلا بعد ظهر يوم ٢٨ ولذا اضطرت فرقة الفرسان الاسـترالية والفرقة الخامسة التى أصبحت خلفها مباشرة الى العبور عند مخاضات رديئة ولذلك لم يصلا ليله ٢٨ أبعد من قنيطرة وكان بينهما وبين دمشق ٤٠ ميلا .

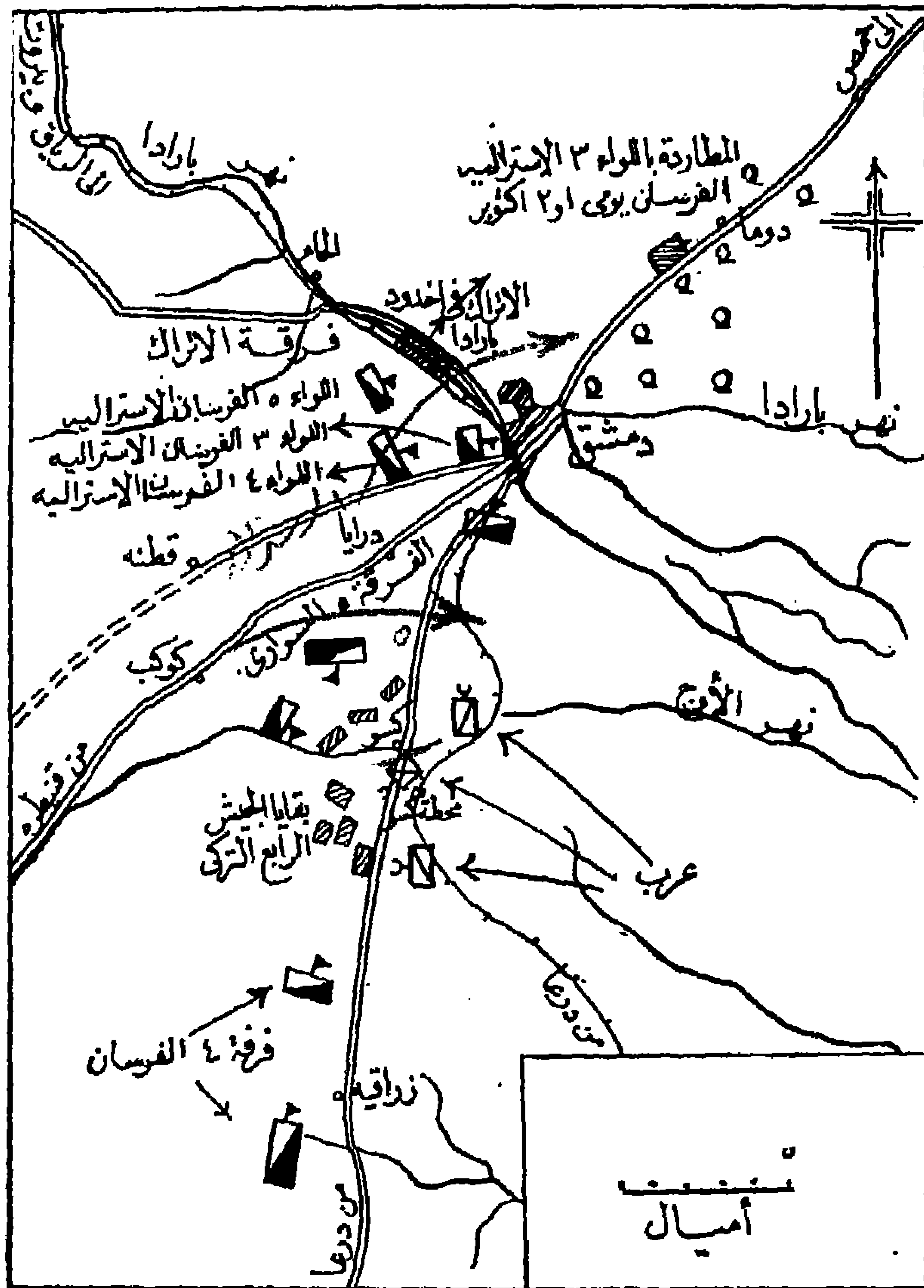
لم يبدأ التقدم من قنيطرة إلا بعد ظهر يوم ٢٩[1] وكان التصميم أن تسير القوات طول الليل لتصبح قريبة من دمشق فى الصباح التالى. ولكن قبيل الظلام وجد أن الأتراك محتلين موقعا قويا على تبة جنوب ساسا . ولكنهم سرعان ما أرغموا على التقهقر بعد قتال مربك تاركين للانجليز ٣ مدافع ونحو ١٠٠ أسير.

---

(١) تعطلت المدفعية والحملات عند محل العبور وكانت قد سارت طول الليلة السابقة ولم تصل قنيطرة إلا صباح ٢٩

الاستيلاء على دمشق

الموقف التقريبي مساء يوم ٣٠ سبتمبر



قوات انجليزية
قوات تركيـة
قوات عربيـة

الخريطة نمرة ٢٠

كان الموقف فى صباح يوم ٣٠ سبتمبر الذى هو آخر أيام الحكم التركى فى دمشق كالآتى :

سبقت بقايا الجيش الرابع على الطريق (درب الحج الى مكة) فرقة بارو التى ما زالت قواتها الأمامية بعيدة عن دمشق نحو ٣٠ ميلا ، وكانت هذه البقايا سائرة فى قوتين أساسيتين الأولى مكوّنة من بقايا فرقة الفرسان التركية وبعض المشاة وكانت تقترب من كيسو جنوب دمشق بعشرة أميال. أما الثانية وهى أكبر الاثنين فكانت خلفها ببضع أميال . وكان العرب قريبين من مؤخرتها واجنابها . واتخذت المؤخرة التركية موقعا على طريق قنيطرة لتثبت لآخر مرة أمام الاستراليين ، وكان هذا الموقع بين كوكب وفتنة التى تبعد عن دمشق بعشرة أميال وعن كيسو خمسة أميال وفى غربها .

بقى بالقدس نفسها آلاف الأتراك بعضهم من الناجين من الهلاك بفلسطين وهم متعبون يكادون يتضورون جوعا ، وبعضهم من القوات التى لم تشتبك قط أرسلوا على جناح السرعة من حلب وبيروت عند ما كان هناك أمل فى الدفاع عن المدينة . وكان هناك طريقان شمال المدينة يتيسر استعمالها لمن لديه القوة على النجاة والرغبة فيه . فالطريق إلى حمص (الدرب السلطانى) يخرج من المدينة متجها نحو الشمال الشرقى ممتدا على حافة الصحراء . والثانى الى رياق وبيروت ويتجه نحو الشمال الغربى مخترقا الأخدود العظيم بنهر برده وكانت السكة الحديدية تتبع ذلك الطريق ويسير الطريق والسكة الحديدية بين جرفين مرتفعين فى مضيق يقل عرضه عن مائة ياردة . وكان طريقا حمص وبيروت طول يوم ٣٠ مزدحمين بقولات الأتراك المتقهقرين . أما فى المدينة فقد دالت دولة الأتراك ورفعت الأعلام العربية علنا وتولت لجنة من أشراف العرب الحكم[1] .

(١) كان ليمان فون ساندرس قد عين على رضا باشا — وهو أحد العرب الحائزين لرتبة لواء بالجيش التركى — ليتولى الترتيبات لمقاومة تقدم الإنجليز على طريق قنيطرة وكان يجهل أنه كان منذ مدّة طويلة رئيسا للجمعية السرية التى ستتولى حكم دمشق بعد طرد الأتراك .

كانت أوضاع الفرسان الأنجليزصباح يوم ٣٠ كالآتى : الفرقة الاسترالية وكان عليها أن تزيل أى مقاومـة على طريق قنيطرة وأن تمر حول دمشق من الغرب وأن تسد طريق حمص وبيروت ، والفرقة الخامسة وكان عليها أن تسير بأقصر طريق الى طريق درعا لحجز بقايا الجيش الرابع قرب كيسو ، والفرقة الرابعة وكان عليها أن تستمر فى تقدمها على دمشق وتتعاون مع الفرقة الخـامسة للتخلص من بقايا الأتراك جنوب دمشق .

تمكنت فرقة الفرسان الخامسة ومعها اللواء القائد من الفرقة الرابعة من تفرقة جزئى الجيش الرابع وأسر معظمها . ولم يصـل دمشق من الجنوب فى ذلك اليوم كوحدات نظامية الا قوة واحدة — أورطة المـانية — وبعض الجمـاعات من المشردين . وتفاصيل قتال ذلك اليوم معقدة وليس لها أهمية خاصة . وكانت فرقة الفرسان الخامسة عند حلول الظلام شمال كيسو مباشرة والفرقة الرابعة جنوبهـا ببضعة أميال .

تغلبت الفرقة الاسترالية على مقاومة المؤخرة التركية عند كوكب قبل الظهر ، وقد اضطرب الأتراك من نيران بطاريتين وأزعجتهم حركة الالتفاف فى الشمال وبمجرد أن وقع نظرهم على الآتين من الفرسان الأسترالية الخفيفة يبدءان هجومهما الراكب عليهم بادروا بالفرار . سار عندئذ اللواء الخامس من الفرسان الأسـترالية الخفيفة الى طريق بيروت يتبعه اللواء الثالث من الفرسان الأسترالية الخفيفة ، وكانت الأوامر الصادرة اليهما تقضى باللف شمالا والوصـول الى جنبي طريق حمص . لم يمكن تنفيذ هذه الأوامر اذ لم توجد أية وسيلة لنزول جروف أخدود بارادا . لذا لم يمكن الوصـول الى طريق حمص دون المرور داخل المدينة نفسها وكان هذا ممنوعا . وصلت بلوكات اللواءين الثالث والخـامس الى الجروف فوق طريق بيروت وأشرفوا على جموع الهاربيـن التى ازدحمت بالمضيق . فتح الاستراليون نيران مدافع المـاكينة على رأس القول اذ لم تكن هناك وسيلة أخرى لإيقافهم . تلت ذلك مذبحة مريعة استمرت حتى عرف الأتراك بمؤخرة القول ان هروبهم مستحيل فعادوا للمدينة .

فى فجر اليــوم التــالى — أول أكتوبر — دخل اللواء الثــالث من الفرسان الاسترالية الخفيفة دمشق بعد أن تصرح له بدخولها وسار إلى طريق حمص وكان أول القوات الإنجليزية التى دخلتها ، وبعد ذلك بقليل وصل لورنس وعربه وفى أعقابه البلوكات القائدة من فرقة الفرسان الخامسة . أسرع لواء الفرسان الاسترالية الخفيف الثالث وقتئذ بالسير بالمدينة وبطريق حمص مطاردا فول الأتراك الذين خرجوا فى المساء المــاضى . واشتبك طول اليوم بمناوشات مع المؤخرة التركية وأسر ٧٥٠ وعدد من مدافع المــاكينة . وفى اليــوم التــالى لحق فولا تركيا آخر وأسر ١٥٠٠ أســير و ٣ مدافع و ٢٦ مدفع ماكينة وكان هــذا آخر الاشتباكات قرب دمشق ونهاية قتال الاستراليين فى الحملات .

جمعت باقى الفرقة الاسترالية بدمشق نحو ١٢٠٠٠ تركى تعب مريض فاقد الروح المعنوية . وبأسر هؤلاء بلغ عدد الأسرى بدمشق نحو ٢٠٠٠٠ وكان من أصعب المشاكل إطعام كل هذا العدد ومعظمهم مرضى وجلهم منهكين ، علاوة على ذلك فان الترتيبات الطبية التركية قد انكسرت كسرا تاما . وكانت المستشفيات فى حالة مفجعة ، فقد امتلأت بالموتى أو المشرفين على الموت من الأتراك الذين جاهدوا للوصول الى دمشق ولم يمكنهم السير بعدها . سلمت ادارة المدينة للعرب لأسباب سياسية . فبذل قادتهم كل ما بوسعهم ، ولكن كان ينقصهم المران ، وكان واجبهم ثقيلا ، ومضت بضعة أيام كلها سوء نظام واحتكاكات حتى عادت الحياة بدمشق الى مجراها الطبيعى .

٣ — التقدم الى حلب وعقد الهدنة

لم ينج شمالا من كافة الجيوش التركية بفلسطين وسوريا التى بلغ تعداد تعييناتها أكثر من ١٠٠٠٠٠ فى ١٩ سبتمبر إلا نحو ١٧٠٠٠ قدر عدد البنادق الفعالة بها بمــا لا يزيد عن ٤٠٠٠ وكانت القوة التركية فى ســوريا الشمالية فى الحقيقة مجرد غوغاء بلا مدفعية أو حملة أو تنظيم . وكانوا عقبة ضئيلة فى طريق الاستيلاء على حلب وباقى سوريا الشىء الذى ألح فى تنفيذه مجلس الحرب عقب سقوط دمشق . ولكن تموين أى قوة ولو صــغيرة تبعد كل هذا البعــد هو بلا شك مسألة واضحة الصعوبة ، فقد كانت دمشق تبعد عن قاعدة الجيش ١٥٠ ميلا وتبعد حلب عن

دمشق ٢٠٠ ميل . وكخطوة أولى قرر الجنرال اللنبي التقدم لخط الرياق — بيروت لأن احتلال ميناء بيروت يقصر خط التموين بالبر وبالسكة الحديدية إلى دمشق . وكان على الفرسان أن تحتل الرياق بينما تسير فرقة مشاة بحذاء الشاطئ إلى بيروت .

كانت الفرقة ٧ قد سارت إلى حيفا ووصلتها يوم أول أكتوبر فتركتها يوم ٣ سائرة على مدرجات طيرة (حيث حفر طريق فى ذلك الرأس الشهير) ومرت بطيرة وصيدا الى بيروت فوصلتها يوم ٨ أكتوبر وكانت قد سبقتها هناك قطع بحرية فرنسية وسيارات مدرعة من الرياق وزحلة التى احتلهما فرقتا الفرسان الرابعة والخامسة يوم ٦ أكتوبر بلا مقاومة . وكانت الفرقة الاسترالية قد تركت بدمشق لضمان سلامتها .

كانت المرحلة الثالثة الخط حمص — طرابلس اللتين كانتا متصلتين بطريق جيد مدكوك[1] .

كانت الملاريا والانفلوانزا التى تمكنت من الفرقة الاسترالية بدمشق قد تفشت فى فرقة الفرسان الرابعة لدرجة جعلتها غير ميسورة للعمل ، ولذا تقدمت فرقة الفرسان الخامسة من الرياق الى حلب وحدها ولا يمدها سوى قوة عربية بقيادة الشريف ناصر. وابتداء من بعلبك نظم الجنرال ماك اندرو قوته فى قولين بفاصل مسيرة يوم بينهما . فكان القول الأول مركبا من ثلاثة بطاريات سيارات مدرعة وثلاثة داوريات سيارات خفيفة واللواء ١٥ (الآيين فقط) ، وصلت الفرقة حمص يوم ١٦ أكتوبر ووجدت هناك عرب ناصر الذين ساروا بالطريق القصير من دمشق ، واحتل فى نفس الوقت فرسان الفيلق ٢١ و بعض سيارات مدرعة طرابلس يوم ١٣ أكتوبر وأصبح خط تموين الفرسان المذكور آمنا . ووصل لواء من الفرقة ٧ الى طرابلس بعد ذلك ببضعة أيام .

صدر الأمر عندئذ بالتقدم الى حلب وكان أمرا جريئا رغم انحلال قوى الأتراك المعنوية . فحلب تبعد عن حمص ١٢٠ ميلا وتصبح قوة الجنرال ماك اندرو الصغيرة بعيدة عن مدى مساعدة باقى الجيش ، وقد نقص عدد هذه الفرقة كثيرا بسبب

(١) كان بينهما سنة ١٩١٤ سكة حديدية ولكن الأتراك نزعوا قضبانها لاستعمالها فى محل آخر .

المرض فلم يبلغ تعداد الالايات ١٥٠٠ سيف . وكان بها أيضا بطاريتان خيالى وثلاثة بطاريات سيارت مدرعة وثلاثة داوريات سيارات خفيفة وسرب من سلاح الطيران . أما قوات الأتراك عند حلب وحولها فالمعروف انها كانت تبلغ ٢٠٠٠٠ ولو أن المعتقد أن المحاربين كان النصف فقط .

أصلح الكوبرى المقام على أورونتس عند الرستان يوم ٢٠ ووصل القول المكون من سيارات مدرعة واللواء ١٥ إلى نقطة شمال حماة بخمسة أميال فى يوم ٢١ ، وفى يوم ٢٢ قابلت السيارات المدرعة المؤخرة التركية فى لوريات عند خان سبيل فى منتصف المسافة إلى حلب . وبعد قتال مع الجرى مسافة ١٥ ميلا تمكنت من أسر سيارة مدرعة ولوريين . وصلت السيارات فى اليوم الثانى إلى بعد بضعة أميال من حلب وأرسل الجنرال ماك أندرو يدعو المدينة للتسليم ، ولكن دعوته رفضت . فأمضى يومى ٢٤ و ٢٥ فى استطلاع مواقع الأتراك جنوب حلب توطئة للعمل عند وصول اللواء ١٥ . وصل اللواء يوم ٢٥ ووضعت خطة الهجوم على المدينة يوم ٢٦ بالاشتراك مع عرب ناصر الذين كان عليهم أن يتقدموا فى الشرق بحذاء السكة الحديدية وكان على اللواء ١٥ أن يلف حول حلب من الغرب إلى طريق اسكندرونة وكان على السيارات المدرعة أن تهجم من الجنوب والعرب من الشرق .

فى مساء ٢٥ تمكن العرب من دخول حلب التى كانت بطبيعة الحال ملأى بمن يعطف عليهم. فأوقعوا بالأتراك خسائر جمة فى قتال متلاحم بالشوارع وأرغموا الحامية على الانسحاب . فدخل الجنرال ماك أندرو المدينة بسياراته المدرعة فى الساعة ١٠ صباح ٢٦ ، وفى نفس الصباح كان قولا تركيا قويا يتقهقر شمالا من حلب على طريق اسكندرونة فاقتحمه آلايان من اللواء ١٥ وهما آلاى حملة الرماح من جود بور وميسور . نجح الاقتحام أوّل الأمر ولكن الأتراك الذين بلغت قوتهم ٣٠٠٠ عادوا فتجمعوا عندما علموا بضعف مهاجميهم فاضطرت الفرسان إلى الانسحاب واتخاذ موقف دفاعى واستمر الأتراك فى تقهقرهم فى المساء .

كانت قوة الجنرال ماك اندرو أضعف من أن تتقدم أبعد من ذلك وفى الحقيقة فإن استخدامه للقوات الميسورة بجرأة يرجع اليه وحده الفضل فى تقدير القائد التركى لقوته بأكثر من حقيقتها ولتقريره الانسحاب من حلب [١] .

أمرت الفرقة الاسترالية بالتقدم شمالا من دمشق للتمكن من الاستيلاء على اسكندرونة والنقط الأخرى المهمة شمال حلب . فقامت الفرقة من دمشق يوم ٢٧ أكتوبر وسارت حتى اقتربت من حمص عند ما عقدت الهدنة بين الحلفاء وتركيا يوم ٣١ أكتوبر أى بعد ثلاث سنوات كاملة من يوم دخول تركيا الحرب [٢]

أسرت قوة التجريد المصرية ما بين ١٩ سبتمبر و٢٦ أكتوبر ٣٦٠ مدفعا و٧٥٠٠٠ أسير منهم ٢٠٠ ضابط و٣٥٠٠ صف وعسكرى من الألمان والنمسويين، وبلغت خسائر الانجليز بالوقائع طول هذه المدة ٥٦٦٦ [٣] وتقدمت الجبهة أكثر من ٣٥٠ ميلا وقطعت فرقة الفرسان الخامسة أكثر من ٥٠٠ ميل فى مدة الثمانية وثلاثين يوما التى استمرت بها العمليات ولم تخسر إلا ٢١٪ من خيولها .

---

(١) يظهر من أقوال الأتراك أن اللوريات التى كانت تحمل المؤن من طرابلس كان يظن أنها تنقل مشاة انجليزية لإمداد الفرسان .

(٢) استغرق عقد السلم مع تركيا أكثر مما استغرقته الحرب . فقد وقعت معاهدة سيفر فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، ووقعت معاهدة لوزان التى حلت محلها يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ أى بعدها بثلاثة سنوات .

وفيما يختص بالامبراطورية البريطانية فان هذه المعاهدة لم يتفق فيها على مشكلة الموصل المهمة التى لم تعط عصبه الأمم قرارا عنها إلا فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ، وتم تقرير الحدود الفعلية للعراق نتيجة لهذا القرار فى سنة ١٩٢٧

(٣) خص الفيلق ٢١ ٣٥٠٠ والفيلق ٢٠ ١٥٠٠ وفيلق الصحراء الراكب ٦٥٠

الختام

الباب التاسع

الدروس المستفادة من الحملات

١ — أهمية خفة الحركة — أعمال الفرسان الباهرة ، ما يمكن أن تقوم به القوات الميكانيكية ، عناصر خفة الحركة .

٢ — دروس أخرى — الاستراتيجى والسياسة ، المفاجأة ، أهمية التدريب

١ — أهمية خفة الحركة

" تشمل خفة الحركة القدرة على المناورة والعمل بسرعة وهى أفضل الوسائل لاحراز المفاجأة " (قوانين خدمة الميدان) .

وقد ذكر هذا المبدأ نفسه بطريق المحادثة بالكتب العسكرية الرسمية التى كانت مستعملة منذ ٢٥٠٠ سنة .

" سأل السيد وين — " ما هو أهم شيء فى العمليات الحربية ؟ " فأجاب وو . — " الخفة . . . فاذا كان للرجال الحرية فى التحرك فان القتال ينجح " — (كتاب الحرب الصينى ، القرن الخامس قبل الميلاد) .

قيل إن حملات فلسطين نصر للفرسان وإنها خير برهان على ضرورة هذا السلاح للحروب الحديثة ، ولا شك أن أظهر هيئات العمليات هو استعمال ذلك السلاح الراكب بمهارة . ولكن حقيقة الدرس ليست فى فائدة الفارس بل فى قيمة خفة الحركة وقوتها .

تبين هذه الحملات تلك القوة بيانا واضحا ، وهى تستحق أن تدرس دراسة دقيقة لهذا السبب وحده إذ أن الغرض الأعلى للعقل العسكرى فى الوقت الحالى يجب أن يكون استعادة القوة على التحرك والمناورة التى فقدت فى العمليات الأساسية من الحرب العظمى فى غرب أوربا .

لننظر الآن باختصار فى الأعمال الباهرة الاستراتيجية والتكتيكية التى قامت بها القوات الراكبة فى هذه الحملات. ففى المغضبة سارت فرقة راكبة سيرا ليليا مسافة ٢٠ ميلا وفاجأت وأحدقت بقوة منفصلة تركية بموقع حصين ثم عادت لقاعدتها سائرة تلك العشرين ميلا وتم كل ذلك فى أقل من ثلاثين ساعة . وتمت بدرجة معادلة من النجاح عملية رفح التى تشابهها من حيث المسافة والوقت ، وتمكنت القوات الراكبة فى موقعة غزة الأولى ثم فى بير السبع من الوصول الى مؤخرة المواقع التركية ومهاجمتها من الاتجاه غير المنتظر كلية الهجوم منه ، وذلك بفضل خفة الحركة . أما المطاردة عقب غزة الثالثة فلم تكن فاصلة للاسباب التى ذكرت بالباب الذى بحث فى تلك العمليات رغم أنها أرغمت الجيش التركى على الارتداد ٧٥ ميلا مع انحلال تنظيمه وخسائر فادحة ، وأظهرت فرسان اللنبى فى التقدم الأول على القدس والغارتين شرق الأردن أن خفة حركتها لا تعدمها أوعر التلال ولا أردأ أحوال الطقس . وتوجت أعمالها الباهرة بوقائع المجيد التى يحتمل أن تكون أوضح مثال لقوة سلاح الفرسان فى تاريخ الحرب عامة . ففى المرحلة الافتتاحية لهذه العملية قطعت فرقة واحدة ٧٠ ميلا فى ٣٤ ساعة . وأخيرا فان استمرار المطاردة الى دمشق وحلب كانت مدهشة نظرا للمسافة المقطوعة ولو أن المقاومة لم تكن عنيفة ، فقد سارت فرقة الفرسان الخامسة مثلا نحو ٦٠٠ ميل فى ٣٨ يوما متواليا [١] .

---

(١) أما من حيث خطة الحركة المطلقة — غير المعقولة فى الواقع — فإن القوات العربية المغيرة بقيادة لورنس كانت لا تبارى ولكنهم لم يكونوا بطبيعة الحال ولم يقصد منهم أن يكونوا قوة شقاتلة مخيفة .

"وقد حصلنا على السرعة ومجال العمل اللازمين من كفاءة رجال الصحراء وهم راكبين نياقهم وبمراعاة الضرورى اللازم كل المراعاة ، فلم يكن لنا نظام فى التموين ، فكل رجل مستقل بنفسه وعند ما يترك القاعدة البحرية التى بدأت منها الغارة يحمل بسرجه أكل ستة أسابيع لنفسه وكان تعيين الرجل العادى لمدة ستة أسابيع نصف كيس الن الدقيق زنته ٤٥ رطلا ، وتسير الجمال العربية بكل راحة ٢٥٠ ميلا بين يومى السقيا فى فصل الصيف الحار أى مسير ثلاثة أيام سير عنيف" .

(انتشار ثورة — مجلة الجيش الربع سنوية عدد أكتوبر سنة ١٩٣٠) .

وأفضل فكرة عن القوة التى تمنحها خفة الحركة قد يمكن الوصول اليه بمقارنة الوقت الذى تحتاجه قوة من المشاة للقيام بذلك العمل . تحتاج المشاة للوصول الى المغضبة أو رفح الى يوم كامل تسير فيه سيرا مرهقا فوق صحراء سيناء الصعب السير عليها ثم تحتاج إلى ساعتين أو أكثر بعد وصولها لتطوق موقع العدو تمهيدا للهجوم الأساسى ، وقد قامت الفرسان بذلك العمل بالخطوة المضاعفة فى أقصر وقت ، وتصبح المشاة عقب وصولها وهى لا تملك الا القليل من القوة اللازمة للقتال العنيف . وقد يكون السير للعودة أكثر من طاقتها إن لم تسترح يوميا .

ثم ان التحرك من الخلصة وأسلوج الى شمال بئر سبع — الذى أجرته القوات الراكبة فى ساعات الظلام توطئة للاستيلاء على بئر السبع فى النهار — تحتاج المشاة إذا طلب منها أن تقوم به الى يومين كاملين تسير فيهما . ثم ان الفرسان فى ركبتها الطويلة للوصول الى خلف الجيوش التركية فى سهل ازدرائيلون سارت فى ٢٤ ساعة ما يعادل ثلاثة مسيرات طويلة للمشاة . وأخيرا فان القوة والقدرة على القتال الباقيتين للفرسان الجيدى التدريب الذين قطعوا أربعين ميلا أو خمسين أكثر بكثير من الباقيتين للمشاة التى تكون قد قطعت ٢٠ أو ٢٥ ميلا .

ذكرنا الان أمثلة للاستعمال الاستراتيجى للسلاح الراكب . أما عن الاستعمال التكتيكى بأرض الموقعة ففى الحملات الكثير من الأمثلة الجيدة . فالاقتحام عند بئر السبع أو وعند المغار وغيرهما كان بيانا عمليا واضحا لصدق المثل الذى يقول " ان السرعة درع واق " ويبين أن الهجوم الراكب قد يصل لغرضه ، بشرط ألا يقابله مانع طبيعى يوقفه ، بفضل السرعة وحدها بينما يكون هجوم المشاة بطيئا كثير التكاليف .

من جهة أخرى دلت التجارب بهذه الحملات بكل وضوح على أن خفة الحركة قد تفقد الكثير من قيمتها مالم تقرن بنيران كافية ، وأن ضعف تشكيلات

الفرسان فى قوة النيران قارب أن يكون خطيرا عند المغضبة ورفح ثم عند بئر السبع حيث كاد التأخير الطويل بسبب المقاومة عند تل السبع أن يعطى الحامية التركية الوقت لتخريب الآبار ثم الفرار .

لنبحث الآن فيما إذا كان فى مقدرة قوة ميكانيكية أن تقوم بما قامت به الفرسان بفلسطين بسرعة أكثر وخسائر أقل . لا فائدة من التفكير فى محاربة الوقائع الماضية أو الحملات العسكرية مرة ثانية بأسلحة أحدث إذ أن وجودها مع أحد الجانبين معناه تعديل استراتيجى الجانب الثانى أو تكتيكاته وهذا يسبب اجراءات مضادة . ومع ذلك فمن المفيد أن نبحث فيما قد يكون لقوة محملة على عربات ميكانيكية بدلا من الخيول من القوة النسبية والمدى فى ظروف هذه الحملة التى هى أكثر حملات الحرب العظمى خفة فى الحركة .

من الواضح كل الوضوح أن القوات الميكانيكية تمتاز كثيرا على الفرسان فى قوة النيران والوقاية . ولا جدال فى أن استخدام عربات القتال المدرعة لا بد وأن يأتى بنصر مؤكد وأشد عن استخدام الفرسان شرطا أن تدخل (العربات) ميدان القتال فى الوقت المناسب . فلم تكن نتيجة القتال لتبقى معلقة غير أكيدة كل ذلك الوقت فى عمليات المغضبة أو رفح أو بير السبع لو وجد القليل من الدبابات أو لو سمح التجهيز الميكانيكى بوجود أسلحة أثقل من المدافع عيارها ١٣ رطلا لمساعدة القوات الراكبة . ولم تكن القوات الميكانيكية ليوقفها أو يخل تنظيمها قلة المياه فى المطاردة التالية لموقعة غزة — بير السبع كما كان الأمر مع القوات الراكبة ، ولو وجدت قوة ميكانيكية وقتئذ لهلكت الجيوش التركية سنة ١٩١٧ بدلا من سنة ١٩١٨

ومن جهة أخرى فهناك عوامل ثلاث قد تعين خفة حركة القوات الميكانيكية فى حملاتنا أو تحدد من فائدتها أولها بطبيعة الحال هو تأثير الأرض . وكانت هذه بوجه الاجمال مناسبة جدا فصحراء سيناء لم تكن لتسمح بسير أى نوع من الحملات الميكانيكية الموجودة وقتئذ ولكن معظم فلسطين وسوريا توافق كل الموافقة

فى أغلب أجزائها استخدام القوات الميكانيكية ، فهناك السهول الممتدة المنبسطة القليلة الموانع ، فالسهول الساحلية بفلسطين والشعرون وازدرائيلون الأرض بين درعا ودمشق والهضبة المسطحة من حمص وحماه الى حلب ، كل هذه ميادين مناسبة لتحركات العربات الميكانيكية ومناوراتها وقد قامت السيارات المدرعة ودوريات السيارات الخفيفة التى اشتغلت مع القوات الراكبة باعمال قيمة فى هذه الأراضى ، ومن جهة أخرى فتلال يهوذا وجبال معاب غير صالحة كلية من الوجهة العملية لمناورات العربات الميكانيكية .(١)

لم يكن من الممكن لقوة ميكانيكية أن تشترك فى التقدم الأول على القدس ولا فى الاستيلاء على أريحة أو الغارتين شرق الأردن كما فعلت الفرسان ، كما أنه لو قامت قوة ميكانيكية بالعمليات التى أجريت على المواصلات التركية فى الموقعة الختامية لكان عبورها لسان التل الواقع بين سهلى الشعرون وازدرائيلون أكثر حرجا لها عما كان للفرسان ، فلو أن العدو دافع عن هذه الممرات لما كان هناك شك فى الحاجة الى قوة يمكنها القتال مترجلة ليتيسر المرور عنوة فى الممرات ولتبقى (الممرات) آمنة بينما يلف قول العربات سائرا فيها ولأحتاجت الطرق التى بها الى أصلاح تقوم به جماعات المهندسين، ولم يكن هناك طريق آخر للوصول للجنب الآخر من مانع الجبال المذكور الا بالمرور بطريق ضيق بين البحر وجبل الكرمل وهذا الطريق نفسه مضيق . ولسان تل الكرمل هو فى الحقيقة مانع يسهل سده أمام أى قوة ميكانيكية ، وسيصبح لهذه الموانع والمضايق مستقبلا أهمية تكتيكية واستراتيجية عظمى عند ما يغلب استعمال القوات الميكانيكية . وقد يؤثر وجود مثل هذا المانع تأثيرا عميقا ويعدل الخطة الانجليزية لتصبح التحركات على مؤخرة الأتراك ولا بد من عملها لا بالسهل الساحلى بل بوادى الأردن الضيق ، وهذا الطريق أقل ميزة من كافة النواحى إلا فى أنه لا يعبر لسان تل الكرمل .

(١) ترجع هذه المسألة فى الواقع الى العهد القديم عند ما كانت عربات القتال المصرية والفلسطينية والاشورية تقرر نتيجة اوقائع بالسهول وتعجز فى تلال يهوذا أرض القتال على الأقدام .

والعامل الثانى الذى قد يحدد عمــل القوات المكانيكية فى تطورها الحالى هو مسألة التموين والاصلاح . وكما سبق فقد تمكنت الفرسان فى المطاردة من دمشق الى حلب من الاعتماد تقريبا على الموارد المحلية (أى مونت نفسها بما تيسر بالبلدان والأراضى) وكانت الخسائر فى الخيول بسيطة نسبيا . وقــد يكون تموين القوة المكانيكية بمــا يلزمها من البترول وتغيير الآلات واصلاحها مشكلا أكثر تعقيدا ويستلزم تنظيما دقيقا جدا والا فقد تضطر القوة للوقوف قبل وصولها الى حلب بمسافة طويلة . ومن المهم جدا أن لا ينسى الى أى مدى تتوقف خفة الحركة على كفاءة المواصلات . ولم ينس الجنرال اللنبى هذه النقطة قط ، ويجب أن تدرس بعناية وتراعى كيف كان يعد مواصلاته اعدادا تاما قبل كل تقدم من تقدماته الكبيرة . وقد يمكن عمليــا فى المستقبل التموين بالبنزين والتعيينات واللوازم الأخرى من الجو . ولكن مسألة اصلاح العربات الميكانيكية وهى على مسافة بعيدة من قاعدتها ستكون على الدوام مسألة صعبة .

أما المسألة الثالثة فهى كيف كان يتيسر لقوة ميكانيكية بسيطة ، رغم تفوقها على قوة كبيرة من الفرسان فى القــدرة على القتال أن تتصرف فى جموع الاسرى الأتراك . وستحير هذه المسألة القوات الميكانيكية يوما ما .

وإجمالى القول فان الحملات تبين القوة العظيمة التى انتفعت بها الفرسان من خفة حركتها . فالى أى مدى ستكون عظمة القوة التى تستمد من القوة الميكانيكية بعد الزيادة العظيمة فى النيران ، ومن زيادة مداها وسرعتها ومن تزويدها بالدروع — كما سيكون الحال — التى اضطرت الفرسان لكافة الأغراض العملية لخلعهــا (هجرها) منذ أربعمائة سنة . وفى المبــارزة الأبديه بين الأسلحة والدروع ، التى أحياها اختراع الدبابات ، قد يكون من الممكن أو من المنتظر أن يصبح ثقل الدرع اللازم لمقاومة الأسلحة التى يحملها الجندى الراجل عظيما جدا لدرجة تضطر معهــا عربات القتال الميكانيكية الى الاعتماد على السرعة أكثر من اعتمادها على الدرع

فان كان الأمر كذلك فان تجارب هذه الحملات تبين قيمة السرعة بميدان القتال فى إحداث النتائج وفى الاقلال من الخسائر (١)

ستصبح القوة الميكانيكية على الدوام أكثر تأثرا بالأرض عن الفرسان كما أن هـذه أكثر تأثرا من المشاة . وسيكون للهيئات التى تكون مانعا أو مضيقا لاى قوة مكانيكيـة أهمية تكتيكية عظمى فى المسارح التى تشتغل فيها هذه القوات . وكنتيجة لذلك ستكثر حاجة القـوات الميكانيكية الى تعاون القوات القادرة على القتال مترجلة والقادرة على أن تأخذ عنوة الهيئات التكتيكيـة التى تحرم القوات الميكانيكية من حرية المنـاوره ، وعلى أن تحتفظ بها . وسيحل هذا أيضا مشكلة التصرف فى العديد من الأسرى وستقرر تجارب المستقبل وحدها ما اذا كان ينبغى أن تكون هذه القوات فرسانا راكبين خيولا أومشاة راكبين عربات ميكانيكية ولا جدال فى أن الجمع بين الفرسان والقوات الميكانيكية يكون مربحا حقا فى حملاتنا هذه . ولكن توازن (تقرير نسبة) القوات الميكانيكية والمشاة والفرسان سيكون مسألة صعبة بنوع خاص على الجيش الانجليزى الواجب أن يكون مستعدا ليجعل تنظيمه وتسليحه موافقا لمسارح الحرب المختلفة سواء كانت بالتلال الصخرية بالحدود الشمالية الغربية للهند أو بالسهول الزراعية باوروبا الغربية المملوءة بالطرق.

وأخيرا مهما يكن تكوين القوة وتسليحها ، لكى تنال خفـة الحركة لا بد من من توفر عنصرين ضروريين: أولهما نظام للتموين دقيق التحضير ، وثانيهما عزيمة القائد وقوته الدافعة . خصص الجنرال اللنبى أهم عنايته لتنمية المواصلات تبعـا لخطته الاستراتيجية حتى أصبحت خدمة التموين قادرة على القيام بلوازم التقـدم السريع إلى دمشق وحلب وآخر عناصر خفـة الحركة وأكثرها لزوما هى عزيمة

(١) لسوء الحظ فالسرعة شيء كثير التكاليف جدا ففى البوارج كما فى السيارات أو خيول السباق أو النساء يتضاعف الثمن بسبب أى زيادة بسيطة نسبيا فى السرعة .

القائد . وقد تبين ذلك بوضوح فى هذه الحملات فى قرار نوفمبر سنة ١٩١٧ الخاص بالتقدّم على القدس فى الحال وفى استمرار المطاردة إلى القدس وحلب رغم كل الصعوبات . ورغم أن الجنرال اللنبي قد تحمل كافة المتاعب لضمان وصول التموين النظامى التام فان صعوبات التموين لم ترهبه أو تجعله يحود عن عرضه . وقد أضاءت جملة فى التعليمات الإدارية للتقدم النهائى جاء فيها : "وقد عملت هذه التقديرات باعتبار أن التعيينات التى ستصرف ستكون كاملة خفيفة ولكن قد يحتاج الأمر إلى مضاعفة جميع المسافات وإلى أن لا يصرف للقوة إلا نصف التعيين فقط" .

٢ — الدروس الأخرى

ليس للدروس المستفادة من العمليات المرتبة بجدول ما — المبين كل منها بأصول القوانين — إلا القليل من الفائدة حتى للنجاح فى الامتحان، ولن يذكر مثل هذا الجدول هنا .

سبق فى سياق الحديث لفت النظر إلى النقط الاستراتيجية أو عمليات الحملات التى تحتاج الى تفكير وتحليل . أما الملاحظات المختصرة الآتية فلم تذكر إلا لتأكيد ماقد يرى المؤلف أنه ابرز النقط بالحروب فى فلسطين وسوريا بخلاف الدرس المهم الخاص بخفة الحركة .

سبق أن شرح اعتماد هذه الحملات استراتيجيا على الاعتبارات السياسية اعتمادها على الحوادث بالميادين الأخرى . وقد شرحت شرحا مطولا بعض التطويل فى الأبواب السابقة وإلا بقيت الاستراتيجى بفلسطين غير واضحة ، يبين سير الحرب بين بريطانيا وتركيا أن الأغراض التى كانت أول أمرها بسيطة واضحة أصبحت غامضة

وقد تتوه عن النظر فى جو مجالس الحرب المضطربة. فقد كان اهتمام الانجليز الحقيقى فى فلسطين منحصرا فى سلامة قناة السويس، وفى العراق وقاية آبار البترول بايران. ومع ذلك ففى سنة ١٩١٨ أصبحت الامبراطورية العثمانية مهاجمة بجيشين كبيرين قاعدتاهما مصر والبصرة على التوالى وهما بعيدتان عن قلب تركيا بعدا كبيرا لا يمكن معه انتخابهما. وكان غزوهما الامبراطورية العثمانية بطريقة غير منسقة. ومن السهل انتقاد مثل هذه الاستراتيجى ولكن ليس من السهل ايجاد ما كان يعمل بدلها ويكون صحيحا، وقد يكون من الدروس المفيدة لقارئ هذا التاريخ أن يقرر لنفسه الوقت والخط الذى كان يصح أن تقف عنده قوة التجريدة المصرية وتستقر نهائيا للدفاع عن القناه وكذلك نتيجة مثل هذه السياسة.

سبق أن بينت الخطوات التى خدع الجنرال اللنبى بواسطتها خصومه خداعا تاما فى موقعتيه الكبيرتين مع الأتراك وذلك فيما يختص بنواياه، ونال بواسطتها المزايا العظيمة للفاجأة ومن المفيد دراسة هذه الخطوات. وستزيد القوات الميكانيكية بخفة حركتها الفائقة احتمالات المفاجأة بطبيعة الحال ويجب أن يلاحظ أيضا أن الجنرال اللنبى لم يخسر مزايا المفاجأة باهماله "التجمع" فعندما كان يضرب غرضه المنتخب كان يضرب بقوة كاسحة. انظر الى جمعه فرق المشاة الثلاثة ومعها فرقة رابعة كاحتياط وفرقتين من الفرق الراكبة ضد حامية بئر السبع التركية والى تجمعه العظيم ضد يمين الأتراك فى الموقعة الأخيرة.

أخيرا يصح أن تعلق أهمية كبيرة على فائدة التدريب. فلم يكن لبريطانيا فى فرنسا بعد السنة الاولى من الحرب أى قوات جيدة التدريب حقيقة اذا قيست بمستوى الايام السابقة للحرب أما فى فلسطين فبالنسبة لصغر النسبة فى الخسائر والى قلة استمرار القتال عنه بفرنسا فقد كان الوقت ميسورا للتدريب وقد تواجد من الأفراد الذين كانوا بالخدمة قبل الحرب العدد الكافى لاجراء التعليم، وهذا يعلل

السبب فى مقدرة المشاة على الهجوم فى حالات عديدة والاستيلاء على مواقع قوية التحصين دون مساعده عظيمة من المدفعية أو دون الدبابات .

ان دراسة ما أمكن أن تقوم به قوات جيدة التدريب قادرة على المناورة لمما يفيد فى ازالة عدم الاعتقاد بمقدرة المشاة الهجومية الذى ثبتته فى أذهان البعض تجارب حروب الخنادق الصارمة .

لن تكون دراسة قارئ هـذه الحملات عبثا اذا خرج منها بدرسين وهما أن خفة الحركة التى تعطى القدرة على المفاجأة يجب أن تكون أهم مايرمى اليه فى تنظيم الجيش . وأن التدريب الذى يعطى القدرة على المناورة سيعيد للشاة قوتها الهجومية فى ميدان القتال التى ظن أنها فقدت فى فرنسا .

ملحق رقم ١

الأسماء الرسميه للوقائع والاشتباكات بحملات مصر وسيناء وفلسطين وسوريا

(من تقرير لجنة تسمية الوقائع)

تدل العلامة × على أن القوات من العرب

العمليات الحربية	الوقائع		العملية الخ	الحوادث المنوعة	الحدود	
	الأسماء	الحوادث التكتيكية الداخلة فيها			الزمنية	الجغرافيا

الحدود الشرقية وفلسطين

١ — الدفاع عن مصر

العمليات الحربية	الأسماء	الحوادث التكتيكية الداخلة فيها	العملية الخ	الحوادث المنوعة	الزمنية	الجغرافيا
الدفاع عن القناة من ٢٦ يناير سنة ١٩١٥ الى ١٢ أغسطس سنه ١٩١٦	—	—	العمليات على قناة السويس	—	٣ — ٤فبرايرسنة ١٩١٥	شرق سكة حديد السويس القنطرة
	—	—	عملية القطية	—	٢٣ ابريل سنة ١٩١٦	شرق القناة وشمال محطة الفردان
	موقعة رمانة	—	—	—	٤ — ٥ أغسطس سنة ١٩١٦	شرق القناة وشمال الاسماعيلية

العمليات الحربيـة بشبه جزيرة سيناء من ١٥ نوفبر سنة ١٩١٦ الى ٩ يناير سنة ١٩١٧	—	—	عملية المغضبة	—	٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٦	جنوب شرق بير لحفن
	—	—	عملية رفح	—	٩ يناير سنة ١٩١٧	شمال وشرق الشيخ زويد

٢ ــ الحـدود الغربيـة

العمليات ضد السنوسى من ٢٣ نوفبر سنة ١٩١٥ الى ٨ فبراير سنة ١٩١٧	—	—	عملية وادى سيناب	—	١١ – ١٣ ديسمبر سنة ٩١٥	المنطقة التى اشتغلت فيها قوة اللفتانت كولونيل غوردون
	—	—	عملية وادى ماجد	—	٢٥ ديسمبر سنه ١٩١٥	المنطقة التى اشتغل فيها القولان بقيادة الماجور جنرال والاس
	—	—	عملية حالازين	—	٢٣ يناير سنة ١٩١٦	
	—	—	عملية عجاجيا	—	٢٦ فبراير سنة ١٩١٦	المنطقة التى اشتغلت فيها قوة البريجادير جنرال لوكن
	—	—	عمليات الواحة الداخلة	—	١٧ – ٢٢ أكتوبر سنة ١٦	×
	—	—	العمليات قرب واحة سيوه	—	٣ – ٥ فبراير سنة ١٩١٧	من واحة سيوه الى المناسب

السودان

العمليات الحربية	الوقائع: الأسماء	الوقائع: الحوادث التكتيكية التى بها	العمليات الخ	الحوادث المنوعة	الحدود: الزمنية	الحدود: الجغرافية
—	—	—	عملية برنجية	—	٢٢ مايو	×
—	—	—	—	واحتلال الفاشر الذى تلاها	٢٣ مايو	×
—	—	—	عملية جوبا	—	٦ نوفمبر	×

٣ — غزو فلسطين

العمليات الحربية	الوقائع: الأسماء	الوقائع: الحوادث التكتيكية التى بها	العمليات الخ	الحوادث المنوعة	الحدود: الزمنية	الحدود: الجغرافية
العمليات التعرضية الأولى من ٢٤ مارس	موقعة غزه الأولى	—	—	—	٢٦ — ٢٧ مارس	شمال الخط
الى ١٩ أبريل سنة ١٩١٧	موقعة غزه الثانية	—	—	—	١٧ — ١٨ أبريل	بير السبع — بيلا
العمليات التعرضية الثانية من ٢٧ أكتوبر الى ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٧	موقعة غزه الثالثة	الاستيلاء على بير السبع وعلى موقع الشريعة	—	—	٢٧ أكتوبر الى ٧ نوفمبر	شمال وادى غزه
—	—	—	عملية هوج عملية المغار	احتلال محطة المواصلة الذى تلاها	٨ نوفمبر ١٣ نوفمبر ١٤ نوفمبر	شمال الخط بير السبع — غزه وغرب طريق بير السبع القدس

عمليات القدس من ١٧ نوفمبر الى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٧	موقعة النبي صمويل	—	—	—	١٧ — ٢٤ نوفمبر	شمال وشرق الخط حبرون محطة المواصلة
	—	—	الاستيلاء على القدس	—	٧ — ٩ ديسمبر	
	الدفاع عن القدس	—	—	—	٢٦ — ٣٠ ديسمبر	
	موقعة يافا التى تفرعت منها	—	—	—	٢١ — ٢٢ ديسمبر	بين طلكوم ومحطة المواصلة وسكة حديد يافا والبحر
	—	—	الاستيلاء على اريحة	—	١٩ — ٢١ فبراير	بين طريق نابلس وبيت لحم والأردن شمال الخط بيت المقدس — البحر الميت
العمليات بوادى الأردن وشرقه من ١٩ فبراير الى ٤ مايو سنة ١٩١٨	—	—	عبور الأردن	—	٢١ — ٢٣ مارس	شرق الأردن
	—	—	عملية الصلت الأولى	—	٢٤ — ٢٥ مارس	
	—	—	الهجوم الأول على عمان	—	٢٧ — ٣٠ مارس	
	—	—	هجوم الأتراك على رأس الكوبرى فوق الأردن	—	١١ أبريل	
	—	—	عملية الصلت الثانية	—	٣٠ أبريل الى ٤ مايو	
عمليات العرب بجبال معاب التى تفرعت منها فى مارس وأبريل سنة ١٩١٨	—	—	—	—	مارس وأبريل	

(تابع) ٣ — غزو فلسطين

العمليات الحربية	الوقائع: الاسم	الوقائع: الحوادث التكتيكية التى بها	العمليات الخ	الحوادث المتنوعة	الحدود: الزمنية	الحدود: الجغرافية
عمليات محلية سنة ١٩١٧			عملية تل أسور		٨ — ١٢ مارس	غرب الأردن وشمال الخط — اريحه — رام الله — يافا
			عملية أبو تلول		١٤ يوليه	×
العمليات التعرضية النهائيـة من ١٨ سبتمبر الى ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٨	وقائع المجيد	—	—	—	١٩ — ٢٥ سبتمبر	
	١) موقعة الشمرون	—	—	—	١٩ — ٢٥ »	
	٢) » نابلس	—	—	—		
			العمليات شرق الأردن	—	٢٣ — ٣٠ »	بين سكك حديد الحجاز والبحر شمال الخـط ذهبه — مصب الأرن — ارسوف
			الاستيلاء على عمان		٢٥ »	
			» » درعا		٢٧ »	
ويشمل المطاردة فى سوريا من ٢٦ سبتمبر الى ٣١ أكتوبر	—	—	الاستيلاء على دمشق	—	١ أكتوبر	شمال سكة حديد حيفا — درعا
			عملية حرتان		٢٦ »	
				احتلال حلب الذى تلاها	٢٦ »	

٤ — الحجاز

ثورة العرب من يونيه إلى ديسمبر سنة ١٩١٦	—	—	الهجوم على المدينة	—	٦ يونيه	×
			الاستيلاء على جدة	—	٩ »	×
			» » مكة	—	١٠ »	×
			» » ينبع		٢٧ يوليه	×
			» » الطائف	—	٢٢ سبتمبر	×
العمليات ضد سكة حديد الحجازمن أكتوبر سنة ١٩١٦ إلى نوفبر سنة ١٩١٨	—	—	—	—	أكتوبر سنة ١٩١٦ — نوفبر سنة ٩١٨	من معان إلى المدينة
عمليات الوجه يناير سنة ١٩١٧	—	—	الاستيلاء على الوجه	—	٢٤ يناير	ينبع
عمنيات العقبة من ٦ مايو إلى ٢١ أكتوبر سنة ١٩١٧	—	—	عملية أبي اللسان	—	٣ يوليه	×
				احتلال العقبة	٦ »	

(تابع) ٤ — الحجاز

العمليات الحربية	الوقائع		العمليات الخ	الحوادث المتنوعة	الحدود	
	الأسماء	الحوادث التكتيكية التى بها			الزمنية	الجغرافية
			هجوم الأتراك على بطره	—	٢١ أكتوبر	بين سكة حديد الحجاز ووادى عربه
عمليات تافيله من يناير الى مارس سنة ١٩١٨	—	—	عمليات تافيله	—	١ — ٢٨ يناير	بين سكة حديد الحجاز ووادى عربه
				الاستيلاء على الأسطول النهرى التركى بالبحر الميت	٢٧ يناير	المزرعة
عمليات معان من أبريل الى سبتمبر سنة ١٩١٨	—	—	عملية محطة شاهين	—	٢٠ أبريل	×
			« « مدوره	—	٦ أغسطس	×
				اخلاء معان	٢٣ سبتمبر	×

٥ — جنوب بلاد العرب

العمليات عند باب المندب ١٩١٤ — ١٩١٥	—	—	الاستيلاء على الشيخ سعيد	—	١٠ نوفبرسنة ١٩١٤	شبه جزيرة الشيخ سعيد
			هجوم الأتراك على بريم	—	١٤ — ١٥ يونيه سنة ١٩١٥	جزيرة بريم والقوات بقيادة الكابتن هنشنسون
الدفاع عن عدن من ٣ يوليه سنة ١٩١٥ الى ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٨	—	—	عملية لحج	—	٤ — ٥ يوليه سنة ٩١٥	×
			عملية الشيخ عثمان	—	٢٠ يوليه سنة ١٩١٥	×
			عملية جابر	—	٧ ديسمبرسنة ١٩١٧	×
			عملية عماد	—	٢٢ أكوبرسنة ١٩١٨	×

ملاحظة — عمليات القوات العربية التى تعاونت مع الجيش الانجليزى فى عمليات شرق الأردن وفى العمليات العرضية النهائية لسوريا ذكرت فى مصر وفلسطين .

الملحق الثانى

مراجع حملات فلسطين

ملاحظة : ليس هذا الجدول كاملا وافيا ، ولكنه يشمل أهم المؤلفات الأساسية التى تعتبر عهدة فى الحملات مع بيان محتوياتها وفائدة كل منها ، وليس التاريخ الرسمى الذى وضعه القسم التاريخى أكثرها استكمالا وأحسنها مرجعا فحسب بل ومكتوب بلغة جيدة كل الجودة .

وأوصى بالآتى بعد لما لها من فائدة :

البابان ١١ و ١٣ من المجلد الثانى من "الجنود والساسة" (سياسة الحملات واستراتيجيتها) .

"فيلق الصحراء الراكب" تأليف بريستون (عمل الفرسان) .

"ثورة فى الصحراء" (عمليات العرب) .

مصر والجيش

جنود لندن فى فلسطين (من وجهة نظر ضابط من ضباط الألآى) .

ا. ويشن كوكاساس اندسينا (كرسى فون كرسنشتاين) .

وخمس سنوات فى تركيا (ليمان فون ساندرس) .

١ — البيانات الرسمية

الاسم	المؤلف	المدة المعطاة	ملاحظات
Naval and Miltary Despatches Vol. 1—X.	(١) السير جون ماكسويل ١٦ — ٢ — ١٥	الهجوم الأول على القناة	
	(٢) السير جون ماكسويل ١٩ — ٨ — ١٩١٥	الدفاع عن القناة سنة ١٩١٥	
	(٣) السير جون ماكسويل ١ — ٣ — ١٦	الصحراء الغربية	
	(٤) السير جون ماكسويل ٩ — ٤ — ١٦		

(٥) السير ارشبالد مورى ١ — ٦ — ١٠	عملية القطية الخ	
(٦) السير ارشبا لدمورى ١ — ١٠ — ١٦	موقعة رمانه	جمعت رسائل ارشبا لدمورى ونشرت بمعرفة مستر دنت وشركاه ومعها مجلد خرائط جيدة جدا وبعض ملاحق طريفة فى عمل السكة الحديدية والتموين بالمياه الخ وقد ذكر بهذا المجلد النص الكامل للرسائل التى حذف بعضها فى المطبوعات الرسمية الأصلية .
(٧) السير ارشبا لدمورى ١ — ٣ — ١٧	التقدم عبر سيناء عمليات رفح والمغضبة	
(٨) السير ارشبالد مورى ٢٨ — ٦ — ١٧	موقعة غزة الأولى والثانية	
(٩) السير ادموند اللنبى ١٦ — ١٢ — ١٧	موقعة غزة الثالثة والاستيلاء على القدس	هذه الرسالة مذكورة فى تقدم التجريدة المصرية .

(تابع) ١ — المطبوعات الرسمية

الاسم	المؤلف	المدة المعطاة	ملاحظات
	(١٠) السير ادموند اللنبي ١٨ — ٩ — ١٨	العمليات سنة ١٩١٩ حتى سبتمبر	هاتان الرسالتان مذكورتان فى تقدم التجريدة المصرية
	(١١) السير ادموند اللنبي ٣١ — ١٠ — ١٨	موقعة المجيد والتقدم إلى حلب	
التاريخ الرسمى :	(١٢) السير ادموند اللنبي ٢٨ — ٦ — ١٩	إجمالى الحملات العسكرية	
Military operations in Egypt and Palestine			
الجزء الأول	اللفتنانت جنرال السير ماكون وكابتن فولز	أغسطس سنة ١٩١٤ — يونيه سنة ٩١٧	أفضل بيان عن العمليات وهو الأكثر عهدة
الجزء الثانى	كابتن فولز	يونيه سنة ١٩١٧ — نوفمبر سنة ١٩١٨	

Australian Official History Vol. I	بين	الهجوم الأول على القناة	—
Vol. II.	جوليت	١٩١٦ — ١٩١٨	بيان وافى جدا . صريح ومكتوب بعناية ولكنه بطبيعة الحال يحابى الفرسان الاسترالية الخفيفة .
New Zealand Official.	لفتنانت كولونيل باولز	١٩١٦ — ١٩١٨	كتب بعناية وبالرسم ويبحث بنوع خاص فى أعمال اللواء النيوزيلندى الراكب ويعطى صورة جيدة لعمل الفرسان بالحملة .
Operations of the E.E.F.	الكولونل فوستر برئاسة الجيش بمليورن	٢٨ — ١٠ — ١٩١٧ إلى ٣١ — ١٢ — ١١١٧	صدر من هيئة أركان الحرب الأسترالية لمساعدة الطلبة فى امتحان التاريخ العسكرى وهو مختصر المجلد الثانى للتاريخ الرسمى الاسترالى .
Veterinary History of the war	—	—	يشمل القسم الخاص بفلسطين معلومات كثيرة مفيدة .

٢ — البيانات غير الرسمية

The Advance of the Egyptian Expeditionary Force.	أصدرته باليستاين نيوز ومحررها اللفتنانت كولونيل بيرى جوردون	يوليه سنة ١٩١٧ إلى أكتوبر سنة ١٩١٨	جمع من مصادر رسمية بعد نهاية الحرب بقليل ويشمل رسائل الجنرال اللنبى الثلاثة الأول وتركيب القوات فى الوقائع ومقالات فى عمل السكة الحديدية والحملة والمهندسين والمهمات الخ والعديد من الخرائط التى تبين المواقع كما كانت تصدر من قسم المخابرات من يوم لآخر بها يومية بالعمليات اليومية وهو مؤلف قيم جدا .

(تابع) ٢ — البيانات غير الرسمية

الاسم	المؤلف	المدة المعطاة	ملاحظات
The Desert mounted Cerps	لفتنانت كولونيل بريستون	١٩١٧ — ١٩١٨	أفضل بيان صدر للآن عن عمل الفيلق الراكب وبه تعليقات كثيرة قيمة جدا
Outline of the Egyptian and Palestine Campaigns	ماجور جنرال بومان مانيفولد	١٩١٤ — ١٩١٨	موجز جيد جدا ولكنه ليس دقيقا جدا على الدوام فى تفاصيله
Egypt and the Army	كولونيل الجوود	١٩١٤ — ١٩١٨	بيان هام جدا عن الحالة بمصر نفسها أثناء الحرب بصفتها قاعدة العمليات
Soldiers and Statesmen	السير وليام روبرتسون	١٩١٤ — ١٩١٨	ذكر بالبابين ١١ و ١٣ من الجزء الثانى الاستراتيجى العامة لحملات فلسطين وهما مهمان جدا
Revolt in the Desert	لورنس	١٩١٥ — ١٩١٨	ثورة العرب مكتوبة بيد أستاذ فى حرب العصابات والنثر الانجليزى
History of the transport Service of the E.E.F.	لفتنانت كولونيل بادكوك	—	كتاب مخيب الأمل فى موضوع مهم جدا وشيق لا يخرج عن كونه جملة بيانات غير منسقة

History of the 52nd(Lowland) Division	لفتنانت كولونيل طومسون	يناير سنة ١٩١٦ الى أبريل سنة ١٩١٨	
History of the 74th (Yeomanry)	ماجور دادلى وورد	يناير سنة ١٩١٦ الى أبريل سنة ١٩١٨	
The Yeomanry Cavalry of Worcestershire	" — "	١٩١٤ — ١٩٢٢	
London men in Palestine	كالد كوت	أكتوبر — ديسمبر سنة ١٩١٧	بيان هام جدا للقتال م موقعة غزه الثالثة حتى الاستيلاء على القدس من وجهة نظر قائد البلوك
The Diary of a Yeomanry (M.O).	كابتن تلكيان	مايو سنة ١٩١٦ الى يونيه سنة ١٩١٨	بين وجهة نظر ضابط صغير الرتبة بالقوات الراكبة
Memoirs of a Turkish Statesman	جمال الدين	١٩١٤ — ١٩١٨	ليست ذات أهمية عظمى فيا عدا الهجوم التركى الأول على القناه
With the Turks in Palestine	الكسندر ارنسون	١٩١٤ — ١٩١٥	يعطى بيانا عن الحالة فى فلسطين فى أوائل الحرب

(تابع) ٢ — البيانات غير الرسمية

الاسم	المؤلف	المدة المعطاة	ملاحظات
Lawrence and The Arabs	جريفس	١٩١٥ — ١٩١٨	مكمل لتاريخ ثورة العرب المذكورة بكتاب لورنس
Water Supply (Egypt and Palestine	معهد المهندسين بناتهام	١٩١٤ — ١٩١٨	

٣ — مؤلفات أجنبية

الاسم	المؤلف	المدة المعطاة	ملاحظات
Fanb Jahre im Turkol	ليمان فون ساندرس	١٩١٤ — ١٩١٨	ذو قيمة عظيمة ولكن به الكثير عن الأعذار والمبررات للهزيمة ترجم الى الفرنسية باسم "خمس سنوات فى تركيا" والى الأمريكية بمعرفة المعهد البحرى بنفس الاسم .
Yilderim	لفتنانت كولونيل حسين حسنى		باللغة التركية فقط

Ilderim Deutche Streiter auf heiligen Boden	ستوبر		الوصف الألمانى الرسمى لأعمال الوحدات الألمانية بفلسطين .
Jahrbuch des Bundes der Asienkampfer 1921-1922			يشمل كتاب كرس فون كرسنشتاين "أزويشن كوكاسوس أندسينا" الذى هو أفضل بيان للعمليات من وجهة نظر العدو من أول الحرب حتى الاستيلاء على القدس وبه مقالات أخرى فى عمليات فلسطين . وهو مجمل وافى جدا لمقالات كرسنشتاين المنشورة بمجلة المعهد الملكى للأسلحة المتحدة سنة ١٩٢٢ بعنوان "حملات فلسطين من وجهة نظر الأعداء"
L'Attaque du Canal de Suez	لفتنانت دوين	فبراير سنة ١٩١٥	بيان للهجوم الأول على القناة وضعه ضابط احدى المدرعات الفرنسية التى حضرته وبه خريطتان جيدتان
On se bat sur mer	بول شاك	فبراير سنة ١٩١٥	به باب فى أكثر من ١٠٠ صفحة عنوانه "فرنسا تنقذ قناة السويس" به بيان شيق بهى ولكنه تخيلى للهجوم التركى الأول على القناه .

٤ — مقالات فى المجلات الخ

الاسم	المؤلف	المدة المعطاه	ملاحظات
The Compaign in Palestine from the enemy's side (R.U.T.I.) Journal vol. 67, 1922		نوفبر سنة ١٩١٤ الى ديسبر سنة ١٩١٧	موجز ترجمة كتاب كرس فون كرسنشتاين " إيزويشن كوكا سس أندسينا " .
La Campagne du general de Falkenhayn en Palestine Revue Militaire Francais e, Oct. Nov. 1925)	القومندان لارشر	١٩١٧ — ١٩١٨	ينتقد استراتجى حملة يلدرم .
The Evolution of a revolt (Army Quarterly Oct, 1920)	كولونيل لورنس		بيان عن تكوين ثورة العرب واستراتيجيتها

Cavalry Journal Oct 1920—July 1923			ذكر باعداد السنين الثلاث من مجلة الفرسان بيان شيق عن العمليات الراكبة بقلم ضباط قاموا بعمل رئيسى فيها .
General Leman von Sanders on his experiences on Palestine (Army quarterly Jan. 1922)	اتكينسون		نقد كتاب فوق جاهر ان تركى
Falkenhayn in Syria (Edumburgh Review, Oct. 1929)	فولز	١٩١٧	دراسة شيقة لقياده لولكنهاين لجيش يلدرم .

الأسماء والاصطلاحات

المستعملة فى هذا الكتاب وما يقابلها فى الأصل الإنجليزى

Hareira	أبو هريره
Acre.	عكا
Afule.	العفوله
Aleppo.	حلب
Alexandretta.	اسكندرونه
Amman.	عمان
Auja.	العوجة
Beersheba.	بئر السبع
Beir Abu Irgeig.	بئر أبو رقيق
Bir El Esani	بئر الاصنى
Damascus	دمشق
Deraa.	درعا
Bekaa.	البقاع
Es-Salt.	ألصلت
Esdraelon.	ازدرائيلون
Es-Sire.	السير
Hebrun.	حبرون ـــ الخليل
Hod El Enna.	حوض الحنه
Imlieh.	المليح
In-Seirat.	النصيرات

Jericho.	اريحه
Jerusalem.	القدس
Jordan.	الأردن
Judea.	يهوذا
Katia.	القطية
Katib.	كثيب — كثبان
Khalassa.	الخلصة
Khasif.	كسيفه
Maan.	معان
Maalaga.	المعلقة
Maghdaba.	المغضبة
Megido.	المجيد
Mesopotamia.	العراق
Moab.	معاب
Nazareth.	الناصرة
Rafa.	رفح
Romani.	رمانه
Samaria.	السامرة
Sharon.	الشعرون
Tel El Saba.	تل السبع
Transjordania.	شرق الأردن
W. Sheria.	وادى الشريعة
W. Muk hsbeib.	وادى أم خشيب
W. Ghuzze.	وادى غزه

Action.	عملية
Battle.	موقعة — وقائع
Break-through	اختراق
Capture.	استولى على
C.T.C. (Camel transport Corps).	فرقة حملة الجمال
Campaign.	حملة عسكرية
Chapter.	باب
Defences.	دفاعات
E.E.F. (Egyptian Expedition - ary force)	قوة التجريدة المصرية
E.L.C. (Egyptian Labour corp).	فرقة العمال المصرية
Engagements.	اشتباكات
Entrenchments.	خنادق
Evacuation.	إخلاء — الجلاء عن
Forcing, by force.	عنوة — أمام مقاومة
Front.	جبهة
Frontage.	واجهه
Hold.	يحتفظ به
Holding attack.	هجوم مثبت
No man's land.	الأرض الحرة
Occupy	يحتل
Raid.	غارة
Redoubt.	بلانقة
Rush.	اجتاح

Secure.	يجعل ... آمنا
Squadron.	أورطة (فرسان) سرب (طائرات)
Troop.	بلوك (فرسان)
Works.	استحكامات
Sand dunes.	كثبان رملية

المطبعة الأميرية ٣١٤٧-١٩٣٨-٣٠٠٠

(تصحيح خطأ)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ج	٤	C.M.	M.C.
ه	٢	ح	ى
ز	٦	١٤٦	١٤٧
ز	١٤	الخط	خط
ح	١١	الاشتبكات	الاشتباكات
ح	١٢	٢٣٠	٢٣٢
ط	١٤ — العمود الثانى	المنـار	المغار
ط	١٨ — «	قلسطين	فلسطين
ط	٢١و٢٢ — «	الاستلاء	الاستيلاء
ل	١٤ — العمود الأول	المراصله	المواصلة
ن	١ — «	اريجه	اريحه
١	٦و١٤و١٧	سينا	سيناء
٣	١٣	اسميت	اسميث
٤	٢٤	المواقع	الموانع
٨	١١و١٣و١٥	الادرن	الأردن
٩	٢٠	تيكسر	تكسر
٩	٢١	لمؤن	المؤن
١٠	٦	نحركات	تحركات
١٠	الجدول — العمود الأوسط آخر سطر	١٥٠٠	١٥٠٠ متر
١١	٣	امانوس	عمـانوس
١٢	١	١٧٥	١٢٧٥
١٢	١٠	وسته	أوستة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	١٠	كانت تسير	كانت الجنود تسير
١٤	٨	اسراف	اسرافا
١٥	٢	استعمال	استخدام
١٥	١٨	انجلتره	بريطانيا
١٦	٢	كذا	لذا
٢١	١٠	(لقطية)	القطية
٢١	١٣	الهجوم	١ — الهجوم
٢٢	٥	ففد	فقد
٢٢	٢٣	بسادة	بسيادة
٢٣	١٨	الطرق	الطرف
٢٥	٢	العزبه	العذبة
٢٧	١٢	بمنجاة	و بمنجاة
٢٩	١٢	بالصحراء	الصحراء
٢٩	١٩	—	تحذف كلمة أن
٣٠	٢٠	أو وطة	أو رط
٣١	٢٦	جميع	جمع
٣٢	١٨	النيل ودلتاه وهى	النيل ودلتاه هى
٣٥	١	قلة	وقلة
٣٥	٤	متنصف	منتصف
٣٧	٧	رأى حازم	رأيا حازما
٣٧	١٨	احتجاج	احتاج
٤٠	١٧	والتى	وقد
٤٦	٩	الثقيليه	الثقيلة
٤٩	١٢	المون	المدن
٥٣	١٨	توقف	توقفت

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٤	٦	للخلفاء	للخلفاء
٥٤	١٥	الحظ	الخط
٥٤	٢٦	فذكر تقريره	ذكر تقديره
٥٩	٥ و ٨ و ١٠	العدو	الأتراك
٥٩	٢٥	يزاد بعد كلمة "بطارية" كلمة "هندية" و بعد كلمة "٦ مدافع" الكلمات "وأورطة مدافع"	
٦٢	٣	الرتيسى	الرئيسى
٦٤	١٣	حامياتهما	حاميتهم
٦٤	٢١	المهاجمة	لمهاجمة
٦٥	١١	ابتدأت	وابتدأت
٦٧	١٤	تفصلتا	منفصلتان
٦٩	العنوان	عند	بوقعه
٧٠	٢	مباشرة	مباشرة —
٧٠	١٥	٩٠٠٠	٦٠٠٠
٧٠	١٧	اختيار	اختبار
٧٣	٣	كا	كان
٧٣	٣	بدأت	بدأ
٧٤	٢٤	إلى	الا
٧٦	١٣	التجقيق	التحقيق
٧٦	١٧	واجة	جبهة
٧٧	١٢	الضرورة	الضرورى
٧٧	١٦	الثفرة	الثغرة
٧٩	١	ربوه	ربوة
٧٩	٣	البه	التيه
٧٩	١٦	تدفع	وتدفع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٣	١١	،	و
٨٣	١٤	تجاحا	نجاحا
٨٤	١	نارو	بارو
٨٦	١٦	الولايات	ألا يات
٨٧	٤	الجنوبية	الجنوبية
٨٨	٢٢ — العمود الأول	القناة	القناة
٩٣	٦	مدافع)	مدافع)**
٩٣	٨	جبلي*	جبلي
٩٣	١٦	ونصف	ونصف —
٩٦	٢٢	ترتيب	تركيب
١٠٠	١٣	ذكره	ذكر
١٠٥	٢٤	الارتفعات	الارتفاعات
١١١	٢٢	تعزيزه	تعزيزه
١١٤	٢	تتطويق	تطويق
١١٤	١٢	تنغلبا	تتغلبا
١١٤	٨	الالات	الألاي
١١٨	١٤	وأوجد	وأوجدت
١٢٠	١	رطل	رطلا
١٢١	٢٣	وهو	وهدد
١٢٢	١٨	كافي	كاف
١٢٣	١٠	جيرون	حبرون
١٢٣	١٤	شوفل	وشوفل
١٢٥	١٤	الأتراك	الاتراك
١٢٦	٧	من	في
١٢٨	٥	المنهكة	المنهكتي

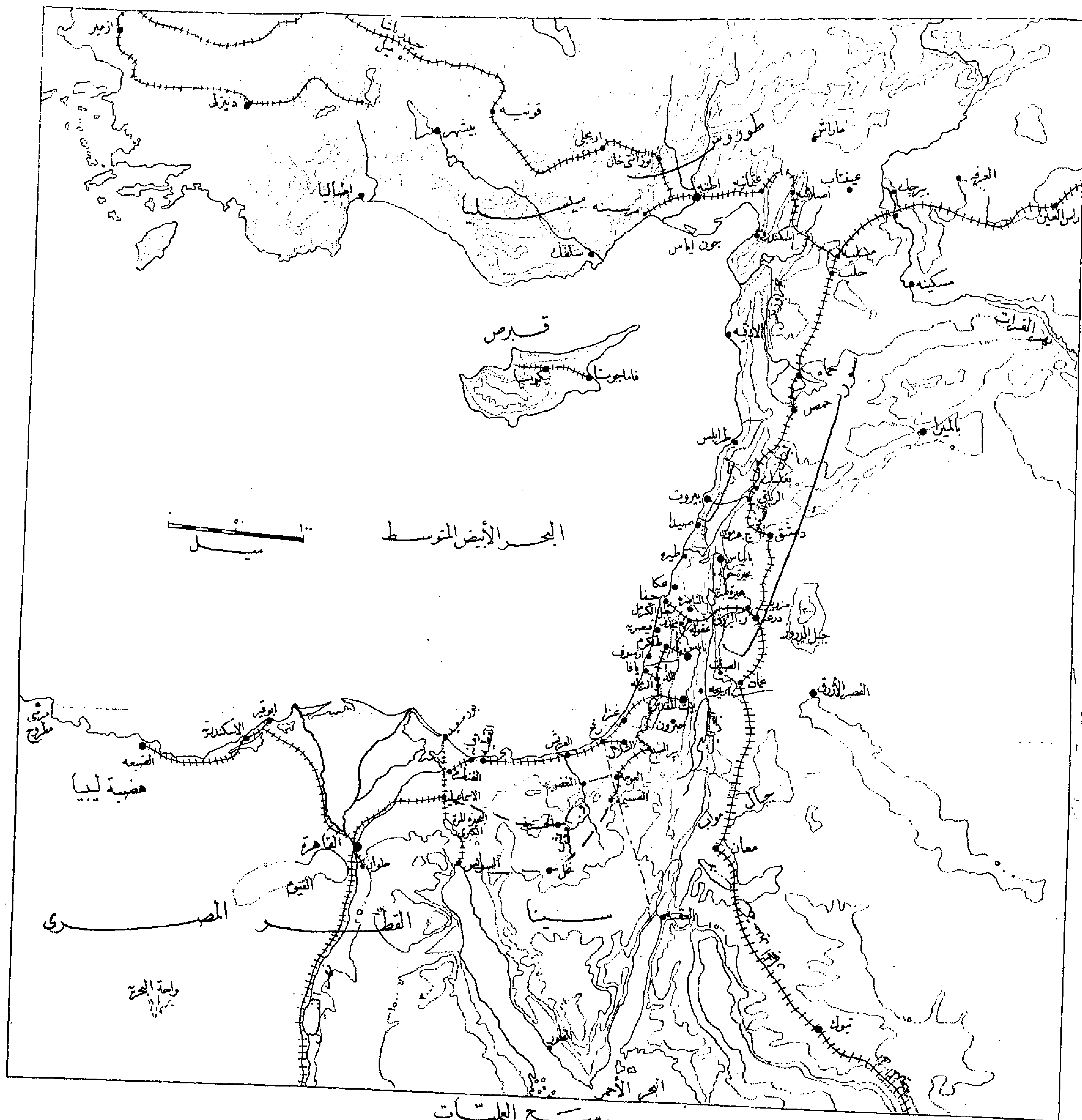
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٠	٢١	و يلسن	و يلش
١٣٥	٢	منعهما	منعها
١٣٥	٧	خراية	خربه
١٣٥	١٢	الى بالتقدم	بالتقدم الى
١٣٥	٢١	المتقهقرون	المتقهقرين
١٣٦	١٠	اللواء	لواء
١٣٦	٢٣	قوات	قولات
١٣٧	١	عل	على
١٣٧	٢	أو	و
١٣٧	٥	السهولة	السهول
١٣٧	٧	طلب	طلبت
١٤٢	١١	الأتراك	الأتراك
١٤٣	٥ و ٦	يوضع على الكلمة "الصافى" نمرة (١) وعلى كلمة "ا" نمرة (٢)	
١٥٢	١٧	هاجوها ... وطردوهم	هاجوهما ... وطردوهما
١٥٢	٢٢	أوضاح	أوضاع
١٥٢	٢٤	الذى حل	وحل هذا
١٦٠	٣	مضى فى يوم	مضى يوم
١٦٢	٥	العوجين	العوجتين
١٦٧	١٦	أتراكا	أتراك
١٦٨	٢٥	لأقصر	لأبعد
١٧٠	٢	يضاف بعد كلمة "اللواء" كلمة	"الأول"
١٧٠	٢٣	جيدا	جديا
١٧١	١	باعتارها	باعتبارها
١٧٣	٨	لواءا فرسان الخدمة	لواءا الخدمة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٣	١٨	عل	على
١٧٣	٢٢	لتركى	التركى
١٧٨	١٢	التحضرات	التحضيرات
١٨٠	١٨	يوسعه	يوسعه
١٨١	٢٥	الدعاه	الدعاوة
١٨٤	٣	السامر	السامرة
١٨٤	٢١	الموافع	الموانع
١٨٥	٧	لها	له
١٨٥	١٠	المواصلة	الموصلة
١٩٣	١	تشبه	تبه
١٩٥	العنوان	الاستيلاء على ظالكرم	ركبة الفرسان
١٩٧	١	—	تشطب " الى طبرية " وتكتب أول السطور
٢٠٨	٧	تسينور	تشينور
٢٠٩	١١	لاى	ألاى
٢١٢	١١	١٠٠	١٠٠ (١)
٢١٣	٦	كانب	كانت
٢٢٣	العنوان	عمأال	أعمال
٢٢٣	٢٠	شقاتلة	مقاتلة
٢٢٣	٢٤	الن	من
٢٢٥	١٣	ميدا	ميدان
٢٢٦	٢	الأرض	والأرض
٢٣٩	آخر سطر	لسوريا	فى سوريا
٢٤١	١٤	كرسى	كرس
٢٤٥	٤ (انجليزى)	تضاف بعد كلمة "Official"	الكلمات "History Vol. III"

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٦	٨ (عربى)	العامة	العام
٢٤٦	٨ (انجليزى)	Service	Services
٢٤٧	٤ (»)	يضاف بعد كلمة (yeomanry)	كلمة "Division"
٢٤٧	٥ (عربى)	تلكيان	تيشيان
٢٤٧	١٠ (انجليزى)	Memoirs	Memories
٢٤٧	٦ (عربى)	الدين	باشا
٢٤٨	٤ (انجليزى)	Fanb Turkoi	Funf Turkei
٢٤٩	١ (»)	Deutche	Deutsche
٢٤٩	١٢ (عربى)	أكثر	أكثر
٢٥٠	١ و٣ (انجليزى)	Compaign R.U.T.I.	Campaign R.U.S.I.
٢٥١	٥ (عربى)	لولكنهاين	فولكنهاين

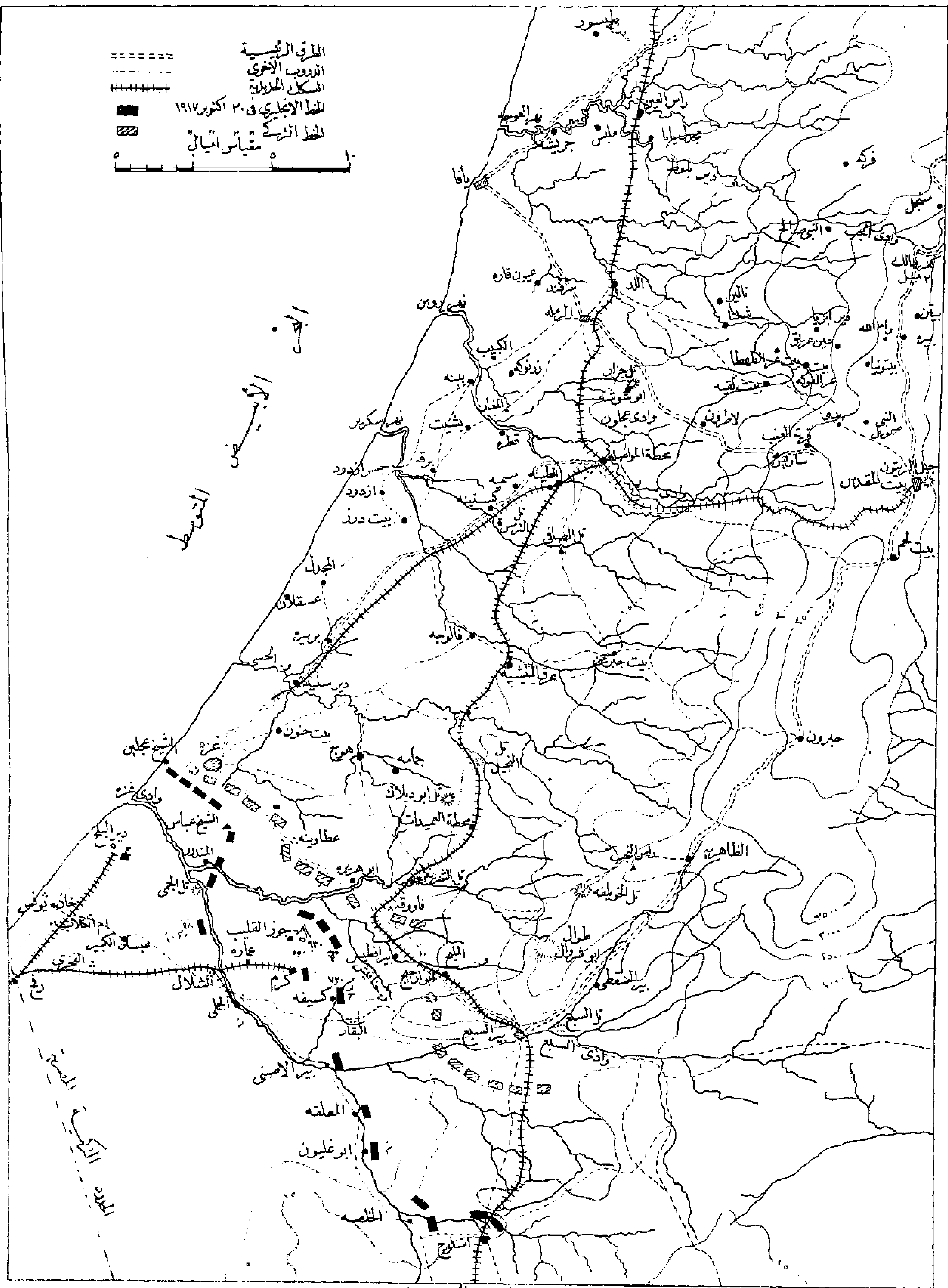
تصحيح أخطاء بالخرائط

نمرة الخريطة	الكلمة الخطأ	الكلمة الصواب
١	جبال مواب	جبال معاب
	مجيدو	المجيد
٨	أبو أرجيج	أبو رقيق
	تل الشريه	تل الشريعة
١٧	سهل ازدرالون	سهل ازدرائيلون
١ و٦ و٧ و١٠ و١١	غزا	غزه
١٢	بيـاده	مشاه
٢٠	السوارى	الفرسان



مسرح العمليات

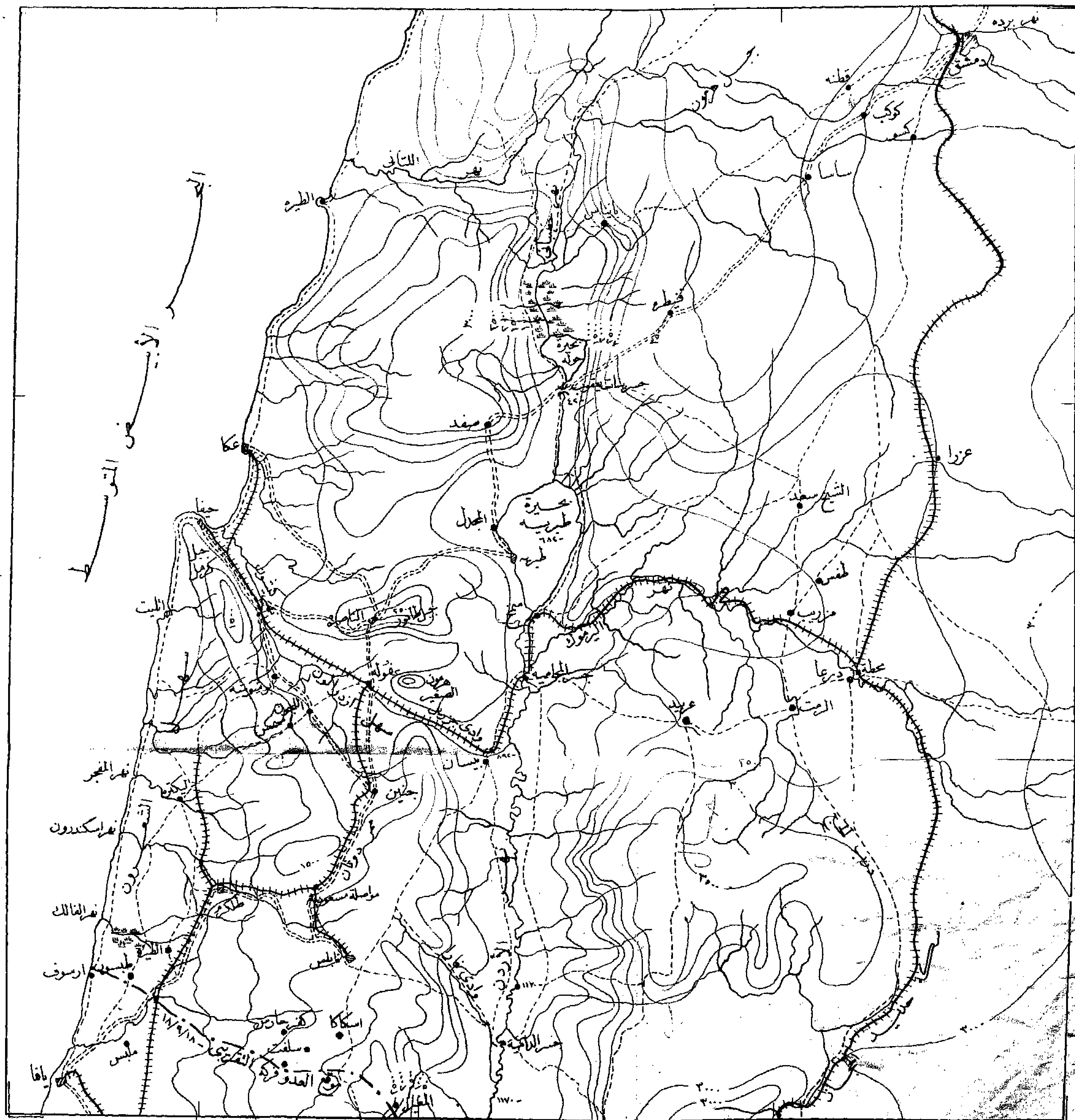
الخريطة نمرة ١


الطرق الرئيسية
الدروب الأخرى
السكك الحديدية
الخط الانجليزي فى ٣٠ اكتوبر ١٩١٧
الخط التركي
مقياس اميال
البحر الأبيض المتوسط
يافا
اللد
الرمله
بيت المقدس
بيت لحم
حبرون
غزه
بئر السبع
خان يونس
رفح
عسقلان
المجدل
الظاهريه
تل الخويلفه
ابو هريره
عطاويه
الشيخ عباس
وادى غزه
المعلقه
ابو غليون
الخلصه
العوجا
بير الاصى
الشلال
فلسطين الجنوبية
الخريطه نمرة ٨

المحروق
نهر الزرقاء
جسر الدامية
اللبان
سنجل
كفر مالك
التل الأحمر
الصلت
سويح
وادي الحمام
قلعة الزرقاء
عمان
محطة عمان
عين السير
عين الدوك
الغرانية
وادي كفرين
طلعة الدم
بيت المقدس
البحر الميت
مادبا
محطة لبان
محطة زيزا

وادي الأردن
الخريطة نمرة ١٦

٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
ميل



فلسطين الشمالية وسوريا الجنوبية

الخريطة نمرة ١٧

٩٣٠٠	العمق بالأقدام اسفل مستوى سطح الماء
=======	الطرق
--------	الدروب
++++++++	السكك الحديدية

١٠ ٥ ٠ ١٠ ٢٠

اميال

